كانداليه

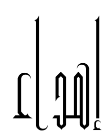
كانداليه .. عالمين من العشق

رواية

د. محمد لبيب سالم



أطلس
للنشر والإنتاج الإعلامي
ش. م. م.



«إلـى كل قلـب كبيـر، يحمـل بـين جوانحـه قصـورًا مـن الصـدق، تسـكنها مشـاعرُ الحـب لـكل العالـم بـلا تفرقـة».

المقدمة

الجنـة لا تقـارن بـالأرض مهمـا تجمّلـت واكتسـت بـرداء المتـع. وهكـذا الفـارق بـين الحيـاة في الأحيـاء الراقيـة التـي تتطـور مـع الوقت وتنتقل من مكان إلي آخر والعشوائيات التي تبقي بفقرها وتخلفها وجهلها كما هي دون أدني تطور. ومع أن الإنسان الذي هبط من الجنة واحد ، إلا أن وجود تنافسية المال والجاه والسلطان مع غياب العدل المطلق ، قسّم الزمان والمكان علي الأرض حسب ساكنيها إلي جنات أو عشوائيات. ومع هذا الفارق المكاني والإمكاني بين أصحاب الطبقتين ، إلا أن أشجار الفكر لدي كلاهما جذوره واحدة ليبقي الإختلاف في الساق والأوراق والثمار ، ولكن كل يحلوا له ما لديه ويعز عليه ما عند الآخر. وهنا نري أناس تتشبع خلاياهم بالانسانية الرائعة والفكر المتخفي أو الخائف تحت ثوب الفقر والحاجة . وعلي النقيض نجد أناس تلبسهم انسانية جامدة ومتجمدة وفكر اناني تحت رداء الكبرياء. ومابين هذا وذاك نري العكس ونري كل الدرجات.

وعن هذا التفاوت الطبقي والمنشأ الفكري، تدور هذه الرواية التي تجعل من لقاء الفكر والمشاعر الأرستقراطية مع أصحاب

العشـوائيات ممكنـا عندمـا يمنـح القـدر فسـحة مـن الزمـان والمـكان للعقـول والقلـوب أن تتقابـل وتتحـاور بعيـدا عـن الفروقـات. إنـه القـدر الـذي يسـوق النـاس في لمـح البصـر إلـي أحـداث ومواقـف وأنـاس لـم تخطـر لهـم علـي بـال، إنـه القـدر الـذي يريـده الله لسـبب مـا علمنـاه أو جهلنـاه . فالفـارق بـين ترتيبـات البشـر وترتيبـات القـدر أن ترتيبـات البشـر قـد لا تحـدث حتـي ولـو خططنـا لهـا ، أمـا ترتيبـات القـدر فهـي نافـذة حتـي ولـو لـم نخطـط لهـا فتنتعـش جـذور السـعادة وتنمـوا سـيقناها وتزدهـر اوراقهـا . فالسـعادة مثـل بخـار المـاءا الـذي يتصاعـد مـن البحـار والأنهـار للسـماء ليكـون سـحابات مملـوءة بالسـعادة ولكـن لا أحـد يعلـم سـوي الله متـي وأيـن وأي مـن عبـاد الله سـوف تمطـر السـماء عليهـم السـعادة. وعندمـا تمطـر السـعادة علينـا يتولـد حبـا رائعـا يهـدي مـن حواليـه إلـي طريـق جديـد مُعبـد بالطمأنينـة الفكريـة والقلبيـة.

المؤلف

الفصل الأول

«وفجأة وبدون استئذان وجدت أيدي السيدات بالحجرة تعبث بجسدها الملطخ ببعض الدماء وملابسها الممزقة حول وسطها وفخذها ونهديها...».

اقتربت الساعة من السابعة، وحل المساء على المدينة فغلفها بوقاره وهدوئه، فبدا الزمان والمكان في أرقى شوارع المدينة مزارا لمن يريد أن يستمتع بالتبختر في مساء صاف لا يتكرر كثيرا في هذا الوقت من الخريف. وفي هذا الجانب من المدينة المطرز بأسماء تتمتع بسلطان الجاه أو المال، يصنع الناس فيه سعادتهم بركوب السيارات الفارهة، أو نهم شراء الماركات ولو بدون حاجة، أو قضاء سهرة هادئة وأنيقة في أرقى الكافيهات أو النوادي.

وعلى الجانب الآخر من المدينة تحولت الشوارع إلى مهرجانات صاخبة وبدون ترتيب أو تنظيم، ولكنها مهرجانات شعبية ليس لها توقيت، بل تأتي كلما أتت إلى النفوس ساعة حظ قد تتمثل في صفاء ليل، أو شمس مشرقة، أو حصول على أجرة مقابل عمل، أو أي علامة قد تسعد النفس وتدخل عليها السرور ولو بالقليل. وهكذا تحوي المدينة بصفاء سمائها كل الأمنيات وكل الأحلام وكل الناس.

خرجـت مـن بيتهـا مسـرعة كأن جـن العالـم ركبهـا! فلـم تـدرِ بنفسـها وهـي تهبـط بسـرعة درجـات السـلم مـن الـدور السـابع مهملـة الأسـانسـير، وكأنهـا تعمـدت أن تلقـي بـكل غضبهـا مـع كل درجـة تهبطهـا مـن السـلم. جـرت نحـو عربتهـا، وداسـت بنزينًـا، وكأنهـا في سـباق مـع الزمـن ولكـن بـلا موعـد. زاغـت أفكارهـا وهاجـت وماجـت وهـي تتذكـر كلمـات خطيبهـا بأنـه قـرر الانفصـال عنهـا؛ لأنـه وجـد صديقـة أخـرى أكثـر تفهمـا لـه ولاحتياجاتـه. زفـرت بشـدة وتمنـت أن يكـون أمامهـا الآن لتدوسـه بعجـلات سـيارتها التـي شـهدت معـه شـقاوة سـنوات الارتبـاط الثـلاث.

ودون أن تـدري، وفي لمـح البصـر داسـت علـى الفرامـل، لتصطـدم السـيارة بشـيء مـا، لـم تـدرِ مـا هـو! فقـد تاهـت في غيبوبـة الصدمـة، وترنحـت في ارتجـاج أفكارهـا التـي غابـت عنهـا لأكثـر مـن سـاعة كاملـة، حملهـا فيهـا أحـد المـارة لأقـرب بيـت في المنطقـة. ولمـا أفاقـت فتحـت عينيهـا علـى جسـد فـارع الطـول، مشـمر عـن سـاعديه، ووجـه يحمـل شـفاها مبتسـمة، وإن كان أديمهـا يشـبه جلـد شـنطة قديمـة يكسـوها بعـض الغبـار.

لـم تتعـرف علـى أي مـن الموجوديـن، ودارت عيناهـا يمينـا وشـمالا، فلـم تتعـرف علـى المكان ولا الزمـان، ولـم تـدرِ لمـاذا هـي هنـا الآن؟ ومـن هـؤلاء النـاس؟؟ حاولـت أن تتحـرك لتنهـض فلـم تسـتطع!

حاولـت أن تحـرك شـفتيها لتسـأل فلـم تسـتطع! فقـط اسـتخدمت عينيهـا للتحديـق ﴿ النـاس، والمـكان، ولكـن دون أن تجـد ضالتهـا.

عندمـا لاحـظ ﴿ نظـرات عينيهـا الخـوف والارتبـاك والحيـرة، تقـدم إليهـا هـذا الشـاب الطويـل، والـذي كلما درات بعينيهـا ﴿ الغرفة وقفـت عنـده، وكأن ﴿ عينيـه مِغناطيسـا يجـذب عينيهـا الزائغتـين.

- إن شـاء اللّه سـليمة والحمـد للّه إنهـا جـات علـى قـد كـده، وقـدر ولطـف يـا هـانم. حضرتـك كنـتِ هـادوسـي حـد بعربيتـك.. وربنا سـتر علـى آخـر لحظـة! تصـوري إن الحـد ده كان أنـا!! بـس ربنـا سـتر. هكـذا اسـترسـل مبتسـما مسـتعينا بجلـد شـفتيه المتـرب.

حاولـت أن تعتـذر بلسـانها فلـم تسـتطع! وبيديهـا فلـم تسـتطع! فابتسـمت لـه بعينيهـا المشـرقتين دائمـا حتـى وهـي ﴿ هـذه الحـال، فـازدادت جمـالا علـى جمالهـا الهـادئ. نظـر الشـاب ﴿ عينيهـا برفـق متأمـلا هـذا الجمـال الـذي يلبسـه جمـال ويسـكنه الجمـال، فقـال لهـا ﴿ وداعـة وحـرارة معـا: أنـتِ هنـا ﴿ بيتـي يـا هـانم وإن كان مـش قـد المقـام، بـس ده كان أقـرب مـكان نجيبـك فيـه علشـان نسـعفك.

بـدأت تشـعر بشـيء مـن الهـدوء مـن كلمـات هـذا الشـاب، علـى الرغـم مـن شـعور الحيـرة والقلـق الـذي مـا زال يملؤهـا، وشـعور الغربـة الـذي يتملكهـا. وقبـل أن تحـاول إيجـاد تليفونها وسّـط أشـيائها

المبعثرة، والتي لملمها هذا الشاب ووضعها بجانبها، فوجئت بالعديد من السيدات يملأن الغرفة حواليها ناظرين إليها بنظرات رأت فيها الشفقة، والدعاء بالشفاء. سمعت إحدى السيدات توشوش زميلتها: «دي ياختي أمورة قوي، وشكلها بنت ناس كمان.. يا ترى إيه اللي حدفها على هنا؟!!». أجابتها الأخرى: «والله يا ختي الزمن ياما بيرمي وياما بياخد، أهي فرصة نشوف الناس دول ونعطف عليهم».

عبثا حاولت أن تخبر من حولها -خاصة هذا الشاب- عن احتياجها الموبايل الخاص بها، ولكن لم تستطع! فما زالت غير قادرة على الكلام أو الإشارة. انتشرت الهمهمات من حول «ياسمين» فحمدت الله أن أذنيها ما زالت قادرة على السماع؛ حتى تفهم ما يجري حولها هنا في هذا المكان الذي يبدو لها كمسرحية فلكلورية، مؤكدٌ أنها قد شاهدتّها في الكثير من الأفلام التي تدور حول طبقات مجتمعية شعبية.

وفجأة وبدون استئذان، وجدت أيدي السيدات بالحجرة تعبث بجسدها الملطخ ببعض الدماء وملابسها الممزقة حول وسطها وفخذها ونهديها!! وفي دقائق معدودة استسلمت فيها «ياسمين» لأيدي السيدات على مرأى ومسمع من هذا الشاب، وجدت نفسها نظيفة تماما من الدماء، ومعبأة في جلباب يشبه ذلك الذي ترتديه هؤلاء النسوة.

ومـع أنهـا كانـت في حاجـة ماسـة إلـى إحسـاس المـاء فـوق جسـدها لتشـعر ببعض الانتعـاش، إلا أنهـا أصيبـت بدهشـة مكتومـة مـن الطريقـة التـي قامـت بهـا هـؤلاء النسـوة في غسـل مـكان الجـروح وباقـي جسـدها، ثـم خلـع ملابسـها وتغييرهـا بتلـك العبايـة السـمراء التـي أحضرهـا هـذا الشـاب بنـاء علـى طلـب إحداهـن. أصيبـت بالدهشـة مـن قيامهـن بكل هـذا بـدون أي اسـتئذان، أو خجـل، وأمـام هـذا الشـاب الـذي وقـف يشـاهد الموقـف! وكأنهـا طفلـة لا تشـعر بالحيـاء مـن العبـث بجسـدها هكـذا أمـام الجميـع.

- كده ياسـت الكل إنتِ بقيـتِ تمام.. شـكل الحادثة راح.. وشـكل الجـروح اللـي كانـت في وِشِّـك راح.. وبقيـتِ زي الفـل وزي القمـر في العبايـة السـمراء. ابتسـمت «ياسـمين» في خجـل لهـذه السـيدة التـي خففـت عنهـا وامتدحتهـا بتلـك الكلمات، وتمنـت أن تشـكرها بلسـانها أو بيدِهـا، لكنهـا لـم تسـتطع، فابتسـمت بعينيهـا في خجـل.

علـى الفـور تدخلـت سـيدة أخـرى لتشـاركهما الحديـث: والنبـي ياختـي العبايـة عليـكِ أحلـى مـن البنطلـون والقميـص، ياريتـك تخليـكِ كـده علـى طـول زينـا.. أنـا عارفـة إيـه حبكـم في الهـدوم الأفرنجـي دي، دا حتـى الواحـدة مـا تعرفـش تاخـد راحتهـا فيهـم، وبتبقـى كـده زي الراجـل!!

رد الشـاب، والـذي مـا زال ـفي الحجـرة، بجانـب السـرير الـذي تسـتلقي عليـه ياسـمين: هـي فعـلا أحلـى ـفي العبايـة.. بـس برضـه حلـوة وزي القمـر ـفي البنطلـون والقميـص.. مالكـوش دعـوة بيهـا وخليكوا ـفي حالكوا، هـي هاتسـتريح، ولما تفـوق نشـوف نوادِيها إزاي.

ابتسـمت لـه «ياسـمين» بعينيهـا ممتنـة لكلماتـه، وبـدأت تشـعر براحـة كبيـرة بعـد وعـده بمسـاعدتها ـفي العـودة. ولكـن كيـف لـه ذلـك وهـو لا يعـرف عنهـا أي معلومـات؟! وهـي لا تسـتطيع الـكلام ولا الكتابـة، ولـم تجـد هاتفهـا بعـد! هكـذا شـعرت بغصـة؛ فهـي بالفعـل سـتظل حبيسـة الفـراش إلـى أن يشـاء اللّه.

الحجـرة بسـيطة ـفي كل شـيء. الإضـاءة فيهـا شـاحبة، ودهـان الحوائـط أنهكتـه الرطوبـة، ولا يوجـد ـفي الغرفـة سـوى هـذا السـرير البائـس، المسـجى بغطـاء قـديم وحيـد، ونصـف مخـدة، بالـكاد تسـع الـرأس. الغريـب أن «ياسـمين» لا حظـت وجـود كومـة مـن الكتـب ملقـاة هنـاك ـفي أحـد أركان الغرفـة، بجـوار تلفـاز قـديم، مـن الواضـح أنـه مـن تلـك النوعيـة الغابـرة.

نظـرت «ياسـمين» إلـى الغرفـة البائسـة، وخطـر ـفي بالهـا أن هـذا المـكان مؤكـد هـو ماكيـت لسـجن ـفي مسلسـل درامـي يمثلـه هـؤلاء الممثلـون مـع أكبـر مخرجـي أفـلام الواقعيـة الشـعبية. تمنـت لـو كانـت

يداها سليمة لتكتب عما تراه من حياة أخرى لم ترها قط. وتمنت لو كانت الكاميرا معها لتسجل هذه اللحظات في هذا الزمان وذاك المكان، ولكنها لا تملك الآن إلا الألم الذي يعبث بكل خلية في جسدها، والقلق الذي يغلف كل خلاياها.

استسلمت «ياسمين» لنوبة نعاس من شدة التعب والألم بعد أن وضعوا على جسدها كمادات مياه باردة، عبارة عن بقايا ملابس مبللة غمست في ماء بَرود. هدأت عيناها ونامت، وارتاحوا هم لنومها، وتركوها على سرير «صلاح» الذي عرفت اسمه على التو عندما نادته به إحدى السيدات غامزة له بعينيها: «يالـلا يا عم صلاح، هنيالك، مزة زي القمر أهي في سريرك، إنت وضميرك بقى، نسيبها لحد ما تفوق، ولو عُزت حاجة نادي علينا هاتلاقينا برة قدام الباب في الشارع.

– لأ، أنا جاي معاكم برة وهاسيبها تنام.

– ماشي ياخويا، إيه الحنية اللي نزلت عليك دي مرة واحدة، من إمتى وانت بتعتق، عموما تعالى يالـلا وسيبها تنام.. ونرجعلها ونشوف حكايتها إيه. اقتحمت سيدة أخرى كانت تتابع حوارهما: والله خايفة لتكون محتاجة دكتور، بس مين بقى اللي يقدر عليه وعلى مصاريفه؟ عموما هي ونصيبها بقى. ردت أخرى: ما

تقلقيش ياختي، أهي شوية وها تقوم زي القرد، الستات إللي من دول بسبع ترواح. وبعدين لو جرى لها حاجة تبقي العربية من نصيبنا، ولا ايه يا بو صلاح؟

- عربية إيه بس!! خليكوا محضر خير، إن شاء اللّه تقوم وتبقى كويسة.

- طيب يا نونوسة ماما، تعالى ياللا نسيبها تنام على سريرك الدلِع.

نامت «ياسمين» نوما عميقا على سرير «صلاح» الذي لم تتخيل يوما أن تراه في أي مكان، أو تلمسه، أو تقترب منه.. نامت نومة كألف نومة، وعلى سرير تمتلأ رائحته رجلا غريبا لا ينظفه إلا في المناسبات!

●●●

الفصل الثاني

«ساعات مرت كالدهر الذي غضب على أصحابه فوضع في قلوبهم وعقولهم جمرة متقدة بنيران الحيرة والقلق».

الساعة الأنيقة التي تتوسط حائط الدور الأول في البهو المؤدي إلى السلالم الداخلية بالفيلا الأنيقة في أرقى شوارع المدينة تشير إلى الحادية عشر مساءً. الفيلا رائعة الجمال، وترتيب الأثاث ونوعيته وتنسيقه يدل على ذوق عال، وحس مرهف لأصحاب البيت. الهدوء يسيطر على الدور الأول إلا من أصوات آتية من أعلى توشك أن تكون عراكا صوتيا يهدد روعة وبهاء هذا المكان الذي يبدو وكأنه قطعة من قصر منيف. صورة «ياسمين» بالحجم الكبير، تتوسط البهو بابتسامتها الضاحكة وكأن صاحبتها تتخفى وراء الصورة. حقًا، ما أجمل وما أروع الروحَ الضاحكة التي تترك شعور الدفء وراءها في كل مكان!

– بنتك فين ياهانم؟! اتأخرت جدا وأنا بدأت أقلق عليها جدا.

– وآنت من إمتى وآنت بتقلق عليها! هي دايما بتتأخر برة وانت عارف.. عموما زمانها جاية، اخرج بس انت ولما تيجي هاطمنك.

- إزاي أخرج وتليفونها مقفول ومش بترد!! أنا قلقان.. أكيد حصل حاجة، أنا هاتصل بخطيبها؛ يمكن معاه وقافلين الموبايل كالعادة.

لم يرد خطيبها على التليفون. ببساطة لأنه قرر الانفصال عن «ياسمين»، وبالطبع عن أسرة ياسمين بعد أن كانت له كل شيء، وبديلا عن أسرته المسافرة منذ سنوات إلى الخليج.

حاولت أمَّ ياسمين الاتصال بخطيب ابنتها عشرات المرات، ولكن تليفونه يرن ولا أحد يرد! فقررت أن ترسل رسالة عله يطمئن قلبها المشغوف، ولكن ما من مطمئن، وما من مجيب! أسرع الأب إلى بيت خطيبها ليستوثق الأمر، ولكنه وجد فتاة أخرى، لم تكن ابنته، لم تكن ياسمين!! دارت الدنيا برأسه ولم يدرِ ماذا يفعل؟ وكيف السبيل إلى معرفة أين ابنته الآن وبعد الساعة الثانية صباحًا؟ كيف السبيل وهو لا يقوى على الاتصال بالشرطة تحاشيا فضيحة العائلة. هرع إلى كل المستشفيات يبحث عنها ولكن لا أثر لها! رجع البيت خائبا ليجد زوجته هي الأخرى تنتظر بجانب التليفون والقلق يروح ويجيء بها. قررا أن ينتظرا حتى الصباح لعل ضوء النهار يأتي بالفرج قبل أن يذهب لتقديم بلاغ للشرطة عن غياب ابنته الوحيدة التي تعني له الحياة بحلوها ومرها.

مـرت سـاعات الليـل علـى أسـرة ياسـمين وكأنهـا الدهـر الـذي نُزعت منـه الدقائق والسـاعات والأيام. سـاعات مـرت كالدهـر الـذي غضـب علـى أصحابـه فوضـع في قلوبهـم وعقولهـم جمـرة متقـدة بنيـران الحيـرة والقلـق. بالطبـع لـم ينـم أسـتاذ «شـوقي» رجـل الأعمـال المعـروف، والـذي يمتلـك مـن المـال والعقـارات والمشـاريع الكبـرى مـا يجعلـه مترفـا ولاهيـا وغيـر مبالـي بالنـاس ولا احتياجاتهـم، ولكنـه ورغـم كل هـذا الثـراء رجـل أدب، ورجـل حِلـم وفضيلـة، ويـده تسـبق قلبـه في العطـف علـى النـاس ومسـاعدتهم. ولذلـك فالنـاس تحمـل لـه حبـا جمًّـا، وعرفانـا وامتنانـا يجعـل مـن كل منهـم جنديـا في خدمتـه إذا أراد. ومـع ذلـك لـم يشـأ «شـوقي» بـك أن يخبـر أيًّـا مـن هـؤلاء الجنـود المخلصـين عـن غيـاب ياسـمين، خاصـة أنهـم يعيشـون في أماكـن مختلفـة مـن المدينـة. وكذلـك لـم يشـأ أن يخبـر أصدقـاءه مـن أصحـاب الرتـب العليـا في الشـرطة والمحافظـة؛ آمـلا أن ينتهـي هـذا الكابـوس في الصبـاح الباكـر.

بالطبـع لـم يسـتطع «شـوقي» بـك النـوم، فنـزل إلـى بهـو الـدور الأول يتمشـى فيـه ذهابـا وإيابـا، وعينـاه علـى صـورة ياسـمين التـي تتوسـط البهـو، وقلبـه وعقلـه علـى البـاب متمنيـا أن يسـمع همسـات ياسـمين وراءه بعطرهـا وضحكاتهـا الطفولية، فيجـري ليفتـح لهـا البـاب ويحتضنهـا بقلبـه، ويخبئهـا في حجراتـه حتـى لا تفعـل بـه مـا حـدث اليـوم مـرة أخـرى.

ولكن لم تأتِ «ياسمين» حتى الصباح الذي هلَّ بضياء أشعته من بين لفات الستائر الفخمة والأنيقة التي تحيط بالبهو الواسع. ومع أن الشمس رائعة في صباح هذا اليوم من أيام نهاية الخريف إلا أن قلب شوقي بك ما زال تملأه ظلمة الليل لغياب ياسمين. تمنى في هذه اللحظة التي أتت عليه -ولأول مرة في عمر ياسمين- وهي خارج سريرها، وهو لا يعرف أين هي؟! ومع من؟! وماذا حدث لها؟! وكيف هي الآن؟! كم تمنى في هذه اللحظة أن يفقد كل ما يملك من مال وجاه وسلطان وتأتي له ياسمين مهرولة لحضنه بضحكاتها الطفولية البريئة، على الرغم من سنواتها الخمس وعشرين.



- صباح الخير ياشوقي.. هي ياسمين لسه ماجاتش؟ قالتها أم ياسمين وهي تهبط درجات السلم واضعة راحة يدها على فمها من التثاؤب. ملأ الغيظ «شوقي» وهو ينظر إليها متمنيا لو كان يستطيع ضربها لتفيق من اللامبالاة التي تتملكها حتى في غياب ابنتها الوحيدة، ورحيل الليل دون أن تأتي! ولكنه لا يستطيع فتقاليد الأسرة والحي والزمان والمكان وطبيعته الشخصية تمنعه من أن يمد يده عليها، فكل ما يستطيع فعله تجاه أم حبيبة قلبه ياسمين هو مجرد نهرها والعراك كلاميا معها. لم يرد «شوقي» بك عليها، فيكفي ما هو فيه الآن من قهر أب يتمنى أن يرى ابنته الآن ماثلة أمام عينيه.

- هانعمل إيه يا شوقي؟ لازم تتصرف البنت كده واضح إنها في مشكلة كبيرة، وممكن كمان تكون اتخطفت، وإللي خطفها عايز دية كبيرة. ألقت أم ياسمين هذه الكلمات في وجه شوقي بك وهي في طريقها للجلوس على الفوتيه المجاور للمدفأة باحثة هناك عن دفء، على الرغم من دفء نهار اليوم الرائع الذي لم تشهده المدينة منذ حلول فصل الخريف المتقلب هذا العام.

- هو إنتِ كل أفكارك مادية حتى في غياب بنتك!! على الرغم من اقتناعي بفكرة الخطف دي إلا إن كل موقف يمر علينا يؤكد لي ماديتك وحبك للمال الذي يسكن قلبك وعقلك.. عموما أنا هاتصرف بعد ساعة من دلوقتي، ماتقلقيش.

ردت بعصبية: أنا هاتجنن يا شوقي.. أنا عايزة ياسمين ولو بمال الدنيا، أنا عايزة بنتي حبيبتي.

- طيب يالـلا استعدي وجهزي الفلوس اللي عندك؛ لأن واضح إن الدية هاتكون كبيرة.

- واجهز ليه يا شوقي؟! البركة فيك يا حبيبي.. إنت قدها وقدود.. ومين عارف يمكن يكون حد من اللي إنت بتعطف عليهم هو إللي دبر الخطف علشان عارف إنك تقدر تدفع.

لم يستطع «شوقي» بك سماع هذه الاتهامات في هذا الوقت، ودون أن يدري استنجد بأحد هؤلاء الجنود المحبين له ليساعده، وكأنه يريد أن يثبت لزوجته -ودون أن يدري- أن ما يدور في ذهنها هو محض هراء، وأن هؤلاء الناس فوق الشبهات، وفوق الخيانة حتى ولو كانوا فقراء مدقعين.



الفصل الثالث

«رواية بعنوان «رومانسية للبيع» فكيف لشاب غير متعلم في هذا الوسط الشعبي أن يقرأ رواية بهذا العنوان الرومانسي!».

هذا الصباح رائع في الحارة، الشمس مشرقة وأشعتها تتجول في كل ركن في الحواري الضيقة مما يعطي شعورا بدفء في القلب قبل الجسد. شمس لم يتوقعها اليوم أهل هذه المنطقة، فهل يا تُرى أتت أشعة الشمس لتبارك وجود ياسمين المفاجئ، وتعقم لها هواء وتراب ومباني هذه المنطقة لتستطيع التنفس دون أن تصيبها تلك الميكروبات الفتاكة والنادرة التي تغص بها؟ من يدري لعل اللّٰه يخلق الأسباب ويطوعها على حسب ما تعود عليه عباده.

هذا اليوم المشمس جعل من أهل الحارة يتخذون من أمام بيوتهم المتراصة والضيقة والرطبة مكانا لحمام شمسي مفتوح. فقد جلس بعض النسوة بملابسهم الخفيفة -التي تظهر منها أجزاء كبيرة من أجسادهن- يتحدثن في أمورهن العائلية والخاصة وكأنهن يقرأن من كتاب مفتوح. أتت أصوات بعض النسوة من الشارع إلى مسامع ياسمين فاستيقظت من نوم عميق، ورويدا بدأت تميز بوضوح الكلام القادم من الشارع.

تعجبـت مـن الصراحـة المتناهيـة في كلامهـن حتـى في الأمـور الخاصـة جدا. حركـت جسـدها في العبايـة بهـدوء واسـتلقت مضطجعـة علـى السـرير لتسـتمع إلـى حديثهـن لعلهـن يشـيرن عنهـا فتفهـم مـا بداخلهـم. حمـدت اللّه أنهـا اسـتطاعت الحركـة ولـو بألـم. سـمعت الهمهمـات مـن الأفـواه التـي تتحـدث عـن الطبيـخ، وعـن الجنـس، وعـن الخيانـة، وعـن السـرقات، وعـن النصب، فتعجبـت كيـف يتحدثـون في هـذه الأمـور علـى العلـن وبهـذه البسـاطة!

تسـمرت في مكانهـا عندمـا سـمعت إحداهـن تقـول: هـو صـلاح مانزلـش ليـه؟! دا احنـا سـيبناه مـع السـنيورة لوحدهـم بالليـل.. يـا تـرى نـام إزاي معاهـا؟؟

ردت أخـرى: ياختـي ده جسـمها مدغـدغ ومـش بتتحـرك.. يعنـي اسـتحالة يحصـل حاجـة.. هاتلاقيـه نـايم بـرة في الصالـة وراحـت عليـه نومـة.

– طيـب واحـدة تـروح تبـص عليـه وتشـوفه.. وبالمـرة تطمـن علـى السنيورة.

لـم تصـدق ياسـمين أن تكـون قضـت الليلـة في سـرير رجـل لا تعرفـه، ونامـت دون أن تـدري بنفسـها وهـو ينـام معهـا في نفس المكان. شـهقت شـهقة كبيـرة كتمتهـا في نفسـها مخافـة ممـا حـدث. نظـرت

إلـى جسـدها فوجـدت كل شـيء كمـا هـو، ولكنهـا فوجئـت بكتـاب بجانـب المخدة وعليـه ورقـة صغيـرة مكتـوب عليهـا بخـط جميـل بقلـم رصـاص، «صبـاح الخيـر، أنـا نمـت في الصالـة بـرة لمدة سـاعتين لحـد مـا اطَّمِّنـت إنـك نمتِ، وبعديـن رُحـت نمـت مـع جـاري صاحبـي، ودي روايـة يمكـن تعجبـك وتقـري فيهـا لـو صحيـتِ بـدري».

تنفسـت الصعـداء عندمـا رأت الورقـة، واحتفظـت بهـا كمسـتند يحميهـا وقـت السـؤال، وشـكرته في نفسـها، وتمنـت أن تـراه الآن لتشـكره علـى رجولتـه منـذ لحظـة نقلهـا بعـد وقـوع الحادثـة وحتـى الآن دون أن يتسـبب لهـا في أي إحـراج.

وفجـأة، دخلـت النسـوة عليهـا وبـدون اسـتئذان بجلابيبهـن النصـف شـفافة مردديـن في نفس واحـد: حمداللّٰه علـى السـلامة يـا سـنيورة، إنـتِ ياختـي بقيـتِ حلـوة أهـوة.. وبتتحـركِ كويـس.

ردت ياسـمين وبخجـل يتخللـه رهبـة منهـن: الحمـد للّٰه أنـا لسـه صاحيـة حـالا ولقيـت نفسـي باتحـرك كويـس بـس لسـه فيـه ألـم.. وجـع يعنـي في كل حتـة مـن جسـمي.

– طيب وفين صلاح ماهواش بره في الصالة؟

– هـو سـاب الورقـة دي، وقـال إنـه راح عنـد واحـد صاحبـه ينـام للصبـح.

- والله برافوا عليك يا أبو صلاح.. واد راجل صحيح.. وقال إيه كتب ورقة علشان مايصحهاش، ده إيه الحنية دية!

ردت إحداهن بصوت فيه دلع: والله إللي يشوف الحنية دي ما يصدقش خالص إنه عتّال وعمال يشيل على كتفه ويحط طول النهار زي الجمل.

- ربنا يحميه ياختي، هو طول عمره شهم وطول عمره مختلف عننا. نسيتِ لما كان قال إيه عايز يكمل تعليمه، وأبوه زعقله وضربه وقاله إنت هاتشذ عننا.. والواد كان بيهرب واتعلم مع صاحبه من غير أبوه مايعرف؟

- يا ختي آآه كان زمان.. ودلوقتي بقى أهوةّ زينا وزي الفل.

ضحكت أخري: أهو الكلمتين اللي اتعلمهم نفعوه أهُو، وكتب للسنيورة.. كأنه كان بيهرب ويتعلم علشان يكتبلها الكلمتين دول النهاردة!!

لم تعلق «ياسمين» على أي من هذه الحوارات، ولكنها كانت تستمتع بكل كلمة تقال وكأنها تقرأ رواية أخري لنجيب محفوظ عن زمن آخر، ولمكان آخر، وأناس آخرين تشبه الحرافيش. وما إن انصرفت النسوة أخذت «ياسمين» تحرك ساقيها الواحدة تلو الأخرى نحو الشرفة الضيقة والتي لا تكاد تتسع لجسدها النحيل،

لتطل على الشارع وعلى بيت الجيران الذي ذهب إليه «صلاح» ليبيت فيه.

البيت المجاور لا هو ببيت، ولا عشة، ولا دوار. مجرد دور واحد نصفه من الطوب الأحمر بدون أي دهانات، ونصفه الآخر من الصاج للحماية من الشمس والمطر. البيت لا يحوي سوى غرفة واحدة، وصالة ضيقة تتوسطها منضدة بلاستيك قديمة، وكرسيين بلاستيك أيضا بحالة يرثى لها. وعلى الجانب يوجد حوض مياه وبوتاجاز مسطح ومستهلك. كل ذلك تستطيع أن تراه «ياسمين» من الدور الثاني لشقة صلاح بدون معاناة. ألقت بنظرها لتجد صلاح يجلس على المنضدة البلاستيك أمام صديقه يرتشفان الشاي ويتحدثان ويبدو أن النقاش قد احتدم بينهم.

لم ترِد أن تظهر أنها تتصنت عليهم، فرجعت إلى سريرها لتستلقي فيه حتى يعود «صلاح» لتعرف منه الخطة، وتطلب منه أن يساعدها في العودة إلى بيت الأسرة. استلقت على السرير، وأخذت تتصفح الرواية التي تركها صلاح. استغربت جدا من عنوان الرواية «رومانسية للبيع» فكيف لشاب غير متعلم مثل صلاح، ويعمل عتالا وفي هذا الوسط الشعبي جدا أن يقرأ رواية بهذا العنوان الرومانسي!

أدهشـها كثيـرا عنـوان الروايـة، وأخـذت تقـرأ الفصـول الأولـى، علها تجـد شـخصية «صـلاح» قابعـة بـين سـطور هـذه الرواية.

●●●

الفصل الرابع

«تعجبت وتمنت في نفسها: لماذا لا يكون كل الناس بسطاء هكذا؟! لماذا نصنع لكل موقف كلماته وعاداته ومنطقه ومفرداته؟! لماذا لا نتصرف بعفوية؟! نحب بعفوية؟! نأتي بعفوية؟! نرحل بعفوية؟!».

وهو يرتشف الشاي ببطء وكأنه يستمتع بكل قطرة فيه، أو كأنه وجد ملاذه هذا الصباح في كوب الشاي هذا، سأل «محمود» صلاحَ وقد رفع حاجبه واستنكر: يابني حكاية غريبة وأول مرة تحصل في المنطقة.. بس إيه إللي خلاك تعمل كده وتاخدها عندك في البيت؟!

- والله يا أخي أنا ماعرفش إيه إللي خلاني أخدها عندي البيت.. بس كنت هاوديها فين وهي في الحالة دي، وماحدش معاها ومعرفش عنها حاجة ومتبهدلة جروح؟

- عموما إنت عملت إللي عليك يا صاحبي.. بس لازم تنهي الموضوع ده؛ لأنه ممكن يشغلك عن شغلك اللي بتاكل منه. أنا يا صلاح بصراحة خايف عليك.

- خايف عليّ من إيه يا محمود؟! احنا من إمتى بنخاف، أو نعرف طعم الخوف ولو من العفريت الأزرق، ده إحنا إللي نخوف بلد. فهمني بقى خايف عليّ من إيه؟؟! وبعدين يا أخي بدل ماتتفلسف كده ما تبقى تصلح الكرسي المكسر بتاعك ده. أنا قاعد عليه وكأني راكب مرجيحة.

نهض «محمود» من على كرسيه، ووضع رجله اليمنى عليه متفحصا وجه صلاح: إنت اتعصبت واضايقت ليه يا صاحبي، هو أنا باقوللك انت خايف، أنا بقول خايف عليك.. وبعدين يا سيدي ما الكرسي زي الفل أهو وشغال يعني. وصاح محمود وهو يضحك: وبعدين يا سيدي وإيه يعني لما تتمرجح عليه، هو إنت تطول تتمرجح. وياسيدي أهي فرصة علشان تتعود على مرجيحة الحياة اللي عمالة تمرجحنا من غير ما تسألنا لحد ما توقعنا. على الأقل الكرسي مش ها يوقعك.

- لا لا يا محمود إنت النهاردة مش طبيعي! إنت بقيت فيلسوف كبير، وكده هاتروح في داهية، شكلك كده اتعَديت من الناس التانية إللي بتشتغل عندهم وبقيت زيهم. عموما يا سيدي ماتخفش على أخوك أنا تمام التمام وماحدش يقدر يخوفني.

- يابني يخوفك إيه بس! أنا خايف عليك من الحب يا

أهبل.. خايف عليك تكون حبيت البنت إللي وديتها عندك البيت، أنا شامم من كلامك كده، وبعدين إنت نسيت إنك اتمردت على الحياة هنا لما كنت صغير وقد إيه أبوك -اللّٰه يرحمه- كان بيضربك لما كنت بتروح تتعلم من وراه بدل ما تسرح في الشارع وتجيبله فلوس.. إنت نسيت إنك كنت عايز تتعلم وتخيب وتطلع دكتور! نسيت إنك كنت بتشتري روايات مستعملة وتقراها من ورا أبوك وأنا إللي كنت بداري عليك لما كنت بتخبيها عندي وقت الزنقة مع أبوك مع إني ماعرفش إيه اللي فيها؟؟ أكيد بقى إنت انبسطت لما حصلت الحادثة علشان تِطَلع اللي جواك في واحدة مضروبة بالعربية بدل ما كنت سيبتها ورحت شغلك أو كنت استفدت من الموضوع بأي سبوبة على الماشي. عرفت ليه بقى أنا خايف عليك؟؟ نهض صلاح من على الكرسي متجها نحو محمود، وضحك ضحكة كبيرة امتلأ بها المكان المتهالك: يابن الإيه يا محمود كل ده طلعته وفسرته من اللي حصل، دا إنت طلعت فيلسوف وأنا مش عارف! أنا يابني صحيح عملت كده وأنا صغير.. ولكن كل ده كان زمان وانتهى وكانت خيابة مني وتبت ورجعت وبقيت زيكم في كل حاجة. وبعدين ما انت شايفني أهه مجرد عتّال أشيل وأحط وماحيلتيش اللضى. أنا بس اهتميت بيها لأن شكلها بنت ناس وخفت عليها لأنها كانت مش دارية بحاجة.

إنما حب إيه يا ريس؟ أنا لما أحب أكيد هاتبقى بنت من هنا، من المنطقة عارفة طباعنا وعاداتنا وعلى قد حالنا. وبعدين مين عارف يمكن أطلع بسبوبة من ورا الموضوع ده. واستطرد صلاح بابتسامة خبيثة: وساعتها مش هانساك يا صاحبي.

- طيب يالـلا يا صلاح، روح شوف ها تعمل إيه وإنا هاروح أدور على رزقي لأن العملية بقت صعبة والمَرة بقالها أسبوع قاعدة في البيت من غير شغل.. بس خلص الموضوع ده النهاردة وخليها تروح حتى ولو العربية بتاعتها اتكسرت، خلّيها هنا واحنا نبيعها حتة حتة. يا الـلا أنا لازم أمشي أحسن جالي تليفون من واحد من الكبار حبيبي، وماقدرش ماردش عليه.

- طيب يا محمود أنا هامشي وأشوفك بعدين لما ترجع، بس مين ده اللي بيطلبك وحبيبك قوي كده؟

- واللّه هو واحد تقيل إنت ماتعرفوش، راجل مبسوط وعنده فلوس وعمارات وفيلـلا حلوة ومصنع باشتغل فيه أحيانا وهو بيراضيني في أي وقت أحتاج فيه فلوس، علشان كده ممكن أعمل أي حاجة يسألني عليها، ماقدرش أأخرله طلب أبدا.

- طيب يا سيدي يا بختك بيه، رد عليه وأنا هاروح أشوف أخبار ياسمين إيه وبعدين أروح الشغل.

- يا صلاح اطمن عليها وبعدين فكر إزاي نستغل البنت دي، وناخذ من وراها فلوس سواء منها أو من أبوها أو أمها، المهم نستفيد منها بحاجة، إنت عارف العملية بايظة وقحط ولازم نتصرف يا بطل.. والأهم الفرصة جات لحدنا أهو بدل ماندور عليها.

ومع استمرار رنين التليفون رد محمود: حاضر حاضر تحت أمرك ياباشا، هاجيلك حالا بس هدي نفسك، إن شاء الله الأمور تبقى تمام.

- انا ماشي يا صلاح لأن الموضوع باين عليه كبير والراجل محتاجني. سلام يا صاحبي.

- سلام يا محمود وابقى طمني.

●●●

سمعت «ياسمين» نقرا على الباب. تعجبت كثيرا؛ فلم يستأذن أحد للدخول عليها منذ أن فاقت من نومها، فالكل يدخل بدون إذن!

«اتفضل يا صلاح». قالتها ياسمين وهي ما زالت على السرير.

- صباح الخير عليكِ، بس عرفتِ منين بقى إني إللي بخبط على الباب؟

- يا صلاح ما فيش حد هنا بيستأذن لما بيدخل خالص! جالي الصبح الستات ودخلوا عليّ كده عادي وكنت محروجة منهم.. بس هما طيبين جدا ويشكروا إنهم سألوا عليّ.

- والله هما طيبين جدا بس على طريقتهم.. وموضوع الاستئذان ده بالذات مش موجود هنا خالص؛ لأن الكل مؤمن بأن كل بيت في المنطق بتاعه وكل الناس اللي هنا إخوات وأصحاب وقرايب وعلى كده كلنا بنصرف على هذا الأساس، فما تخليش الموضوع ده يضايقك لأنه عادة.

- أبدا ياصلاح، أنا بس استغربت، وإيه كل إللي في إيدك ده؟

- ده الفطار كده على قد ماقُسم.. حزمة جرجير وعيش وطبق فول وطبق طعمية ومخلل.

- بس أنا ماليش نفس يا صلاح، ولسة حاسة بألم في جسمي.

- علشان كده حضرتك لازم تاكلي. ثم نظر إلى وجهها مباشرة بابتسامة فيها رجولة الصباح: وأهي فرصة تجربي أكلنا ويبقى عيش وملح.

- طيب ممكن أغسل إيديا، وبعدين ياريت بلاش حضرتك دي، خالينا كده صحاب واخوات، ما فيش أخ هايعمل مع أخته إللي إنت عاملته معايا.

- لأ، المقامات محفوظة، وبعدين أنا ما عملتش حاجة، ده الواجب إللي كنت هاعمله مع أي حد زي حضرتك، واضح إنك بنت ناس ومش وش بهدلة. وبعدين إنت نستيني، حمد الله على السلامة أنا شايفك أفضل من امبارح بكتير، إن شاء الله تكوني زي الفل على آخر النهار.

- شكرا يا صلاح، بس أنا لازم أمشي، ده زمان بابا وماما قالبين عليا الدنيا وأنا ما تصلتش بيهم، وأنا مصممة على إنك ماتقوليش حضرتك، أنا عموما مش بحب الرسميات.

- عموما نفطر بس الأول وأنا هاعملك إللي إنتِ عايزاه. خليكِ مكانك وأنا هاجيبلك شوية مية تغسلي بيهم إيديكِ.. على السرير هنا أفضل.

أحضر «صلاح» شفشقا، وملأه بالمياه، وأحضر معه وعاء بلاستيك يحتفظ به تحت الحوض وبه بواقي قطعة صابون. وضع الإناء على السرير تحت يديها، وصب عليها الماء رويدا رويدا حتى غسلت يديها على مهل.

ومع استغراب «ياسمين» إلا أنها أكننت بداخلها شعورا بالاستمتاع غير العادي بما يفعله معها صلاح والطريقة الجديدة لغسل يديها والتي لم تجربها من قبل، وشاهدتها فقط في أفلام

السينما. شعرت وأنها ملكة متوجة على عرش الاهتمام الذكوري الذي يجعل من الرجولة شهامة تمشي على الأرض واهتماما يتحرك بين يديها ومن أجلها، وأفعالا تحدث ولا تتكلم، وإن تكلمت تعبر ببساطة بلا تذويق في الكلام.

تعجبت وتمنت في نفسها، لماذا لا يكون كل الناس مهما كانت مقاماتهم بسطاء هكذا، لماذا نعقد الأمور والمواقف ونصنع لكل موقف كلماته وعاداته ومنطقة ومفرداته، لماذا لا نتصرف بعفوية مثل هؤلاء الناس البسطاء، نحب بعفوية ونكره بعفوية ونهتم بعفوية ونأتي بعفوية ونرحل بعفوية؟! صحيح أن الحياة خلقت بنظام وبجمال وأناقة وروعة تزين كل مخلوقات الله، ولكنها أيضا تعتمد على قانون البساطة، ليتنا مثل هؤلاء الناس في بساطتهم وعفويتهم في أمور حياتنا وعلاقتنا.

- إيه روحتِ فين حضرتك، واضح إنك سرحتِ وانت بتغسلي إيديكِ. ثم أضاف مبتسما: وبعدين الميا خلصت وبصراحة مرضتش أسحب الشفشق وامشي لأنك كنت مادة إيديك لسه في الطبق البلاستيك، يا ترى فيه إيه؟

- ولا حاجة، ما تشغلش بالك، أنا بس عاجباني البساطة في التعامل هنا قوي مع إني مش عاجبني بساطة البيوت بصراحة.

أنـا مـش عارفـة هـل البسـاطة في العلاقـات الإنسـانية مرتبطـة بالبسـاطة في الأشـياء؟ أم أن البسـاطة هـي فطـرة أم تربيـة أم عـادة مكتسبة؟ هـل ممكـن تجتمـع البسـاطة مـع فخامـة الأشـياء. ده سـؤال كبيـر مافكرتـش فيـه قبـل النهـاردة، ولكنـه سـؤال مهـم جـدا ياريـت أقـدر أجـاوب عليـه في بحـث إجتماعـي.

- هـو حضرتـك باحثـة إجتماعيـة ولا إيـه؟ وبضحكـة عاليـة مـن القلب والعقـل علـق صـلاح: عمومـا احنـا أحسـن نـاس تعملـي عليهـم بحـث اجتماعـي، بـس صعـب إنـك تعمليـه إلـلا في حمايـة حـد مـن المنطقـة. والله أنـا قلـت برضـه إن حضرتـك يمشـي معـاكِ باحثـة اجتماعيـة بـس علـى ولاد الـذوات.

ابتسـمت «ياسـمين» وهـي تحـاول أن تنهـض مـن علـى السـرير تجـاه المنضـدة الخشب وسـط الغرفـة، ولكـن «صـلاح» أصـّر أن تبقـى في السـرير، وسـيقوم هـو بعمـل سـفرة بالجرانـين توضـع عليـه؛ حتـى لا تبـرح مكانهـا خاصـة أن عبايتهـا قصيـرة وشـفافة. وبسـرعة افتـرش «صـلاح» الجرائـد، وجهـز الفـول والطعمبـة والعيـش والجرجيـر والبصـل والمخلـل، فبـدا شـكل السـفرة الورقيـة بمنظـر رائـع أمـام ياسـمين، خاصـة مـع سـقوط أشـعة الشـمس بـدلال مـن الشـباك الوحيـد علـى السـفرة لتعكسـها أقـراص الطعميـة الكبيـرة.

ومع أنها لم يكن لديها شهية للأكل نهائيا، فقد فتح منظر الأكل والحديث شهيتها، خاصة أن ما يحدث الآن هو بالنسبة إليها إفطار فلكلوري يجب أن تستمتع بكل لحظة فيه، فقد شاءت الظروف أن تعيش هذه اللحظات الفريدة بنفسها وكأنها تمثل فيلما صنع القدر أحداثه وطلب منها أن تكون البطلة الوحيدة فيه.

- هو ده فطورك كل يوم يا صلاح؟ وبتجيبه منين؟ وبيكلفك كام؟ومين بيفطر معاك؟

- تقريبا هو ده الفطار اليومي بتاعي، وتقريبا ماعرفش آكل غيره؛ لأني اتعودت عليه.. وكفايه إنه طازة ومضمون ومش مغشوش لأني باجيبه من المنطقة من هنا مش من برة، وهنا استحالة حد يغش التاني ففيه ثقة بين الناس. أما بافطر مع مين، فعادة مع صحابي في الشارع قبل مانزل الشغل.. أو لوحدي هنا لما أكون مستعجل. طيب وحضرتك بقى بتفطري إيه؟

- والله أنا مش بافطر كثير لأني عاملة ريجيم، وهابقى أحكيلك بعدين على موضوع أكلي ده، المهم بقى قوللي رأيك إيه في موضوع البساطة ده.. وارتباطه مع بساطة أو فخامة الأشياء؟ على فكرة الطعمية تجنن خاصة مع المخلل والبصل. وبضحكة خجولة أردفت قائلة: كده الريجيم هايبوظ..

- بالهنا والشفا، الفول بالزيت الحار هايعجبك جدا؛ لأنه صحي ومش مغشوش، إنتِ عارفة الناس برة بيحطوا عليه مواد بتجيب المرض علشان يستوي بسرعة.. ياريت تجربي الفول علشان أجاوب لك على سؤالك.

- هو فعلا شكله يجنن خاصة مع الطحينة، أنا بحب الفول بس مش بأكله كثير، بس فعلا طعمه يجنن، كده فهمت ليه معظم الستات هنا تخان ومش هامهم من كده، وأكيد لابسين عبايات واسعة بقى علشان يداروا. بس قولي يا صلاح، إيه حكاية عندنا وبرة دي؟! أنا سمعتها كثير منك ومن الستات اللي جم زاروني الصبح. أنا حاسة كده إنك بتتكلم على جزيرة أو بلد جوه بلد، يعني تقصد إيه بكلمة الناس إللي برة؟ احنا كلنا مصريين وهنا في محافظة واحدة ومدينة واحدة، مش فاهمة حاجة. أول مرة أسمع الكلام ده!

- طيب بس نكمل الفطار وبعدين نعمل كوبايتين شاي وهاجاوبلك على سؤال البساطة وسؤال الناس إللي برة.. اتفقنا؟

- اتفقنا ياسيدي، عموما أنا خلاص قربت أشبع ده أنا أكلت كثير جدا وربنا يستر بقى عليا.. أخرج من حادثة أدخل في مغص.

ضحك «صلاح» على ضحكة ياسمين: ماتقلقيش حضرتك.. البصل والجرجير هايقوموا باللازم، إمال احنا بناكلهم ليه، طمعهم حلو ورخاص وكمان فيهم الشفا.

- ماشي يا سيدي، كمل إنت فطارك وأنا هاقوم على مهلي أغسل إيدي على الحوض بس ياريت تجيب القميص والبنطلون ألبسهم قبل ما قوم.

- قميص وبنطلون إيه بس، انسيهم بقى لأنهم متقطعين وعليهم دم.. فيه حد من الستات جاب عباية تانية ادهالي الصبح وأنا طالع وهي برة في الصالة، هاجيبها تلبيسيها وانا هاستنى بره أعمل الشاي.

- أوك يا صلاح شكرا جدا بجد، تعبتك وتعبتكم كلكم معايا. على فكرة هو إنت ماعندكش شغل النهاردة.

- والله ما فيش شغل اتفقت عليه لسه، بس فيه ناس من المنطقة جايين يتفقوا معايا على شغل بعد شوية، بس الشغل بكرة مش النهاردة.

انتقل صلاح إلى الصالة يحضر الشاي وهو في قمة السعادة، ودندن بأغنيته المفضلة «يا عيني على الصبر يا عيني عليه» لوديع الصافي، وجلس على كرسي أمام المنضدة، ونظف الكرسي الثاني لتجلس عليه ياسمين.

أقبلت ياسمين في العباءة التي غطت جسمها، ولم يبدو منه شيء سوى يديها ووجهها وعنقها وقدميها، ولما رأت نفسها في قطعة المرآة أعلى الحوض بدت وكأنها شخص آخر، أو كأنها في حفلة تنكرية. جلست على الكرسي المقابل لصلاح، وبدأت في احتساء الشاي الدافئ الذي كانت تحتاجه جدا عوضا عن النيسكافية الذي تعودت أن تشربه كل صباح قبل ذهابها للكلية.

- منتظرة إجابتك على السؤالين بتوعي زي ما وعدتني.

- حاضر طبعا، بس برضه ياريت تجاوبيلي على سؤال شاغلني، مع إن البنطلون ضيق والقميص بيحدد الجسم وانتوا بتخرجوا فيهم في الشارع، ليه العباية الشفافة اعتبرتيها عيب وطلبتي تلبسي القميص والبنطلون تحتها قبل ما تقعدي معايا؟

- والله يا صلاح عندك حق، بس السؤال ده مشترك، ليه الستات هنا بيلبسوا عبايات شفافة وحتي قدام الرجالة كده عادي ولما بيخرجوا بيلبسوا عباية تانية زي اللي أنا لابساها دلوقتي. نفس المنطق اللي ورا سؤالك. جاوب بقى انت على الثلاث أسئلة يا بطل.

ضحك صلاح بدلال مصطنع: حاضر يا فندم نجاوب وأهي فرصة أشغل مخي اللي واقف من زمان بطريقة مختلفة.

●●●

الفصل الخامس

«إنه القدر الذي يسوق الناس في لمح البصر إلي أحداث ومواقف وأناس لم تخطر لهم علي بال، إنه القدر الذي يريده اللّه لسبب ما علمناه أو جهلناه»

وما إن سمع صوت جرس الباب الخارجي للفيلا حتى هرول «شوقي» بك ليفتح لمحمود الذي أتى على التو بعد اتصال شوقي بك به منذ قليل.

- حضرتك قلقتني، أول مرة أسمع صوتك ملهوف كده. خير إيه إللي حصل؟! رقبتي سدادة، أؤمرنئ بس وأنا أنفذ، ده جمايل حضرتك مغرقاني.

- أهلا يا محمود، اقعد بس علشان أحكيلك. إنت عارف إني عمري ما طلبت منك حاجة قبل كده، وعمري ما فكرت أطلب حاجة بس أنا محتاج مساعدتك دلوقتي وعايز أشوف هاتعمل إيه.

- يا خبر، طلبات حضرتك أوامر، حضرتك عارف معزتك عندي قد إيه بخلاف كل رجال الأعمال التانيين إللي اشتغلت معاهم قبل كده أو باشتغل معاهم دلوقتي. قولي فيه إيه.. حد اتعَدى عليك؟ أو نصب عليك؟ أو خلي بيك؟ قولي وأنا أجيبلك حقك من غير ولا كلمة.

- لا أبدا، ما فيش حد عمل كده بس بنتي الوحيدة المعيدة في كلية الآداب ماجاتش البيت من امبارح المغرب.. وأنا وماماتها هنموت من القلق، خاصة إننا سألنا في المستشفيات، وما فيش أي معلومات. ففاضل أقسام الشرطة وعندكم. وطبعا أكيد مش هناك في الأقسام مع أني ماسألتش لسه، لأن لو كانت هناك كانوا اتصلوا عليّ وقالولي، ما أنت عارف علاقتي الكويسة بيهم. اللي جاه في بالي أنا وماماتها إنه يكون حد خاطفها علشان يطلب دية، ففكرت فيك على طول؛ لأني ماعنديش أي معلومات عن المجموعات إللي بتعمل كده.. وبعدين مش عايز البوليس يعرف.. قلت إيه يا محمود؟ هو ده الموضوع السري والمهم إللي عايزك فيه.

- بس إيه إللي مخلي حضرتك متأكد كده من إنها اتخطفت؟ مش يمكن مع خطيبها أو عند حد من قرايبها أو صحابها وراحت عليها نومة، أو لا قدر اللّه عملت حادثة؟ صعبة قوي موضوع الخطف ده ياشوقي بك.

- أولا احنا اتصلنا بكل أصدقائها، وكل قرايبنا، ومافيش خبر إنها راحت هناك امبارح. ثانيا لو كانت لا قدر اللّه عملت حادثة كنا هانعرف أكيد إما من المستشفى أو من الشرطة. فالاحتمال الوحيد إنها مخطوفة علشان دية.

- بس لو كان كده كان حد اتصل عليكم علشان يطلب الدية.

- يـا محمـود إللـي عايـز الديـة، أكيـد هايسـتني شـوية علشـان يعـرف هانعمـل إيـه.. وكمـان علشـان نقلـق أكثـر فنوافـق علـى طول. وعمومـا ماحـدش اتصـل، ومـين عـارف يمكـن «داليـا» -وكان هـذا اسـمها بالإضافـة إلـى مـا اشـتهرت بـه- رمـت التليفـون علشـان مايعرفـوش رقمنـا ويتصلـوا، أنـا عـارف بنتـي.. عنديـة.

- عمومـا، أنـا تحـت أمـر حضرتـك، هاشـوف الموضـوع ده النهـاردة وهارجعلـك. بـس ممكـن أعـرف حضرتـك فكـرت فيّ ليـه؟ مـش معنـى أنـا بالـذات؟!

- واللّه يـا محمـود ومـن غيـر زعـل.. إنـت عـارف إن المنطقـة عندكم فيهـا بعـض النـاس إللـي بيعملـوا كـده، أو علـى الأقـل يعرفـوا مـين بيعمـل كـده.. وفـوق كل ده البوليـس مابيدخلـش المكان عندكـم بسـهولة خوفـا مـن التراشـقات. ممكـن أكـون غلطـان ولكـن ده إللـي سـمعته وعلشـان كـده قلـت لازم أعتمـد عليـك سـواء الـكلام ده مظبـوط أو لأ. البنـت لازم ترجـع النهـاردة تحـت أي ظـرف. قلـت إيـه يـا محمـود؟

- واللّه في جزء مـن كلام حضرتـك صـح يـا شـوقي بيـه.. عمومـا أنـا هاسـيب حضرتـك علشـان أعمـل كل إللـي أقـدر عليـه.. الدكتـوره ياسـمين في عينينـا مـن جـوه وإن شـاء اللّه تطمـن عليهـا النهـاردة. بـس ممكـن أعـرف هـي كانـت لابسـة إيـه وكانـت رايحـة فـين وراكبـه إيـه؟

- أعتقد أنها كانت لابسة بنطلون جينز وقميص أبيض طويل، وراكبه عربية سكودا لونها سماوي، والمفروض إنها كانت هاتقابل خطيبها. بس أنا اتصلت بيه وقال ما عرفش عنها حاجة لأنهم انفصلوا.

- ده معناه إن خطيبها أكيد له علاقة بالموضوع.. سواء هو نفسه أو بسببه. عموما ياريت آخد تليفونه وعنوانه أهه برضه يبقى معانا تحسبا.

- بلاش يا محمود، أنا مش عايز شوشرة.. أنا عايزك تعرف هي فين من غير حد ما يعرف خالص ولا حتى زوجتي، وأنا ماليش بركة إلا إنت.

- حاضر يافندم، إن شاء اللّه خير، وخيرك سابق يا باشا، ده واجب عليّ المرة دي.

●●●

اقتربت الساعة من العاشرة، وما زالت الشمس ساطعة بأشعتها المغرية للنزول إلى الشارع، والاستحمام بهذه الأشعة التي تملأ المنطقة مجانا وبدون أي رسوم. تمنت «ياسمين» أن تنزل لتأخذ هذا الحمام الشمسي وسط السيدات أمام البيوت، ولكنها ما زالت تعاني من بعض الآلام التي تخشى أن تكون بسبب كسر أو تهتك ولذلك فهي تتحرك ببطء شديد.

ومـع أن ياسـمين تسـتطيع أن تتصـل بأسـرتها الآن علـى الأقـل لتطمأنهـم عليهـا مـن خـلال أي تليفـون مـع صـلاح، أو أي شـخص آخـر بالمنطقـة، إلا أنهـا أرادت –وعـن عمـد– أن تؤجـل هـذا الاتصـال لأنهـا تعلـم تمامـا أن والدهـا سـوف يأتـي، أو يرسـل أسـطولا مـن السـيارات ليأخذهـا مـن هـذا المكان علـى الفـور، فمؤكـد أنـه يعرفـه أو علـى الأقـل يسـمع عنـه. وهـي لا تريـد أن تتـرك هـذا المكان الآن لشـغفها بمعرفـة كل شـيء عـن المنطقـة، مـن نـاس وبنايـات وثقافـة وعـادات. ومـن ناحيـة أخـرى تخشـى علـى والدهـا الـذي قـد يأتـي ومعـه قـوة مـن الشـرطة، أو رجـال مـن شـركائه فيحـدث مـا لا يحمـد عقبـاه.

ولذلـك أرادت «ياسـمين» تأجيـل هـذا الاتصـال علـى الأقـل إلـى المغـرب، وفي الوقـت نفسـه فتلـك فرصـة للاسـتمتاع بشـعور خـوف أسـرتها عليهـا، الإحسـاس الـذي بـدأ يتسـلل بداخلهـا هـي الأخـرى، وهـو الشـعور بالاشـتياق إلـى الأسـرة، ودفء سـريرها الـذي تعـودت عليـه. ولكنهـا قـررت أن تتحمـل تحـت إغـراء هـذا المكان الثـري الـذي لـو عُـرض عليهـا لتـزوره مـن قبـل لرفضـت رفضـا باتـا مهمـا كانـت المغريـات، لكنهـا هنـا وترتـدي عبايـة منـه، وتنـام علـى سـرير أحـد منـه، وتتحـدث إلـى أنـاس منـه، وتتمنـى أن تأخـذ حمامـا شمسـيا فيـه، ولا تسـتطيع!

إنـه القـدر الـذي يسـوق النـاس في لمـح البصـر إلـى أحـداث ومواقـف وأنـاس لـم تخطـر لهـم علـى بـال، إنـه القـدر الـذي يريـده الله لسـبب مـا علمنـاه أو جهلنـاه. وإذا حـدث ونفـذ القـدر فيجـب الاسـتفادة المطلقـة مـن كل لحظـة فيـه احترامـا وتقديـرا للقـدر.

طـرأت كل هـذه الأفـكار بـرأس «ياسـمين» وهـي تجلـس أمـام «صـلاح» تنتظـر منـه أن يجيـب علـى أسـئلتها الثلاثـة. تمنـت منـه أكثـر مـن ذلـك، تمنـت أن تعطيـه تسـجيلا ليقـص علـى نفسـه مـا يريـد أن يحكيـه منـذ الطفولـة حتـى الآن. مـاذا كان يريـد وهـو طفـل، ومـاذا يريـد الآن. مؤكـد هنـاك صراعـات كبـرى في عقلـه تريـد أن تفجرهـا في هـذه اللحظـة التاريخيـة والتـي تشـك أن تتكـرر. ولكنهـا أشـفقت عليـه ولا تتمنـى الآن سـوى رده علـى أسـئلتها الثلاثـة، حتـى لا تشـعر بالذنـب تجاهـه لتفجيرهـا رغباتـه التـي مـن المؤكـد أنهـا هـدأت منـذ مـاضٍ بعيـد.

نظـرت إليـه نظـرة أم حنـون، أو أخـت عطـوف، ولـم تشـأ أن تفيقـه مـن حالـة السـرحان التـي حلـت عليـه دون سـابق إنـذار، تركتـه حتـى يفيـق، وفرصـة تتأمـل ملامحـه التـي تقطعهـا خطـوط الطـول والعـرض –علامـات الشـقاء– في يديـه وشـفتيه وأناملـه، وكل نقطـة في ملامحـه التـي تسـكنها طيبـة لا يدركهـا إلا مـن يدقـق النظـر فيهـا ويتأملهـا في لحظـة صفـاء واسـترخاء وسـرحان دون أن يـدري كالآن.

تمنت لو معها فرشاة لترسمه وهو يتيه في مكان آخر وزمن آخر لا تعرفه. ولكنها رسمته بعينيها ومشاعرها كإنسانة.

●●●

الشارع ضيق لا يزيد اتساعه عن ستة أمتار، مثله مثل العديد من الشوارع بالأحياء الأخرى بالمدينة، إلا أن الرصيف فيه يكاد يكون منتهيا تماما مع وجود الكثير من الحفر، وبالطبع أكوام القمامة هنا وهناك. ومع أن الكثير من أبناء هذا الحي يقومون بمهنة «نباش» وهي النبش في القمامة بالأيدي مباشرة للبحث عن أي شيء ما زال محتفظا ببعض حالته، ولو قطعة خبز أو شنطة أو زجاجة فارغة أو علبة صفيح أو خلافه من الأشياء لبيعه ولو ببعض الجنيهات. ومن الممكن اعتبار النباشين -ودون أن يدروا- حلقة من حلقات إعادة تدوير استخدام النفايات، ببيعها -بعد تصنيفها- إلى مُوَردي المخلفات قبل بيعها للمصانع. والنباش بالطبع لا يهمه إعادة تدوير المخلفات، بل كل ما يهمه هو بعض الجنيهات القليلة التي يستطيع بها شراء ما يسد رمقه. ولذلك فهو يحول أكياس وأكوام القمامة بعد نبشها إلى جزيرة منقوشة من الزبالة.

هذا الحي الفريد به أكثر من شارع وكلها متشابهة، فالبنايات لا تزيد عن دورين أو ثلاثة على الأكثر، ومعظمها مساحته ضيقة،

ومتهالكة، وأهل المنطقة يعرفون بعضهم حق المعرفة لدرجة أنه لو مشي غريب في الشارع ولو حتى بنفس الملابس التي يرتديها أهل المنطقة فسوف يتم التعرف عليه فورا، وفي غالب الأحيان يتم التعامل معه بشك وريبة وبعنف ظنا فيه أن يكون مخبرا يعمل لحساب البوليس.

حي يمكن اعتباره «منطقة مغلقة» تماما عكس «المنطقة الحرة». عالم أناسه يتحركون بسهولة داخله وخارجه ولكن لا يسمح بالآخرين بدخوله، والتحرك فيه. عالم معزول ليس بسور أو سياج ولكن بثقافته وعاداته وتقاليده وفقره المدقع. عالم يؤمن بأفكار خاصة به، ويقلل أو ينكر أفكار الآخرين، بل قد يصل الأمر بترك الأساسيات الدينية مثل الصلاة والصيام بمنطق قد تتعاطف معه أو على الأقل يصدمك، ليس بسبب ترك أو معارضة هذه الأساسيات ولكن بسبب الصدمة الفكرية التي لم تتوارد مفرداتها على العقل من قبل.

إنه بالفعل عالم غريب له خصائصه وطباعه وعاداته التي تجعل من الصعب زيارته إلا إذا كان الزائر في معية أحد سكانه حتى لا يتعرض للأذى. عالم فيه السيدات هن من يقمن بالعمل خارج المنطقة، عادة في البيوت أو المحلات أو في الشوارع بجد واجتهاد، ليعودن إلى البيت بطلبات المعيشة اليومية. وفي غالب الأحيان يبقى الرجل في البيت بلا عمل، أو في أحسن الحالات

عملا بسيطا يتكسب منه بعض الجنيهات التي لا تغني ولا تثمن من جوع. ومع أن السيدة هي المصدر المالي للبيت في كثير من البيوت إلا أن إهانتها وضربها من زوجها أمر مألوف لا يتطلب ترك البيت أو هجر الزوج! مجتمع عاداته فوق القانون وثقافته فوق اللزوميات.

بالفعل قد يكون مجتمعا سياحيا من الدرجة الأولى لأهل المدينة لو أتاحوا الدخول. عالم يمشي فيه الفقر في الشوارع وفي البيوت، فقر جعل أهله يشكلون عالمهم الفكري الخاص بهم. فلا تسأل هناك عن التعليم، ولا تفتخر بأنك دكتور أو مهندس أو أستاذ، فأنت في نظر أهل هذا الحي مسكين ضحية، وقد انحرفت عن المسار الطبيعي. عالم ترى فيه الصراحة بكل معانيها، وترى فيه الرجولة بكل معانيها.

وعلى العكس تماما تجد فيه العنف بكل قوته، ولا أحد يستطيع التعليق أو الشكوى. عالم نصف أطفاله أطفال شوارع ولكن معروفي النسب، الشارع هو مكان عملهم ومهنتهم المحببة. يعملون جنبا إلى جنب مع الأطفال مجهولي النسب، ولكنهم ما زالوا محظوظين بالعودة إلى بيوتهم آخر الليل، أو النهار للنوم بين أربعة جدران، وليس في الشارع. عالم هو جزء من جسد المجتمع هنا في هذه المدينة ولكنه جزء مصاب بفقر الدم والغذاء.

بالطبـع يعلـم «صـلاح» كل هـذا عـن حيـه ويعلـم أنـه جـزء مـن نسـيج هـذا الحـي الـذي لا يسـتطيع هجـره، فهـو جـزء منـه ذاب في كل خليـة في جسـده وعلّـم عليهـا. و«ياسـمين» لا تعلـم أي شـيء عـن هـذا الحـي سـوى صـلاح وبعـض النسـوة اللائـي جئـن لزيارتهـا أمـس واليـوم. لا تعـرف عنـه خصائصـه ولا مفرداتـه ولا عاداتـه ولا ثقافتـه.

ومـع أنهـا معيـدة في قسـم الاجتمـاع، وتـدرس الدكتـوراه في علـم الاجتمـاع الثقـافي، إلا أنهـا لـم تسـمع عنـه مـن قبـل. لـو علمـت تلـك المعلومـات عـن هـذا الحـي لأصيبـت بدهشـة وصدمـة ولاختارتـه -بسـبب جرأتهـا- موضوعـا لدراسـة الدكتـوراة. يـا تـرى مـاذا عسـاها أن تفعـل لـو انكشـف لهـا الأمـر بـكل أسـراره؟ ومـاذا يفعـل «صـلاح» إزاء الإجابـة علـى أسـئلة ياسـمين الثلاثـة التـي قذفتهـا في وجهـه كالطلقـات المدويـة دون أن تدري. هـل يخبرهـا بالحقيقـة المطلقـة عـن أسـرار الحـي أم يخفـي عنهـا مـا قـد يغيـر مـن نظرتهـا تجـاه أهـل هـذا الحـي وبالطبـع تجاهـه؟

مـرت الدقائـق علـى «صـلاح» وهـو يسـتعد للجـواب علـى أسـئلة ياسـمين الثلاثـة كالدهـر، اختبـار كبيـر وضعتـه فيـه، وهـو الـذي لـم يدخـل امتحانـا مـن قبـل. يـا تـرى هـل يكـون صريحـا ودقيقـا في كل إجاباتـه أم يخفـي بعضهـا. ولمـاذا يخفـي بعضهـا؟ ولمـاذا لا يكـون صريحـا كعادتـه؟ مـاذا يقـول صـلاح لياسـمين عـن عالـم تجـد

فيه السيدات والرجال يتنقلون من بيت إلى بيت في حرية تامة، حرية في التنقل والجلوس وأحيانا البيات، وحرية ارتداء الملابس الخفيفة. ولا غضاضة في ذلك على الإطلاق من أي منهم طالما يرتديها في بيته أو داخل أي بيت آخر في الحي.

مجتمع فيه الحرية حقيقية ولها منطقها وفلسفتها، ولكنها حرية ملازمة للمكان لتختفي تماما إذا انتقل أحدهم خارج المكان. عالم يعتبر كل فرد فيه هو الآخر، يعتبر الآخر فردا من الأهل ومن العيلة فلا هناك حدود للبس ولا للبيوت ولا لاستعارة الأشياء وبدون إذن. عالم خلافاته قد تبدوا للآخرين تافهة ولكن لأهل الحي هي كبيرة من الكبائر.

آه يا ياسمين، إنه عالم «كانْدَلِيه» الذي لا يعرف أحد السبب وراء ده كان ليه، من خلق هذا الحي، من يعضد وجود هذا الحي، من لا يقدر على هذا الحي، من فشل في نهضة هذا الحي، من في مصلحته بقاء هذا الحي، لا أحد يعلم ده كان ليه. ولكنه ما زال عالما مثاليا في التبحر فيه، وفهم فلسفته للوصول إلى متناقضات الحياة التي تفرض على الناس خلق عالمهم الخاص بهم بغض النظر عن رؤية الآخرين ورؤية الدولة.

عالـم يعـج بأنـاس يلعبـون أدوارا مهمـة في المجتمـع، أدوارا لا يمكـن أن يقـوم بهـا غيرهـم. ويظـل السـؤال هـل هـذا الحـي قابـل للتغييـر؟ هـل أناسـه قابلـون للتحـرر منـه مقابـل مزايـا جديـدة أم أصبـح السـكن فيـه والانتمـاء إليـه أكبـر مـن كل الإغـراءات؟ ليتنـي أعـرف الإجابـة علـى كل هـذه الأسـئلة لأخبـر بهـا ياسـمين.

لا أدري مـا الـذي أتـى بهـا هنـا لأنقذهـا مـن مـوت محقـق، لمـاذا أتـت لتقلـب علـيّ مواجـع الزمـن الماضـي، زمـن الطفولـة التـي كنـت أبحـث فيـه عـن صـلاح الـذي نسـي نفسـه مـع الزمـن وأصبـح يحتـاج للإصـلاح. مـن يـدري، فلـو كنـت أكملـت تعليمـي لكنـت قابلتهـا هنـاك بعيـدا عـن كاندليـه، وتزاملنـا في البحـث الاجتماعـي الـذي كنـت أعشـقه. مفارقـات غريبـة في الحيـاة لعـل اللّه يريـد بـث رائحـة الحيـاة فينـا ولـو لبضـع سـاعات.

لمـاذا أخشـى أن أُطلـع ياسـمين علـى كل هـذه الحقائـق وأنـا الـذي يهابـه النـاس.

لمـاذا أضـع نفسـي في كل هـذا التفكيـر، فهـي مجـرد عابـر سـبيل قمـت بضيافتـه علـى أكمـل وجـه حتـى ترحـل مـع سـيارتها الفارهـة التـي تـدل علـى أنهـا مـن أسـرة عريقـة، والتـي مـن المؤكـد سـوف تنهرهـا عندمـا تعـرف أنهـا قـد تاهـت وضلـت سـبيلها، واقتربـت مـن هـذا المـكان قبـل أن تصطـدم بعامـود الإنـارة.

لماذا أحمّل نفسي أكثر من طاقتها لأزين الإجابات مع أنها راحلة لتترك هنا للأبد، ولن تتذكر حتى اسمي أو شكلي. إذن فلأخبرها بالحقيقة بلا خجل. إذا كان عهدي الصراحة -التي تعودت عليها- فلتكن هي عنوان إجاباتي على تساؤلاتها الثلاثة. وفي المقابل سوف أسألها هي أيضا أسئلة موجعة لترد هي بدورها وبكل صراحة.

دارت كل هذا الأفكار في العقل الباطن لصلاح وهو يجلس وجها لوجه أمام ياسمين التي ظلت تنظر إليه حتى أفاق من غيبوبة الفكر هذه ليجدها تنظر إليه وعلى شفتيها ابتسامة كلها فرحة وثقة في صراحته ورجولته الممزوجة ببعض الخجل.

قالت ضاحكة: إيه يا بو صلاح.. روحت فين؟ كل ده تفكير في إجابات الأسئلة؟! هي صعبة قوي كده.. ولا كنت سارحان في حاجة وأنا معاك؟

- لا أبدا، أنا بس تفكيري خدني لقطار ينطلق في اتجاه الماضي، وفجأة لقيتني في الحاضر وكأن القطار انقلب أو تركني هناك وحيدا فقررت العودة إلى لحاضر مهما كانت صعوبته.

- حلوة قوي يا صلاح تخيل القطار في اتحاه الماضي، واضح إن عندك ميول أدبية وخيال حلو كثير.. تفتكر لو توفر قطار

الماضـي ومعـاك ركابـه مـش لوحـدك كنـت هاتسـتنى في الماضـي ولا هاتنـط مـن القطـر وترجـع مشـي إلـى لحاضـر؟

- يااااااه سـؤال كبيـر قـوي يـا ياسـمين، سـوري والله أقصـد يـا أنسة ياسمين.

- ياسـيدي سـت إيـه بـس أنـا قلتلـك مـش بحـب الرسـميات.. أرجوك بلاش حضرتك دي، خاليني ياسمين بس، اعتبرني أختك. جـاوب بـس علـى سـؤالي.. انـت شـاكلك كـده مـش بتحـب تجـاوب على الأسئلة بتاعتي، ده رابع سؤال تهرب منه. إيه الحكاية يا عم صلاح؟!

- أبـدا والله مـش هـروب خالـص.. أنـا هاجاوبلـك علـى الأسـئلة وهابتدي بالسـؤال الرابع عـن قطـار الماضـي.

احتضـن صـلاح كـوب الشـاي الزجاجـي الذي مـا زال في يـده وهـو فـارغ! وكأنـه يحتمـي ببقايا دفئـه مـن وقـع إجاباتـه على ياسـمين، وشـرع في إجاباتـه، وياسـمين كلهـا شـغف لسـماع هـذا الشـاب الـذي يتنهـد بعمـق العمـر قبـل أن يحـرك شـفاهه التـي تبـدو أكبـر مـن عمـره..

- قول بقى يا صلاح..

●●●

الفصل السادس

«فإذا كان مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» هو مبدأ ميكافيللي الغرب، فهذا المبدأ يمشي على الأرض هنا، ويتنفس بقناعة تامة، دون معرفة من اخترع هذا المبدأ ولماذا وأين...».

عاد «محمود» سريعا إلى الحي ليرتب أموره ومعلوماته واتصالاته ليحل مشكلة الفتاة المفقودة كما وعد شوقي بك هذا الصباح. اتصل تليفونيا بمن يعرفهم من أهل المنطقة، ومن لهم علاقات مع عصابات الخطف، وكذلك بمن يشك فيهم شخصيا، وبمن سوف يساعده بطريق مباشر أو غير مباشر. وبالطبع لم ينس عنصر سيدات المنطقة بما لهن من علاقات مختلفة عن علاقات الرجال.

لم يجد محمود صعوبة بالغة في الاتصال، فهو يعرف معظمهم، والذين لا يعرفهم يعرفونه جيدا بسبب علاقاته مع كبراء المدينة من أمثال «شوقي» بك وغيره من خلال خدمته لهم من وقت إلى آخر، وخاصة في انتخابات المحليات، ومجلس الشعب والشوري، مقابل مبلغ مالي كبير، وحماية أمنية.

ولـم تمـر السـاعة المحـددة التـي حددهـا «محمـود» حتـى وصـل الجميـع إلـى أحـد بيـوت المنطقـة، والمجـاور لبيـت محمـود، نظـرا لكبـر مسـاحته قليـلا. شـرح محمـود الوضـع للجميـع وطلـب مسـاعدتهم فـورا. وزع الأدوار عليهـم، فمنهـم مـن سـوف يتجسـس في أقسـام البوليـس دون الإفصـاح عـن مهمتـه، ومنهـم مـن سـوف يسـتقصي في المستشـفيات الحكوميـة خاصـة، ومنهـم مـن سـوف يتواصـل مباشـرة مـع مسـئولي الخطـف والنصـب والاحتيـال، ومنهم من سـوف يتجسـس علـى خطيبهـا.

أعطـى محمـود الاسـم لـكل فريـق: د. داليـــــــــا شـوقي الصفتـي. هـذا هـو الاسـم الـذي أعطـاه إيـاه شـوقي بـك، والـذي نسـي أن يعطـي «محمـودا» اسـم الشـهرة وهـو ياسـمين، وبهـذا تكـون فرصـة التعـرف علـى ياسـمين في هـذا الحـي ضئيلة؛ لأنهـا لـم تقـدم نفسـها لصـلاح بالاسـم الرسـمي بـل باسـم الشـهرة، بالإضافـة إلـى أن البيـت الـذي تم فيـه هـذا الاجتمـاع يوجـد في طـرف الحـي بعيـدا عـن بيـت صـلاح. وفـوق كل ذلـك فقـد شـدد صـلاح علـى النسـوة اللائـي زرن ياسـمين مسـاء الأمـس وصبـاح اليـوم ألا ينشـرن الخبـر في الحـي خوفـا علـى سـلامة ياسـمين، والتـزم النسـوة بذلـك فعـلا.

أعطـى «محمـود» المجموعـة سـاعتين علـى الأكثـر ليعـودوا مـرة أخـرى، وفي المـكان نفسـه لإعطـاء تقريـر لـه قبـل أن يتصـل بشـوقي

بـك. تمنـى محمـود أن يحصـل علـى أي أخبـار عـن «داليـــــــــا» المفقـودة، علـه يطمئـن بـال «شـوقي» بـك ويهـدئ مـن قلقـه الـذي كاد يعصـف بعقلـه عندمـا رآه هـذا الصبـاح.

دور محمـود مـع مـن سـاعدوه لـم يكـن مبنيـا أبـدا علـى الأوامـر منـه، بـل هـي الطريقـة المتبعـة عندمـا يقـع أهـل المنطقـة في مشـكلة مـا، أو يطلـب مـن أحدهـم أمـر مـا، فمـا علـى صاحـب الأمـر أيـا كان الأمـر وأيـا كان الشـخص إلا أن يحـدد مـن يريـد منـه المسـاعدة ويحـدد البيـت المطلـوب الاجتمـاع فيـه والوقـت ليشـرح الموقـف، ويحـدد الأدوار بنفسـه حسـب مـا تسـتوجبه الأمـور. ومـا علـى المجتمعـين هنـا إلا القيـام بأدوارهـم في تقديـم يـد العـون والمسـاعدة بصـدق وإخـلاص منقطـع النظيـر.

التفسـير الوحيـد لذلـك هـو مفهـوم الرجولـة -والرجولـة هنـا تعـود علـى الرجـال والسـيدات والصبيـة والأطفـال- التـي تتطلـب تقـديم المسـاعدة بغـض النظـر عـن مـن يطلـب ولمـاذا يطلـب/ وكذلـك احتيـاج كل مـن في المنطقـة إلـى آخـر وقـت الشـدة، فالـكل محتـاج، والـكل -حتمـا ولا بـد- سـوف يحتـاج إلـى المسـاعدة في الزمـن القريـب أو البعيـد. مجتمـع فقيـر يعتمـد علـى التكافـل في الفقـر، مجتمـع ضعيـف ويتحـدى فقـره بتماسـكه واتحـاده بفكـر المظلـوم دائمـا للاعتقـاد الراسـخ عنـد الجميـع أن الـكل مظلـوم أمـام كل العالـم خـارج هـذا الحـي.

وبقدر ما يشوب مبادئ وأفكار هذا المجتمع والتي تبدوا على عكس ما يرنوا ويسعى إليه المجتمع الآخر خارج هذا الحي، إلا أن هذا المجتمع بفكره وتقاليده هذه يمثل رمزا ومثالا لكيفية مواجهة الفقر ومعايشته، والتكيف معه بصدر رحب وراحة بال واقتناع وبلا شكوى. وهذا أجمل ما يقدمه هذا المجتمع للعالم خارجه، ولكن لا أحد يرى ذلك على الإطلاق. فمهما توفرت أسباب السعادة لكل منا يبقى الطمع في المزيد، مما يقلل الشعور بالرضا والإحساس بالسعادة الحقة التي يراها صاحبها أنها دائما منقوصة فيبحث عن المزيد. والمثال هنا لا ينطبق فقط على الأشخاص، بل أيضا على المجتمعات والدول.

هناك الكثير من الدول الفقيرة التي لا يرضى أناسها بواقع الفقر بل يتمردوا عليه وينتقموا منه بالتفنن بالشراء والإسراف فقط لإرضاء النفس، وإبعاد شبح الفقر عنها. وما يزيد هذا الشعور لدى الفقراء عزوف الأغنياء عن مساعدة وكفل الفقير. ولذلك يبقى الشعب ككل غير راض، وعاجز عن تحقيق السعادة الحقيقية. أما هنا في هذا المجتمع، فالكل راض بما يمتلك، وبما لا يمتلك، وذاك سر بقاء هذا المجتمع رغم فقره المدقع.

ولذلك فالشعوب التي نجحت في تطبيق نظام الرضا والقناعة وقبول الواقع والتكيف معه مثل الشعب الياباني والألماني

بعد الخراب الذي حل عليهم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية هي التي تقدمت فيما بعد، وحققت ما كانت تريده من غنى المال والنفس. ولم تنجح هذه الدول في سياستها في التغلب على الفقر والخراب إلا من خلال تطبيق سياسة مجتمع «كاندليه» من تكافل وتماسك ورضا بالواقع. ولكن هذه الدول أضافت إلى ذلك حرصها على العلم والتعليم والإبداع، بالطبع لأنه فكر دولة وليست جماعة لا حول لها ولا قوة. هذا هو الفارق الأكبر بين مجتمع «كاندليه» وبقائه في فقره كما هو والدول التي تقدمت حتى أذهقت فقرها. ولذلك فهذا المجتمع رمز رائع للواقع أمام لسان الفقر الطويل.

«محمود» وأقرانه وكل أهل المنطقة بمن فيهم صلاح المختلف قليلا عنهم منذ طفولته لا يعلمون عن هذه التحليلات شيئا، ولا يعنيهم كل هذا الفكر وكل هذا المقارنات، فكل ما يهمهم هو قوتهم اليومي، وما المطلوب عمله في أي مكان وبأي وسيلة لتحقيقه. فمقولة «الغاية تبرر الوسيلة» هي دستور هذا الحي العتيق، الدستور الذي يحمل في طياته قنابل موقوتة، ورصاصات مصوبة لمن يريد أن يغير هذا الدستور أيا كان شخصه أو كينونته.

فإذا كان مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» هو مبدأ ميكافيللي الغرب، فهذا المبدأ يمشي على الأرض ويتنفس، وينفذ يوميا

داخل وخارج «كانديليه» بقناعة تامة دون معرفة من اخترع هذا المبدأ ولماذا وأين. مجتمع لا يعتمد على تنفيذ المبادئ والأفكار بل هو الذي يصنعها وبحكمة بالغة تُدرس لصانعي المبادئ والأفكار الاجتماعية والسياسية لو أرادوا.

●●●

وفي الوقت المحدد وبعد ساعتين، حضر الجميع وتلقى «محمود» التقارير الشفوية من كل فريق والتي جاءت كلها سلبية للأسف الشديد. فأصيب بحالة من الحزن على رجل لم يبخل عليه يوما، حزن مملوء بالغضب وقلة الحيلة، فهو الملاذ الذي استعان به «شوقي» بك ووضع فيه ثقته بعيدا عن الشرطة والرسميات.

يا ترى كيف يواجه «محمود» شوقي بك بهذه النتيجة؟ فلا هو ظهر كرجل منقذ، ولا رجل يعتمد عليه، ولا استطاع أن يقف بجانب الرجل الذي طالما ساعده في كل مواقف الشدة، فكيف له ألا يستطيع مساعدته في موقف واحد فقط. وكيف يفشل هذا المجتمع المعروف بقدرته على الإيتان بما لا يقدر عليه أحد خارجه!

صاح «محمود» في الجميع على غير عادته، وعلى غير عادة أهل الحي: أنا مش مصدق، ترجعوا ليّ بلا إحم ولا دستور!

مـش قـادر أصـدق إن رجالـة وسـتات» كاندليـه» مايعرفـوش يجيبـوا خبـر بنـت ضايعـة وهمـا اللـي بيسـرقوا الكحـل مـن العيـن والعيـن مـن الكحـل، وهمـا اللـي دهنـوا الهـوا دوكـوا، ويفهمـوا الهـوا الطايـر.. راح فـين ده كلـه، هاقـول للراجـل اللـي وثـق فيّ وفي رجولتـي إيـه؟ أقولـه معرفتـش! ماقدرتـش! سـامحني.. معقـول مـا اقـدرش أرد جمايلـه علينـا ولـو مـرة. أعمـل إيـه دلوقتـي؟ مـش هاقـدر أروح لـه إلا بخبـر يريحـه، لازم.. الراجـل هايتجـنن علـى بنتـه وأنـا كمـان بـدأت أتجـنن.. إزاي مانقـدرش. أهـي دي أخرتهـا البوليـس بقـى هـو إللـي يـروح يجيـب السـنيورة.. واحنـا نطلـع ولا حاجـة في الآخـر. لازم يكـون فيـه حـل دلوقتـي.

جلس الجميـع في حالـة صمـت وضيـق مـن التقارير السـلبية، وفي حالـة تعاطـف مـع محمـود وموقفـه أمـام الرجـل. تحـول جـو الاجتمـاع -ولأول مـرة- إلـى مـأتم وقلـة حيلـة يكرههـا الجميـع، وصعـب قبولهـا بهـذا الشـكل، ولكـن مـا باليـد حيلـة. اسـتمر هـذا الصمـت الرهيـب لدقائـق مـرت علـى «محمـود» كالدهـر، غيـر مصـدق للنتيجـة.

اسـتمر الصمـت لهـذا الجمـع دون أن يسـتطيع أحـد أن يكسـره. الجمـع الـذي لـو رآه أحـد مـا مـن خـارج هـذا المجتمـع الآن لولـى مدبـرا خوفـا وفزعـا مـن مناظـر العيـون والسـواعد والشـوارب والملابـس الممزقـة والتحـدي الـذي يسـكن العيـون والاسـتعداد الإجرامـي لعمـل

أي شيء مقابل تحقيق الإمكانية المطلقة لهذا المجتمع في فعل ما لا يستطيع غيرهم فعله. ولكن في واقع الأمر فإن كل هذا الإجرام والتحدي البادي في العيون ما هو إلا وسيلة لتحقيق غاية يراها أصحاب العيون منطقية بل هي من مقومات ومتطلبات العمل لكي ينجح مهما كانت التحديات في مجتمع» كاندليه».

وفي وسط هذا الصمت الرهيب، خرج صوت طفل صغير لا يتعدى عمره العشرة سنوات موجها حديثة إلى محمود بجرأة وحكمة وكأنه كان يفكر في كلماته بحكمة الشيوخ: يا ريس محمود احنا لسه الصبح بدري والحاجات إللي زي دي مابتظهرش إلا على الضهر، نستنى كمان ساعة ولا ساعتين وندور هنا الأول حوالينا، احنا دورنا وسألنا في كل حتة برة بس ماشوفناش هنا. إيه رأيك يا ريس محمود؟

نظر «محمود» إلى الطفل والذي رد روحه الهاربة إليه باقتراحه الذكي والمفاجئ: واللّه عندك حق يا ولا، إزاي راحت عن بالي دي! خلاص نشرب شاي سوا دلوقتي وبعدين كل واحد يروح يشوف حاله حوالينا ويرجع على الضهر بخبر يفرحني وعلى اللّه تكون الدكتورة هنا مع أي حد علشان الموضوع يكون أسهل. برافوا عليك ياولا، ولو إنت بالذات جيبتلي الخبر الحلو هاخدك معايا وأنا رايح لشوقي بك علشان يعرفك ويرَوَقك.

- مش مهم ياريس محمود، أنا إللي يهمني إن احنا مايتقالش علينا إننا مش قادرين، وكمان بصراحة مش عايز أشوفك مش قادر قدام حد من برة. انا هلف زي النحلة من أول شارع لآخر شارع في الحتة لحد ما جيبلك الخبر التمام. انا عملت ده كثير قبل كده ياريس وانا لهلوبة.

- طيب ياللا ياد وريني همتك، إنت اسمك ايه صحيح وابن مين هنا؟

- أنا «عباس» ياريس ابن المعلم «إبراهيم العربجي» بس هو سرح النهاردة بدري مع النباشين وأنا جيت بداله.

- والله براوة عليك ياواد يا عباس.. شكلك كده هاتبقى شاطر، وريني همتك وأنا هاشوفك يا بطل.. انبش زي ما انت عايز في كل حته بس تيجيبلي الخبر التمام. ضحك «محمود» الذي بدأ يدب فيه الأمل: أبوك ينبش هناك وانت انبش هنا، ياللا روح، توكل على الله.

خرج الجميع وبقي محمود يفكر فيما يجب عليه فعله، ممنيا نفسه بخبر حلو عند الظهر. وضع رأسه بين راحتيه ونظر إلى اللاشيء أمامه هامسا لنفسه: يا ترى إنتِ فين دلوقتي يا دكتورة..

●●●

الفصل السابع

«فما الحياة إلا قطار كبير لكل منا فيه كرسيه في عربة ما».

أخيرا قرر صلاح أن يجيب على أسئلة ياسمين الثلاثة، بالإضافة إلى السؤال الرابع الذي استجد. حرك كوب الشاي الفارغ الذي ما زال بين يديه مع حركة شفتيه، وكأنه ما زال يشفق على نفسه من الخوض في الإجابات رغم قراره بالصراحة التامة، والبعد عن تجميل الكلمات.

- إيه يا صلاح جاوبلي بقى على السؤال الرابع، خلينا نبتدي بيه.

ضحك ضحكة خبيثة وكأنه يختبر جديتها: طيب هو كان إيه هو السؤال؟ شاوريلي عليه وأنا أجاوب على طول.. وإجابة كل سؤال بربع جنبه.

- هاهاها ماشي ياسيدي وإن كان الله أعلم معايا ولا لأ.. بس يبقى على الحساب. السؤال كان: «تفتكر لو توفر قطار الماضي ومعاك ركابه مش لوحدك كنت هاتستنى في الماضي ولا هاتنط من القطر وترجع مشي إلى لحاضر».

- شوية ياستي، أولا ماضي العمر ليس له قطار. المستقبل فقط هو الذي له قطار نركبه جميعا وفي نفس الوقت ولكن لكل منا محطته التي سوف يهبط فيها شاء أم أبى، وهي محطة نهاية هذه الحياة التي نشقى فيها ونفرح ونحزن ونبكي ونغني، ونكن الأسرار أو نبوح بها، ونحب تارة ونكره تارة أخرى. كل هذه المشاعر نعيشها ونحن في القطار نفسه، قطار المستقبل، قطار الحياة الذي تحرك في الماضي ولا يعرف حاضرا أبدا بل هو يجري على قضبان الحياة ليحول في كل ثانية المستقبل إلى ماضي. ومع أننا نركب القطار نفسه إلا لكل منا عربته التي ركبها منذ مولده، لا يغيرها إلا إذا استطاع توفير ثمن تذكرة الانتقال من عربة حياة درجة ثالثة أو رابعة إلى درجات أعلى. فما الحياة إلا قطار كبير لكل منا فيه كرسيه في عربة ما.

- ياه، كل دي فلسفة يا صلاح مخيبها جواك، حقيقي تفسير رائع وانتقائك لتشبيه القطار رائع.. خاصة أنه مزيج من العربات بدرجاتها ومستوياتها المختلفة وإمكانية التنقل من عربة إلى أخرى. يا ترى قرأت ده فين يا صلاح؟

- مصطلح وما الحياة إلا قطار هو من بنات أفكاري، والذي رسمته في ذهني منذ الطفولة عندما كنت أهرب من العمل في الشوارع للدراسة إللي كنت دخلتها في فترة رضاء أو جنون من والدي ثم انقلب

علـى فكرتـه. كنـت أعبـر طريـق السـكة الحديـد وأجلـس علـى الجانـب الآخـر بمفـردي لأقـرأ وأنظـر علـى القطـارات أمامـي وأتفحصهـا جيـدا لأجـد منهـا مـا هـو سـريع جـدا وشـيك جـدا ونظيـف جـدا، ومنهـا مـا هـو بطـيء جـدا وبائـس جـدا في لونـه وشـكله.. وحتـى أناسـه مختلفـين تمامـا عـن ركاب القطـار السـريع إللـي بنقـول عليـه الديـزل.. كان شـيئا بالنسـبة إلـيّ مفزعـا، لمـاذا هـذا التناقـض، ومـن صنعـه ومـن يسـتفيد منـه، ومـن يحافـظ عليـه، ولمـاذا الـركاب يركبـون صامتـين عـن هـذه التفرقـة التـي تجـنن العقـل. إحسـاس جعلنـي عندمـا كبـرت وفهمـت الفـروق وعشـتها في الواقـع في هـذا الحـي أشـبه الحيـاة بالقطـار وليـس الطائـرة لأننـا كلنـا بدرجاتنـا المختلفـة ومسـتوياتنا الاجتماعيـة نركـب القطـار وليـس كل منـا يركـب الطائـرة.

لـم تصـدق ياسـمين نفسـها وهـي تنصـت إلـى صـلاح وهـو يسترسـل بسلاسـة غيـر عاديـة، وسـهولة ويسـر في التعبيـر عـن مشـاعره، وإجابتـه عـن السـؤال الرابـع هـذا. فلـم تتوقـع منـه كل هـذا الأسـلوب الفلسـفي الاجتماعـي التحليلـي الرائـع، وبلغـة سـليمة اختلفـت عـن لغتـه التـي يتحـدث بهـا كعادتـه إلـى أهـل الحـي. يا تـرى كيـف يخفـي كل هـذه الفلسـفة داخلـه ويتحكـم في إظهارهـا. كيـف تعلـم ذلـك وأيـن ومـع مـن. حديثـه فعـلا جميـل وواقعـي ومعبـر رغـم التشـبيهات.

- كلامك رائع يا صلاح ومقنع جدا وأتفق معك تماما .. فحتى مدينتنا هذه مثل القطار، ففيها أحياء درجة رابعة وخامسة كهذا الحي وأحياء أخرى درجة أولى وثانية. وما ينطبق على مدينتنا ينطبق على دولتنا وعلى قارتنا وعلى العالم أجمع. ولذلك فأجمل وأوقع تعبير عن الحياه ككل هي تشبيهها بقطار كبير. ولكن ما زلت لم تجاوب على السؤال الأساسي وهو موقفك وتصورك عن قطار الماضي.

- قطار المستقبل يادكتورة ياسمين هو قطار الواقع، أما قطار الماضي فهو الخيال الذي نصنعه بأنفسنا لكي نهرب فيه من واقع الحاضر، خاصة إذا كان واقعا مؤلما، أو عندما نبحث عن لحظات سعادة حدثت لنا في الماضي ولم تعد بين أيدينا. ومنا من يصنع قطار الماضي ليبحر في تاريخه لعله ينتقم من لحظات ضعف أو فقر أو حزن عاشها .. هذا مفهومي حول قطار الماضي، فهو صناعة شخصية كوسيلة من صاحبه للهروب من الحاضر أو الإبحار في الماضي لتذوق السعادة أو الانتقام من حزن أو فقر. قطار من عربة واحدة على قدر صاحبه، قطار يقوده صاحبه إلى محطة هو يحددها ويرغبها ثم يتركها عندما يريد ولا يستطيع البقاء فيها إلا بما يسمح به الخيال.

- قصدك أن قطار الحياة الحقيقي هو قطار المستقبل وقطار الماضي هو قطار الخيال.. وقطار المستقبل لا نملكه وليس لنا اختيار فيه؛ لأنه لنا ولغيرنا عكس قطار الماضي الذي نملكه ونختاره بأنفسنا. ما أجمل هذا التفسير الرائع لركاب الحياة يا صلاح، قطار يمشي إلى لأمام وآخر إلى الخلف ولا يلتقيان أبدا، قطار لا نعرف أين ومتي يقف بنا وماذا يحدث لنا فيه، وقطار نعلم كل أحداثة ومحطاته ولكن بلا فائدة. طيب يا ترى لو ركبت قطار الماضي هاتستنى في الماضي ولا هاتنط من القطار وترجع مشي إلى الحاضر. ياتري إيه قرارك وليه؟؟

- والله أنا فعلا صنعت قطار الماضي ولكن لوحدي فقط ولا يسمح بأي ركاب آخرين، قطار يأخذني إلى محطات الطفولة البريئة والحالمة التي كنت أحلم فيها بالتعليم والعلم والتحضر والتفوق والرقي والوظائف الراقية التي كنت دائما أتمناها. محطات كنت أهرب فيها من أسرتي للذهاب إلى المدرسة مع أقراني. فما أجمل هذه المحطات وما أقساها لتركي إياها. ولو كان بيدي لقفزت من القطار وبقيت هناك لأبدأ حياتي من جديد حتى لو استقطعت من عمري كل المحطات اللاحقة لأكون ما أردت وليس ما أراد هذا الحي حينئذ. وكم أسعد كل مرة أركب فيها قطار الماضي، فيكفي أنني أهرب من الحاضر القاسي والمؤلم وأبقى في الماضي الحالم ولو كنت

زائرا وطفلا. هذا هو قطاري المفضل الذي صنعته بأفكاري لأهرب فيها بعيدا عن الحاضر كلما أردت.. فإذا كانت هذه إجابتي على قطار العمر، فماذا عن قطارك أنتِ؟ مؤكد أنكِ تتوقين لركوب قطار المستقبل فالماضي كله يبدو أنه كان جميلا وها أنتِ تنتظرين مستقبلا مشمسا مثل شمس اليوم الرائعة. بابتسامة بها حكمة « كاندليه» استرسل «صلاح»: أنا طبعا مش بحسد والله، مافيش تنافس بينا يا فندم، إنتِ قطارك ماشي لقدام وأنا قطاري ماشي للخلف، فلا تصادم ولا تنافس.

- يا سيدي أنا لم أركب قطار المستقبل بعد، أنا لسه واقفة على المحطة مستنية دوري ومش مستعجلة؛ لأن الركاب كثير والمحطة زحمة جدا والتذاكر غالية، ولأني مضطرة غصب عني أركب درجة أولى وإلا بابا يزعل خاصة هو إللي هايدفع ثمن التذكرة مش أنا.. أما قطار الماضي فللأسف لا أستطيع ركوبه بمفردي إلا في مرات قليلة بعيدا عن أسرتي. أنا تربيت وسط اهتمام بالغ من والدي ووالدتي والأقارب، اهتمام جعل مني عربة غير منفصلة على الإطلاق من عربات الأسرة، نركب سويا وننزل سويا، ولذلك فإبحاري إلى الماضي عادة ما تأتي أسرتي معي لإشتراكنا في كل الأحداث بحلوها ومرها.. لو كنت سألتني أمس قبل الحادثة لكنت تمنيت أن أقفز من القطار للبقاء في

آخر لحظة سعادة لي مع خطيبي الذي انفصل عني أمس قبل الحادثة. ولكني اليوم أؤكد أني لن أقفز لأبقى هناك لأن الماضي لن يعود ولن يفيد، وخاصة أن الحاضر هنا في هذا الحي علمني أن السعادة ليست في المال ولا الجاه ولا السلطان بل بالرضا والقناعة ومعايشة الناس. الحادثة يا صلاح، وقضائي أمس هنا حتى الآن علمني أن أرى الآخر قبل أن أرى نفسي، خاصة أن النفس قد تنتهي حياتها في غمضة عين.. وتعلمت أن أدقق فيما أراه حولي سواء كانت له القوة أو لا حول له ولا قوة. تعلمت أن أحمد الله على أقل النعم، وأن أبحث عن النعم وأوظفها لي وللآخرين. تعلمت منك كيف أن الإنسان فيه ألف إنسان وإنسان، كل إنسان ملآن بطبقات من الإنسانية التي قد تبدو بسيطة على الرغم من امتلائها بالثقافة والحكمة والحنان، تماما كما رأيت فيك يا صلاح. ظننتك منذ الوهلة الأولى إنسانا بسيطا، مجرد عامل في حي لا يعمل، رجلا ولكن بلا ثقافة ولا فكر ولا رؤية. ولكني ها أنذا قد وجدت كل ذلك فيك وبمستوى يفوق مستوى المتعلمين.. أغار منك يا صلاح، فعلى الرغم من قسوة الظروف إلا أنك صنعت من القسوة قلنسوة ومعطفا تلتحف به من البرد القارس لشظف الحياة. فخورة بك يا صلاح وأتمنى أن نبقى أصدقاء. سألتك أربعة أسئلة وكنت أنتظر بفارغ الصبر إجاباتك،

فقد كنت أراهن على ارتباط واعتماد الحالة الثقافية على الحالة الاجتماعية والمادية، ولكن خاب ظني ووجدتك تثبت عكس ما ظننت بعد سماع الإجابة على سؤال واحد من الأسئلة الأربعة. الآن يا صلاح لا أدري هل أستمر في رغبتي في الاستماع إلى إجابتك على باقي الأسئلة أم أكتفي بهذا القدر من الغباء في أسئلتي.

وبابتسامة فيها خجل شديد قالت «ياسمين»: إيه رأيك يا سيدي، نكمل ولا كفاية عليّ كده النهاردة؟

- هاهاها، شكلك كده يا فندم ناوية تقضي هنا على الأقل يومين كمان علشان أجاوبك على كل الأسئلة، أنا طبعا أحب قوي أجاوب لأن أسئلتك حركت الأفكار في عقلي الراكد والتي عادة أقلبها في عقلي من وقت إلى آخر، ولكن بيني وبين نفسي حتى لا تصدأ. أما معكِ فأشعر أن أفكاري ترقص من الفرح لخروجها من أسوارها العالية لتقفز إلى أرض الواقع وتطير في السماء العالية، وحديثي معكِ هو هواء هذه السماء.. يسعدني سيدتي أن أقص عليكِ حكاياتي ورؤيتي وتحليلاتي. يسعدني سيدتي أن أكون المركب التي تنقلين بها كنوز هذا الحي إلى أي مكان تريدينه. أنا ياسيدتي رجل يبحر في سماء بلا أقمار، فكوني لي قمري لأهديكِ الضياء.

- واو، دا إنت شاعر كمان يا صلاح، أنا كل شوية باكتشف فيك حاجة جديدة، أنت ألف مركب ومركب من سبائك الرجولة النادرة. لو كتبت شعرا من قبل ليتني أستمتع بإلقائه من شفتيك، فكم أعشق الشعر خاصة من قلب صادق وتجربة خاصة ولو كانت خيالية. يا ترى كتبت شعرا؟ ممكن أسمعه؟

- والله أنا فعلا كتبت كام قطعة كلها تخاطب شخصيات خيالية، وآخر قطعة بعنوان «أحلام عاشق».. ياريت تعجبك.

- أنا متأكدة إنها ها تعجبني يا صلاح، أتفضل كلي آذان مصغية.

أحـــلام عاشــــــق

كم أعشق السفـــر إلى أول العالم

لأرسم هناك اسمــك

وكم أعشق السفر إلى آخر العالم

لأقطف وردة لمعطفك

وكم أعشق السفــــر حول العالم

لأنشد أني أحبــــك

وكم أعشق الغــوص إلى لأعماق

ليشهد أني أحبــــك

وأصنع من هـــــوى حبي حبـالا

وأحمـــــــل رسمك

وأصعد بحبي إلى نجــــوم الليـل

لأحقـــق حلمــــك

لينثره قلبي هناك بالماء والــــورد

لحبــــي و حبـــك

فكم أنا طفل حائـــر بين عينيكِ

وعلى صـــوتك

ويا ليتنـــــي إصبعا أنا في يديكِ

أو بسمة بفمـك

فدعيني أغنيكِ أمام العاشـــقين

كم أنا أحبـــك

دعيني طفلا يلهو حولك بلا عـذر

على صــــدرك

ودعيني أحلف أمام كل العالمــين

أني أحبـــــك

واتركيني أتدلل و أفرح بهـــــواكِ

لأحيا بعشـــقك

طفلتي أنتِ وسيـــــدتي وأميرتي

وأنا وطنــــك

فلا تحرمي قلبـــي من حلو نبضك

ومن عِشقـــك

- اللّه.. فعلا رائعة يا صلاح، أنا لا أصدق نفسي، أنا أمام شاعر رائع، كم أنت رائع يا صلاح. أنا كده هاعمل معاك تعاقد للتعاون معك إلى الأبد وهاسميه تعاقد كاندليه، وهوافق على كل شروطه. قلت إيه؟

- هاهاها، واللّه نتعاقد، هو أنا أطول.. أكتبلك رواية اسمها « كاندليه» مقابل رغيف لكل مواطن في الحي. إيه رأيك في الفكرة الجنان دي؟ أكتب وأهلي تاكل. الشرط التاني أتعلم من الأول وادخل كليتك مستمعا، قلتِ إيه يا فندم؟

- طبعا طبعا، أنا موافقة على النصف الأول من العقد والربع الثالث منه، أما الربع الأخير بقى ما قدرش أوعدك لأنه خارج قدراتي. يا سيدي اكتب إنت بس وها تلاقي كل الأمور اختلفت وبقيت نجم مجتمع كبير، أكيد دادي هايساعدك في كده.

- يا فندم إنتِ صدقتِ ولا إيه؟! أنا بضحك معاكِ.. اتفاق إيه بس!! أنا لو هاكتب هايكون علشان الناس إللي عايشة في الغلب هنا، هاكتب عن كل حاجة في حياتهم واحتياجتهم وتجاهل العالم ليهم واتهامه ليهم بالإجرام والجهل وكل التهم التي يريد أن يتخلص منها فيلقيها على كاهل أهل هذا الحي. عارفة يا دكتورة ياسمين..

قاطعته «ياسمين» بضحكتها سريعا: دكتورة إيه بقى! ده إنت اللي دكتور وأستاذ دكتور، ياريت بقى بجد مافيش داعي للرسميات دي خالص، بلييييز بقى.

- حاضر حاضر، أنا لعلمك بقَدر ما كنت أتمنى وبشدة أن أنجح في هروبي من هذا الحي في طفولتي للتعلم من أجل مسار آخر في حياتي، إلا أني وبقدر خسارتي الشخصية سعيد بأني هنا في هذا الحي لأرى تفاصيله وتعقيداته وكرمشة عاداته وتقاليده والتي جعلت من الصح خطأ والخطأ صح، سعيد أنني هنا لعلي أكون يوما ما بوقا لهذا الحي وسببا في تغييره إلى الأفضل، وليتك بالفعل تساعديني في هذا لو أردتِ بدون اتفاقيات، لأن من يريد أن يفعل لا ينتظر اتفاقيات. قلتِ إنتِ إيه بقى في كلامي ده؟

- والله أكيد.. بكل سعادة، أنا أوعدك أن نعمل سويا ومعانا بابا.. بس إنت قلنا إيه المطلوب وإيه إللي ممكن نعمله؟ وانا عن نفسي كلامك غيرني وأكيد هايأثر على طريقتي في الدراسة في الكلية، وعلى فكرة أنا مش باحثة اجتماعية، أنا معيدة في كلية الآداب وبحضر دكتوراه في مجال علم الاجتماع. فمجال تخصصي هو دراسة المجتمعات الفريدة في ثقافتها وعاداتها وتقاليدها. ولن أجد أنسب من هذا الحي ليكون حقل دراستي لو ساعدتني فيه.

– أنا موافق طبعا من حيث المبدأ، بس نطمن عليك الأول وتروحي بالسلامة وبعدين نتكلم لو قررتِ تزورينا تاني. على فكرة، فين رقم تليفون بابا علشان أتصل بيه، ده زمانه قلقان جدا وقلب الدنيا عليكِ. وعلى فكرة كمان أنا وديت العربية الصبح بدري لسمكري وميكانيكي وبتاع دوكو علشان يظبطولك العربية زي ما كانت. أنا أسف إني ماستأذنتش بس أنا حبيت إنها تكون مفاجأة ليكِ، ولا زعلتِ؟؟ أنا كان لازم أعمل كده لأن العربية كانت خارج المنطقة فكان لازم أنقلها جوه خوفا عليها.. وفي نفس الوقت تصلح.

– بالعكس يا صلاح، كويس إنك عملت كده وإن كان بابا كان أكيد هايوديها للتوكيل، بس كده كويس علشان أجرب حاجة جديدة. حقيقي شكرا يا صلاح. أما بالنسبة لرقم التليفون أنا ممكن أكلم بابا بنفسي من تليفونك.. ولكن بصراحة أنا عايزة أستمتع شوية بشعور الفقدان إللي أنا فيه ده. فبقدر اشتياقي لبابا وماما ولغرفتي ولسريري، إلا إني أول مرة أبعد فيها وبالشكل ده عن بابا وماما فعايزة أستمتع بالشعور ده وأعرف إيه إللي هايعملوه علشاني.

– معقول تفكري التفكير ده!! أكيد بابا وماما منهارين وقالبين الدنيا، خاصة زي ماقلتِ إنك انفصلتِ عن خطيبك قبل الحادثة مباشرة، فلازم نتصل عليهم ضروري.

- ماتقلقش يا صلاح، هاتصل بس على العصر أو المغرب، على الأقل أكون بقيت أفضل ونفسي بصراحة أنزل الشارع على العصر وأشوف الحي على الطبيعة، بحواريه، بأطفاله، برجاله ونسائه. ماتتصورش قد إيه نفسي في كدة موت.. ولو بابا عرف إني هنا هايخطفني ويمشي ومش هايسمحلي أبدا أنزل الحي.

- عموما زي ماتحبي. بس لازم تعرفي إن باباكي مش ممكن يقدر حتى يدخل المنطقة إلا إذا كان في صحبة حد من المنطقة، ده القانون هنا يا فندم، يعني زي ما بيقولوا دخول الحمام مش زي خروجه.

- طيب إذا كان كده، لما اتصل عليه إنت هاتكون معايا وها تكلمه علشان يبقى في حمايتك إنت زي ما حَمتني، ممكن؟؟

- طبعا، ده شرف ليّ، ومن غير ما تقولي.

«كم هي الدنيا ظالمة لأناسها الطيبين! لماذا تفعل ذلك بهم؟! ألهذا سميت دنيا؟؟ ليتها كانت لتحمي صلاح».

«كم هي الدنيا جميلة بأناسها الطيبين، كم أنتِ طيبة وجميلة يا يا سمين».

- سرحت في إيه يا صلاح؟ ممكن نكمل الإجابة على الأسئلة؟؟

●●●

الفصل الثامن

«سعادة البسطاء رغم ما يعانونه من شظف الحياة، إنها ببساطة سيمفونية اجتماعية يجب أن تدرس للمكتئبين والمحبطين والعازفين عن الحياة».

كعادة كل يوم، انتهى النسوة من غسيل الهدوم في الطشوت وعصرها بأيديهن، ثم ألقوا ماء الغسيل في الشارع الذي يلقى فيه كل شيء حتى الأطفال والصبية. وعلى الأحبال المشدودة بين مسامير مثبتة في الجدران المتهالكة، علق النسوة -وكأنها عادة صباحية مثل الإفطار- الملابس المغسولة، وكأنهن يرسمن لوحة من التراجيديا المبللة بابتسامة وقت الظهيرة.

الغريب أن الكثير من أحبال الغسيل معلقة على جدران تحتها أكوام من القمامة التي تكتم رائحتها الأنفَ، ومع ذلك لا يهتم أحد! وكأن الملابس المغسولة يجب أن تأخذ جرعة من الهواء العفن حتى لا ينسى من يرتديه أصله، فهل هي فلسفة حياة؟ أم قلة حيلة؟ أم استسلام لواقع الزبالة فوق الجميع؟؟

وكأنهن أجمل نساء الأرض قاطبة، ارتفعت أصواتهن بالضحك والقفشات والنكت والغناء أثناء نشر الهدوم، وكأنهن يؤكدن للعالم

أن السعادة تصنع وتولد، ولا تباع ولا تشترى، وأن الروح الخفيفة والمتفائلة تعيش وتحيا بطلاقة بين أكوام القمامة وتحت الجدران المتهالكة من الرطوبة، وعلى نغمات طشوت الغسيل الألومنيوم، ورفرفة هدوم الغسيل على أحبال أوتارها في الشارع.

لا أحد يدري كيف تتولد هذه القناعة وهذا الرضا في هذه النفوس الفقيرة والملابس التي فقدت معالمها والأرض التي تحتضن قمامة بلا شكوى أو تضجر، وقلة الحيلة التي بهتت على كل مظاهر الحياة. كيف ومن أين ومتى تتولد تلك الحالة المزاجية العالية التي تعلو فوق الواقع. أهو انتقام من الحالة المتردية أم هي النفس التي تظهر عكس ما تخفيه، أم هي حالة لا مبالاة تحولت إلى عناد نفسي ضد الواقع، أم هي حالة تَعَوُّدٍ تحولت إلى الرضا والقناعة.

لا أحد يدري ولا يستطيع أعتى علماء الاجتماع أن يفسر ما يحدث من هؤلاء النسوة في هذه المنطقة الفقيرة من العالم، وسط كل معالم الاحتياج والفقر واللاآدمية. إنها ببساطة سيمفونية اجتماعية يجب أن تدرس للمكتئبين والمحبطين والعازفين عن الحياة. سيمفونية تؤكد أن النفس ولادة للسعادة من رحم العناء. سيمفونية تؤكد أن بكل نفس غنية أو فقيرة دينامو للسعادة يعمل بطاقة ذاتية قد تكون كامنة، فما على النفس إلا أن تحركها بقليل من الرضا في وجود الصحبة الآمنة.

وما إن انتهت النسوة من وجبة الغسيل الصباحية هذه حتى دخل بعضهن إلى أحد البيوت وجلسن القرفصاء على الأرض ينتظرن أحدا ما في موضوع ما لمهمة ما. دخل رجل بصحبة صبي وطفل ورجلين آخرين، فجلسن على جانب الغرفة الوحيدة بالبيت بجانب ثلاجة وبوتاجاز مسطح وملابس قديمة مكونة فوق بعضها تستخدم كمخدة ومتكأ لمن يريد. سكتت النسوة بمجرد دخول هذا الوفد من أهل المنطقة لمعرفة ما سر هذا الاجتماع الطارئ الذي لا يحدث إلا إذا كانت هناك خطة لعمل شيء ما خارج نطاق المنطقة. ومع أن هذا الشيء لا يعلم به أحد بعد، ولكنه مؤكد له علاقة بنشاط ملتوي للحصول على دفعة من المال للتغلب على هذا القحط المذري في المنطقة.

- إزيكوا يا نسوان، قاعدين كده ليه مفرشحين و بهدوم نومكم! إنتوا مش عارفين إني نادهتيلكم علشان شغل، إيه الرحرحة إللي انتوا فيها دي. المفروض تكونوا جاهزين.

- يا خويا طول بالك علينا شوية وماتاخدناش على الحامي، احنا لسة مخلَّصين غسيل الهدوم حالا بعد هدة حيل، وبعدين احنا لسة عارفين بلمتنا دي من دلوقتي، وبعدين هو احنا من إمتى واحنا بنخطط ونفذ في نفس اليوم. ما احنا ديما بنخطط براحتنا ونفذ بالهداوة علشان الطبخة تتسبك وكمان علشان نعرف مين اللي هايشتغل فينا بالظبط.

- ياولية إيه كتر الكلام ده.. إنتِ هاتعمليلي فيها محلل سياسي، إنتوا تسمعوا الكلام وخلاص واللي أقول عليه يتسمع وبس. مش عايزين كتر كلام، نسوان فاضية صحيح.

ردت إحدى النسوة: إيه يا ابو علاء فاضيه إيه يا خوية.. بقولك لسه مخلَّصين الغسيل ونشره ولاَّ ماشوفتوش وإنت داخل من برة في كل حتة! يا خويا إللي مابيشوفش من الغربال يبقى أعمى، وانت نظرك ستة على ستة. ردت أخرى: مش عايزين نبتديها كده على الضحى.. احنا مش ناقصين، كفاية الغلب إللي احنا فيه من شاقف للاقف ومش عاجب، طبيخ وغسيل وشغل جو وبره الحتة، وعيال ووجع دماغ. ردت ثالثة بنغمة عناد وتحد: هو إيه.. مافيش رحمة. مش كفاية إنكوا قاعدين في البيت لا شغلة ولا مشغلة واحنا اللي بنلف ونجيب ونديكوا.

- اخرسي يا مرة منك ليها لأقوم أكسر دماغكوا كلكم.. هي إيه الحكاية خرارة وانفتحت، تتكوا داهية تاخدكم ونرتاح منكم.. مش كفاية الهم إللي إحنا فيه وكفاية شكلكم اللي يقطع الخميرة من البيت. تاتكوا القرف على الصبح.. شكلنا كده ما فيش شغل النهاردة. الظاهر هايبقي نهار أبوكم اسود ومطين بطين زي الشارع الوسخ اللي برة يا ولاد الكلب.. اتكتمي يامرة انتِ وهي واتلموا علشان ندخل في الشغل.

- يا خويا بدل ماتشطر علينا كده روح شوف مراتك فين وخليها تقعد معانا، بدل مانت مسرحها برة تشتغل في بيوت الخلق، واللا مش شايف غيرنا. صلِّ على النبي كده وشوف عايز إيه علشان نشوف إللي ورانا، لسه قدامنا الطبيخ وخلافه.

- اسمعوني كويس، إنتوا عارفين الشتا على الباب، والشغل في الشوارع هايقل على العيال مين الرجالة والستات والحالة كلها هاتقف. علشان كده أنا فكرت عن نفسي في حيلة نقدر نجيب بيها حاجة تسترنا في البرد ونأكل العيال.

- إنت هاتخطب فينا ولا إيه يا أبو علاء، ما حنا عارفين ده أكتر منك يا خويا، إنت مفكر نفسك قاعد في ميدان عام وبتخطب، هاتعمل علينا رئيس جمهورية.. ادخل في الموضوع على طول.. فكرت في إيه والعملية هتم فين وإمتى. كل اللي بتقوله ده وها تقوله احنا اللي حاسِّين بيه كل يوم واحنا اللي عارفينه أكتر من الرحالة يا أبو الرجالة.

- ياولية إنتِ لسانك طويل عالصبح، يعني ماعرفش أتنفس بكلمتين من نفسي، ينعلك على الصبح. أنا هاتكلم ومش عايز ولا نفس لحد ما خلّص، وإلا هايبقى يومكم مش فايت، إنتوا عارفين لساني وإيديا طوال، انا لسه ماسك نفسي.

ضحكت إحداهن ضحكة فيها غنج ودلال مقصود بعد أن اعتدلت من على الجدار وقربت نفسها منه قليلا: ما احنا عارفين ياخويا عارفين اسم الله عليك، كل حاجة فيك طويلة، إلهي يخيبيك ضحكتني وأنا ماليش نفس. ما تيجي توريني كده طولك قد إيه، شوية ياختي الرجالة..

نهض «أبو علاء» من الغيظ واتجه بغيظه نحو السيدة ليهجم عليها بطول جسده: إنتِ يا مرة لسانك طويل من ساعة الصبحية، اتلمي..

ولكنها بقيت في مكانها دون أن تهتم بهجمته الشرسة هذه. نهض بسرعة أحد الرجال الموجودين مع «أبو علاء» ليمسك به فانصاع له أبو علاء بسرعة وكأنه كان ينتظره. ضحكت السيدة مرة أخرى بدلال: كمل ياخويا يالا، خلاص قول بقى علشان طولك مايتهزش تاني.

رد الرجل الآخر الموجود مع «أبو علاء»: يا سيادنا احنا مش جايين نتخانق، احنا جايين نشوف هانعمل إيه في العملية وها نقدر نعملوها ولا لأ، سيبونا بقى من الكلام اللي لا يودي ولا يجيب ده.. ولا أقوم أمشي أسرح على أي حاجة وأشوف رزقي بنفسي؟ أنا خلاص مش طايق نفسي، البيت مافيهوش ولا زاد ولاماية، ولا حد عاد بيسأل والشغل شاحح، يعني مش هاكل في

نفسـي بقـى وولادي يأكلـوا مـن الزبالـة، وولاد الكلـب بـرة ولا همـة هنـا ولا احنـا ولا غيرنـا ‏في الحتـة ‏في بالهـم، لازم نصـرف يـا زبالـة انتـوا ‏في كام عمليـة نـاكل منهـم عيـش..

- طيـب بـس ياخويـا هـدي نفسـك كـده، كلنـا ‏في الهـوى سـوا وربنـا عالـم بينـا، احنـا بنتكلـم وبنتخانـق مـن الغلـب والوجـع مـش علشـان زعلانـين مـن بعـض، أهـو شـوية تفاريـح كـده يعنـي، احنـا معاكـم اهـه يـا خويـا علـى الحلـوة والمـرة، وهانفـذ اللـي تقولـو عليـه بـس نعـرف إيـه الحكايـة؟

- خـلاص، كمـل يالـلا يـا أبـو عـلاء، واحنـا سـامعينك، خالينـا نشـوف إيـه اللـي ‏في دماغـك، بـس لازم تاخـد بالـك إن الظبـاط والعسـاكر والنـاس كمـان عـادت عينيهـا مفتحـة قـوي، لأن الحالـة كـرب علـى الـكل، فـلازم الفكـرة والخطـة ماتخـرش مايـه ولا دم.

- طيـب يـا عـم المخبـر، إنـت هاتعمـل شـوية الناضورجيـة دول معانـا! ده احنـا المخبريـن.. ظبـاط إيـه وبتـاع إيـه! دول همـا اللـي محتاجينـا وانـت عـارف، أمـا النـاس آه، بَقُمّ مفتحـين كويـس بـس احنـا بنتكلـم علـى النـاس اللـي مريشـة وماتفرقـش معاهـا شـوية فكـة، دول حتـى ولا هايحسـوا بيهـا إلا اذا كانـت انتيـكات اللـي بيخافـوا عليهـا زي مـا حصـل السـنة اللـي فاتـت.

- طيب قولنا بقى إيه اللي في دماغك ياريس علشان نشوف هانعمل إيه؟

- كلامكم مظبوط. عموما أنا اللي في دماغي هايعتمد على الستات المرة دي مش الرجالة. يعني الستات في التخطيط والرجالة والعيال في التنفيذ.

- طيب إزاي؟ وإيه دور العيال هنا؟! دول ممكن يبوظوا الموضوع وننكشف ويبقى عيب كبير في حقنا وتتحسب علينا أونطة.

- لا ما تخافوش، الموضوع بسيط قوي وسهل تنفيذه لو مشي زي ما أنا عايز في دماغي. فيه اتنين من النسوان اللي هنا بيشتغلوا عند ناس تقال قوي في وسط البلد، والناس دول أغنية جدا لدرجة إنهم مش هايحسوا باللي هايتاخد منهم. المهم إن النسوان يعرفوا بالظبط إمتى كل اللي في البيت بيخرج ويرجع كل يوم ولما نحدد اليوم اللي الكل بيكون برة نقدر نصرف.

قاطعت إحدي السيدات «أبو علاء» قائلة: تصرف في إيه يا فالح.. إنت جامعنا هنا علشان نسرق الناس اللي بيأتمنونا على بيوتهم، أنا مش موافقة خالص، إنت اتجننت ولا شارب حاجة عالصبح!

- يا مرة ماتجننتش ولا حاجة، انا زي ماقلت دي كلها حاجات بسيطة ومش هاتفرق معاهم خالص، يعني عادي.

- لأ طبعا، مش ممكن وعلى رقبتي، أنا هامشي وانتوا حُرين، اعملوا اللي تعملوه يا مجرمين. أنا لو هاكلها بملح أو أموت من الجوع أنا وولادي يا كفرة مش هاخون الناس اللي ائتمنوني.

- يا مَرة يا واطية إنت طولي بالك وماتضربيش كرسي في الكلوب، هما يعني بيديوكِ حقك على قد ما بتشتغلي، أكيد لأ طبعا.. وبعدين زي ماقلتلك الموضوع بسيط وحاجات كلها مش هايحسوا بيها بس بالنسبة لنا هاتفرق معانا كتير. ولا إنتِ قلبك عليهم حنين وعلينا جامد. عموما إنت حرة، بس هانعمل اللي هانعمله.

تدخل الرجل الذي يجلس القرفصاء بجانب «أبو علاء»: طول بالك يا سيدي، الست برده معزورة، هي عندها حق برضه وانت مش حاسس بيها علشان إنت ماتعرفشي الناس اللي هايتنصب عليهم لكن هي عارفاهم، تفرق كثير إنك تنصب على حد عارفه وحد مش عارفه، الضمير بينقح جامد لما تكون عارف حد وها يخليك ماتعمليش اللي بتفكر فيه مع إن النصب نصب! بس هي كده. وضحك عاليا: الضمير يا سيدي أحيانا بيبقى ماعندوش

ضمير. كمل بس الحكاية وبعدين نحكم وانتِ ياستي اهدي بس وخليكِ معانا على مانسمع الحكاية كلها.

- نقول تاني.. لما نعرف إيه اليوم اللي الكل مش موجود غير ست البيت هانبعت حد من الرجالة، وليكن أنا، يقولها إن زوجها اشترى كنبة أنتريه ركن، وعايزين نطلعها والحساب بعدين لما يرجع البيت. وطبعا طالما مافيش فلوس هاتدفعها أكيد ها تصدق وهاتفرح وهتاخد الكنبة. لو جات تتصل بزوجها علشان تتأكد هايلاقي التليفون ضاع منه وحد عمل معاه حادثة بسيطة علشان يعطله.

ردت إحدى السيدات التي كانت تركن ظهرها للجدار، تستمع فقط إلى ما يدور حولها دون تعليق: طيب واحنا هانروح نشتري كنبة بالشيء الفلاني علشان نروح نديها لحد كده ببلاش؟! طيب وها نستفيد إيه بقى من كده؟! أنا مش فاهمة حاجة خالص.

رد أبو علاء بلهجة استعلاء على الجميع وكأن كلامه يقع عليهم كالصمغ العربي: ما هو الشغل هايبتدي من هنا. الاتنين الرجالة دول هايطلعوا الكنبة، والواد اللي جانبي ده هيكون برة مستخبي علشان يدخل فيها ومايبانش خالص في لمح البصر لما الست تدخل الشقة تجيب حاجات نطلبها زي مية مثلا، وبعدين

نسيبه في الشقة يقش الحاجات الغالية جدا ويحطها في الكنبة. بعد كده أنا هاروح تاني العصر واعتذر لها، وأقولها إن الكنبة كانت لعنوان غلط وهابعتلك الرجالة ياخدوها تاني. طبعا هي مش هاتمانع وتوافق إن الناس ياخدوا الكنبة طالما لا هي ولا جوزها دفعوا فلوس وناخد الكنبة وفيها اللي لمناه من الشقة.

ردت الست الثالثة، وكانت تتابع ما يجري دون أن تتبس بشيء: والله فكرة حلوة، وفيها تفكير وفيها تعب أهه، يعني مش هانكلها بالساهل، وبصراحة كفاية الفكرة إنها تتنفذ وتنجح، ده المفروض ناخد جايزة على الفكرة دي. وبعدين مش كفاية هانفرحهم بالكنبة ليلة بالكامل وهانشيلها وننزلها، كفاية فرحتهم بيها بقى.

رد الشاب الذي جلس صامتا طوال الوقت مخافة من لسان «أبو علاء» الطويل، رغم أن السيدات لم يخفن منه: طيب والكنبة يا ريس علاء هاتيجي إزاي ومنين؟ ما فيش حد معاه فلوس يشتري كنبة غالية زي دي.

- نعم يا خويا، إمال أنا جايبك هنا ليه.. إنت مش شغال في الموضوع ده على عربيتك الكارو طول النهار. هانستلف منك كنبة حلوة ليلة واحدة وبدل ما توديها في نفس اليوم هاتسلمها تاني يوم الصبح. الموضوع سهل وبسيط وماحدش هايحس بيه.

- بس افرض ياريس صاحب الشغل سألني فجأة على الكنبة واديتها ولا لأ، أقوله إيه؟ دي تبقى مشكلة كبيرة.

- يا بني مشكلة إيه بس، إنت هاتاخد الحاجة زي كل مرة وتوديها للزبائن ما عدا الكنبة هانوديها على المكان على طول.. ولو سألك بالفرض، قوله واديتها غلط وهاجيبها الصبح أو قله تعبت وروحت وهاوديها الصبح، أدي الحكاية. قلتوا إيه بقا تعبتوا قلبي ودماغي، اللّه يخرب بيوتوكوا. قولتوا ايه؟؟

رد رجل بجوار «أبو علاء»: واللّه يا أبو علاء، كلامك موزون والخطة ممتازة وماتعورش خالص لا احنا ولا هما، بس المهم إنت بتفكر في أي ناس؟

- هايبان من مراقبة الستات اللي قدامي دلوقتي لأنهم بيشتغلوا في أغنى البيوت في البلد هنا، فالموضوع بالنسبة للبيوت دي ولا حاجة.

ردت السيدة التي عارضت «أبو علاء» ورفضت طرحه: أنا مش ممكن انصب على الناس بتوعي لو هاموت من الجوع. بس لو حد تاني ممكن أفكر.

ضحك «أبو علاء» ضحكة عالية هزت جدران البيت الآيل للسقوط: يعجبني تفكيرك يا ست الستات، المهم إنك معانا.

وما إن خرج الرجال من الغرفة حتى صاحت النسوة بضحكات عالية لتقول إحداهن: شوفي يا ختي الراجل.. قال إيه عايزني انصب على الناس بتوعي!! هو أنا هبلة ولا إيه، ما يروح ياختي يسرق بتوعه. ضحكت النسوة لتبدأ جلسة النميمة بين جدران آيلة للسقوط تتسمع لكلماتهم وكأنها لا تسمع..

●●●

الفصل التاسع

«الناس هنا ودون أن يدروا قد يصنعون التاريخ والفلسفة والاجتماع، وقد يصنعون علماء بنظريات جديدة..».

فعلا، ليس هناك أروع من الحوار الفكري بين عقلين على مائدة بسيطة في حجرة بسيطة وفطور بسيط، حوار يرتقي ببساطة الأشياء، ويجعل منها مواقدا فكرية تُلهب العقل وتجعله يفرز أروع ما عنده من فكر ينساب كنهر جارٍ يفيض بماء من كلمات عذبة صافية.

يا تُرى، هل بساطة الأشياء هذه هي من وراء روعة الفكر ورُقيه. هل بساطة الزمان والمكان والإنسان تؤثر في البصمات العقلية لكل منا وبالتالي تشكل الإفرازات الفكرية وتحاورها. هل يا ترى لو دار هذا الحديث وطُرحت هذه الأسئلة على الأشخاص أنفسهم، ولكن في مكان آخر يتسم بفخامة الأشياء، كفندق خمسة نجوم، أو باخرة سياحية، أو دار رئاسة، أو جنة وارفة وبملابس فارهة، هل ستختلف الإجابات وطعمها ونكهتها، هل ستختلف الفلسفة وراء الإجابات، وهل.. وهل.. وهل.

دارت كل هـذه الأسـئلة في عقـل «ياسـمين» وهـي تنظـر إلـى بـرواز فقيـر يحـوي آيـة قرآنيـة عظيمـة تقرأهـا وتتمعـن فيهـا وكأنهـا تقرأهـا لأول مـرة . هـل يـا تـرى اختـار صـلاح هـذه الآيـة بدقـة لتعكس حالـة البسـاطة في عيشـته ومسـكنه، أم أنهـا جـاءت بالصدفـة البحتـة، أم ورثهـا عـن أبيـه. ويـا تـرى لـو كنـت مكانـه وولـدت وتربيـت هنـا هـل كنـت سـوف أفعـل كمـا فعـل وهـو صغيـر وكمـا يفعـل الآن. ولـو كنـت فكـرت أعلـق آيـة قرآنيـة في حجرتـي في بيـت بابـا ومامـا فيـا تـرى أي آيـة قرآنيـة سـوف أختارهـا ولمـاذا. هـل أختـار آيـة تمنـع الحسـد أم آيـة شـكر الله وحمـده، أم مـاذا.

لـم تتصـور «ياسـمين» أبـدا مـن قبـل أن تَخْتُـر في بالهـا كل هـذه الأسـئلة، ولكنهـا أسـئلة حيـاة يجـب أن يتحـرى كل منـا الشـجاعة والحكمـة ويسـأل نفسـه عـن عمـد مـن حـين إلـى آخـر وليـس بالصدفة كمـا أفعـل الآن. لمـاذا لا يأتـي طـلاب الجامعـة هنـا لعمـل لدراسـات كجـزء مـن دراسـتهم لعلـم الاجتمـاع أو الفلسـفة أو الديـن أو حتـى الطـب. ولمـاذا لا يذهـب هـؤلاء النـاس مـن هـذا الحـي لزيـارة الجامعـة مـن وقـت إلـى آخـر، وحضـور محاضـرات تـارة تسـتهدفهم دون غيرهـم وتـارة أخـرى بمشـاركة الطـلاب.

لمـاذا لا تتغيـر طـرق التدريس والبحـث عندنـا لتكون أكثـر واقعيـة. النـاس هنـا قـد يصنعـون التاريـخ والفلسـفة والاجتمـاع وقـد يصنعـون

علمـاء بنظريـات جديـدة دون أن يـدروا. آه لـو لـو كان الأمـر بيـدي لفعلـت كل هـذا ولدعـوت «صـلاح» أن يلقـي محاضـرة حيـاة لطـلاب كليتنـا ولدعـوت طلابـي لقضـاء يوم هنـا. حقـا الفلسـفة هـي البصمـة الفكريـة لواقـع المبدعـين وليـس للسـامعين أو المتفرجـين.

– إيـه يـا يسـمين، شـايفك سـارحانة في الآيـة القرآنيـة قـوي.. وكأنـك بتقريهـا لأول مـرة. أنـا فعـلا بارتـاح كتيـر لمـا باقراهـا وخاصـة وأنـا راجـع مـن الشـغل بعـد مـا كـون شـفت مفارقـات الحيـاة في الخـارج. وعلـى فكـرة الآيـة دي باعتـز بيهـا جـدا لأنهـا مـن ميـراث والـدي مـع الأوضـة دي وشـوية العفـش دول.

– واللّه يـا صـلاح أنـا فعـلا حبيـت الآيـة دي جـدا جـدا وكأنـي أقرأهـا أول مـرة، وإن شـاء اللّه هاشـتري واحـدة وبروزهـا واحطهـا في أوضتـي لمـا أروح. أكيـد قراءتهـا كل يـوم هايكـون لهـا تـأثيـر إيجابـي علـيّ جـدا في تعاملاتـي مـع نفسـي ومـع النـاس وطبعـا قبـل كل حاجـة مـع ربنـا.. علـى فكـرة يـا صـلاح، أنـا ماشـفتكش بتصلـي الصبـح ولا العشـا امبـارح. هـو انتـوا هنـا مـش يتصلـوا ولا إيـه! مـع إنـي شـايفاك مثقـف وملتـزم.

– واللّه يـا ياسـمين أنـا فعـلا مقصـر في الصـلاة وتقريبـا فـين وفـين لمـا أصلـي ودي عـادة هنـا مـع إننـا كلنـا بنحـب ربنـا جـدا وهـو

ملجأنـا ـيـْ كل وقـت بـس القناعـة إللـي توارثـت معانـا إن ربنـا أكيـد راضـي عنـا ومـش هايحاسـبنا لأنـه عـارف بظروفنـا وتعبنـا وبهدلتنـا ـيـْ الدنيـا عكـس النـاس اللـي بـرة، النـاس هنـاك بتصلـي علشـان ربنـا يغفرلهـا تقصيرهـا ـيـْ الحيـاة، لكـن إحنـا هنـا إللـي مِتقَصـر معانـا، العكس يعني.

- طيـب انـت مقتنـع بكـده يـا صـلاح، عبـادة ربنـا ملهـاش دعـوة إنـت غنـي ولا فقيـر. لـو كنـت غنـي أهـو إنـت بتحمـد ربنـا ولـو كنـت فقيـر أهـو إنـت بتدعيلـه يباركلـك ويغنيـك. العبـادة يـا صـلاح راحـة نفسـية قبـل ماتكـون طلبـات. العبـادة أوامـر مـن ربنـا مالهـاش شـروط لـو خالفناهـا نبقـى مقصريـن بغـض النظـر احنـا فقـراء أو أغنيـاء.

- واللّه أنـا طبعـا مـش مقتنـع بقناعـة النـاس هنـا ـيـْ عـدم الصـلاة والصيـام والـزكاة. بـس تقـدري تقولـي كلنـا اتربينـا علـى كـده وبـدون مـا نفكـر ليـه، مـع إن الـكل فعـلا بيحـب ربنـا جـدا والرسـول والشـيوخ وخاصـة الشـيخ الشـعرواي. عمومـا فيـه نـاس كتيـر بتصلـي الجمعـة ـيـْ المسـجد اللـي ـيـْ المنطقـة وشـيخه مـن المنطقـة برضـه. أمـا أنـا فبصلـي بـس بصراحـة مـش منتظـم خالـص، بـس أوعـدك إنـي أنتظـم. ياتـرى إنتـي منتظمـة ـيـْ الصـلاة والصـوم والـزكاة؟

- والله يا صلاح، كنت متوقعة سؤالك، بصراحة لأني برضه مش ملتزمة خالص بس طبعا بصوم وبابا بيطلع الزكاة أكيد مع إني عمري ما سألته في الحاجات دي خالص. بس أنا على عكسكوا هنا مؤمنة بالصلاة وبأن ربنا هايعاقبني على عدم التزامي.. وأعتقد ده فرق جوهري بيني وبينك في موضوع الصلاة والصيام. أما الزكاة بقى فأكيد ما ينفعش تزكوا، بالعكس الناس هنا هي اللي محتاجة الزكاة وده حقهم القانوني حسب الشرع والدين.

- شوفتِ بقى، مع إن المحصلة واحدة وهي عدم الالتزام في الصلاة وعبادة ربنا إلا إن لكل فريق أسبابه المقتنع بيها حسب ظروفه وتعليمه وثقافته ونشأته. عموما كلنا سواء هنا ولا برة مقصرين بس كلنا موحدين وبنحب ربنا جدا، وربنا يهدينا بقى.

- طيب قولي صحيح إنت عمال تقولي المنطقة هنا المنطقة هنا.. هي مالهاش اسم محدد؟!!

- أيوة طبعا لها اسم ومعروف جدا كمان، ده أنا كنت متخيل إنك عارفاه لأنه المفروض مشهور عند معظم الناس. اسمها يا ستي «كاندليه».

- واو يا صلاح، ده اسم جميل جدا، اسم رومانسي وكمان شيك، فكرني بالشانزلزيه في باريس. اللّه حلو بجد، ده مين إللي سماه الاسم الجميل ده.

- هاهاهاهاها. ضحك «صلاح» ضحكة كبيرة لم يضحكها منذ زمن، شانزليزبه إيه بس يا ياسمين هانم، ده اسم كله غلب وفقر واستغراب واستنكار.

- إزاي بقى؟! مش حاسة بكده خالص في الاسم، ليه هو معناه إيه؟ وإيه اللي خلاك تضحك قوي كده، هو انا قلت حاجة تضحك ولا إيه؟؟!!

- هاهاهاها، معناه في حروفه يا فندم وفي مقاطعه الثلاث «كان» «ده» «ليه». يعني إيه الغلب والفقر والحاجة والأمية والتخلف إللي احنا فيه ده.. وكل ده كان ليه.. ومين السبب فيه وليه.. وعايز إيه.. ليه كل ده. ده معني الاسم يا فندم، عرفتِ بقى أنا ضحكت ليه؟

شعرت «ياسمين» بإحراج شديد من إعجابها البريء باسم كاندليه، فنظرت إلى صلاح بطرف عيونها بخجل: طيب يا سيدي أنا ما زلت معجبة بالاسم؛ لأنه فعلا حلو لو مفسرناهوش بطريقتك، وبعدين ماتضحاكش قوي كده عليّ، مين عارف يمكن

أصل شارع شانزليزية بباريس كان زي كانديله كده وبعدين طوروه، عادي يعني.. وبعدين لعلمك ده فال كويس للمنطقة. إنت عارف أصل اسم حي الزمالك اللي هو أشهر وأفخم منطقة في مصر؟ معناه العشش لأنها فعلا كانت عشش زي هنا وتحولت بقدرة قادر إلى أفخم مكان. فبكره تشوف كانديله هاتبقى إزاي بعد ٢٠ سنة.

استمر «صلاح» في ضحكه الهيستيري: طيب والله كويس كده ضمنت إن الأوضة التعبانة بتاعتي دي هتبقى بمليون جنيه بعد ٢٠ سنة، هايل.. كده ضمنت يكون عندي شقة وعفش وزوجة بعد ٢٠ سنة، الله يطمنك.

- خلاص بقى ندخل في الموضوع، جاوبلي بقى على سؤال البساطة وارتباطه ببساطة الأشياء من وجهة نظرك.

- يا خبر أبيض إنتِ لسه فأكره يا فندم! ده إنتِ مش بتنسي حاجة أبدا، عموما إنتِ بجد فتحتِ نفسي للكلام.

وما إن بدأ صلاح يشرح لياسمين معنى البساطة من وجهة نظره حتى سمع أصوات عالية من النسوة تدخل الحجرة عليهم وبدون استئذان كالعادة.

ضحك «صلاح» مرة أخرى من قلبه: اتفضلي يا فندم البساطة كلها جات لحد عندك.. نكمل بعدين بقى.

- يووووووووه بقى.. كنت عايزة أعرف رأيك..

- أهلا يا حبايب، إيه إللي فكركم بينا تاني النهاردة، مش كنتوا هنا الصبح واطمأنيتم على الآنسة ياسمين، إنتوا جايين عايزين العباية ولا إيه! وأكمل «صلاح» نوبة الضحك التي انتابته منذ قليل مع ياسمين على سبب تسمية اسم كاندليه ثم مجيئهم فجأة في نفس الوقت التي سألته عن ارتباط البساطة بالأشياء.

ردت إحداهن بضحكة مكتومة: إحنا ياخويا مش عايزين منك حاجة، احنا جينا علشان نطمن على السنيورة وجبنالها شوربة فراخ وفرخة بلدي تُرم عضمها علشان تخف بسرعة، وانت عارف يا سي صلاح الفراخ بتاعتنا أصلي مش تايواني زي بتاع الوزارة البيضة، دبحنا واحدة من اللي مربينيهم قدامنا في الشارع. يعني يا حبيبي جايين لمصلحتها و لمصلحتك برضه ياخويا مانت أكيد هاتاكل معاها، هو إنت تعرف تعمل أكل. عموما مش هانعطلكوا على الدور اللي بتعملوه سوا ده، قُعُدوا كلوا سوا واحنا هانستنى برة علشان ناخد الأطباق.

تعجبت «ياسمين» من كرم هؤلاء النسوة النابع عن الذات رغم فقرهم المدقع، وسألت نفسها يا ترى فعلوا ذلك طمعا في تعويض ياسمين لهم بعد ذلك أم أن هذا تصرف طبيعي؟ ولو

تصـرف طبيعـي فهـو قمـة الكـرم الـذي ينطبـق عليـه الآيـة الكريمـة «والذيـن يؤثـرون علـى أنفسـهم ولـو كان بهـم خصاصـة». حقيقـة لا أفهـم هـؤلاء النـاس، أهـم طيبـون أم ماكـرون أهـم مؤتمنـون أم خائنـون وسـارقون، أهـم ضعفـاء أم أقويـاء، أهـم ملتزمـون أم منحرفـون. شـيء محيـر فعـلا، أعتقـد أنـه ليـس بالسـهولة معرفـة سـلوك وفكـر هـؤلاء النـاس إلا بعد قضاء شهور بينهم.

قطـع «صـلاح» أفـكار ياسـمين والتـي انتبهـت لكلامـه بسـرعة: روحـتِ فـين تانـي يـا ياسـمين! مـش كنـتِ بتسـألي علـى العلاقـة بـين البسـاطة في الأفعـال والبسـاطة في الأشـياء؟ أهـو سـلوك البسـاطة وبسـاطة الأشـياء يـا سـتي بيتجسـد قدامـك أهـو.

وبضحكـة فيهـا إسـقاط أضـاف صـلاح: مـع إن الفرخـة علـى فكـرة مـش بسـيطة خالـص. وهـو مسـتمر في ضحـك هيسـتيري وكأنـه يضحـك لمـا فـات ولمـا هـو قـادم مـن العمـر دفعـة واحـدة: عمومـا احنـا حاليـا في لحظـة تاريخيـة، قـدام سـؤال فكـري أوروسـتقراطي مـن آنسـة بنـت ذوات موجـه لفكـر بسـيط لسـتات برضـه مـن أهـل الذوات، ذوات كاندليـه. إيـه رأيكـم يـا سـتات تجاوبـوا الآنسـة ياسـمين علـى هـذا السـؤال الفكـري المسـتنير؟

- سؤال إيه يا سي صلاح وبتاع إيه، إحنا ياخويا مالناش ڤ الكلام العوج ده واللا انت فرحان بشوية الكلام اللي بتقراهم ڤ الجرانين والكتب الخرفانة بتاعتك من وانت عيل. وبعدين مالك منشكح قوي كده، انتوا شربتوا حاجة ولا شميتوا حاجة على الصبح، مالك ڤ إيه. بساطة ايه اللي بتتكلم عليها ولا اللي هي بتسأل عنها.

- يا ستي طولي بالك، ده سؤال بجد بصحيح، وهي نفسها احنا نجاوب عليه، إنتِ رأيك إيه؟ هل احنا اتخلقنا على حالنا ده كده ولا بقينا كده علشان ما عندناش حاجة نتأنتك بيها. ده السؤال. جاوبي بقى ياختي.

- يا خويا أنا اتولدت واتربيت كده، بس هاتلي فلوس إنت وإنا أوريك الأنتكة على أصولها، هاوريلك إزاي أم سيدة هاتبقى سيدة. ده احنا بتوع مزاج ونعرف نتأنتك قوي. أصل الأنتكة دي صنعة، وبرضه البساطة صنعة.

قاطعتها أخرى محتجة: لا طبعا، أنتكة إيه! الدنيا مش مستاهلة أنتكة. الدنيا حلوة ببساطتها حتى لو الواحد معاه مليون جنيه المهم الصحة والستر، الفلوس والحاجات كلها بتروح وبتيجي. احنا هنا لو بانولنا عمارات برضه هانكون زي ما احنا

ﻓﻲ كل حاجة. ثم أعقبت مبتسمة: كأنها تذكرت شيء ما مهم، بس أكيد هانبطل سرقة ونصب وضحك على الناس وكمان كنا هانلبس كويس بقى زي الناس.

- شفتِ بقى يا ياسمين، حتى البسطاء إختلفلوا ﻓﻲ تفسير البساطة عندما تتحسن الأشياء. علشان كده لو سألتِ أي حد هنا أو بره هايجاوب عليكِ بنظرة فردية حسب تقديره وحبه للحياة ونظرته الشخصية البحتة لمظاهر الحياة بغض النظر عن فقره أو غناه. ولكن زي ما شيخ الجامع سمعته مرة بيقول ﻓﻲ خطبة الجمعة المتعلم الصح واللي عارف ربنا صح هو ده اللي يكون متواضع ﻓﻲ كل حاجة حتى لو امتلك كل حاجة.

- يعني عايز تقول إن التعليم والدين هما اللي بيزيلوا الفوارق الفردية بين الناس ﻓﻲ السلوكيات والنظر إلى الاحتياجات وكيفية التعبير عن الغنى والفقر. طيب ما هُوَّ معظم الناس اللي بره متعلمين وفيهم اللي متعلم كويس قوي وكلهم عارفين دينهم كويس جدا، ولكن معظمهم بيحبوا المنظرة والبعد عن البساطة زي مانت شايف ﻓﻲ كل مكان. وده اللي خلاني أسألك السؤال ده لما لقيت الناس اللي شفتهم لحد دلوقتي هنا بسطاء جدا. فربطت ده بحياتهم وامكانتهم البسيطة.

ردت إحدى السيدات بأنتكة مفاجئة: إيه هو ده، احنا ياختي مش فاهمين حاجة من اللي بتقوليه ده ومش عايزين نفهم ولا نحب نفهم، احنا جينا هنا علشان نطمن عليكِ ونمشي. احنا هانقعد بره لحد ما تخلصي الشوربة والفرخة إنتِ وصلوحة بتاعك علشان ناخد الفارغ ونمشي. وعلى فكرة يا ياسمين يا بنتي، احنا بنعمل الواجب ومع أي حد في حتتنا وعمرنا مابنستنى رد. وهي دي بقى البساطة بجد.. احنا برة يا صلاح.

- طيب ياست كاندليه هانم، بالراحة علينا شوية وبلاش أنتكة فاضية، خمس دقايق وهافضي الحاجة، دي ماكانتش حتة فرخة دي.

وخرج النسوة الثلاث إلى الصالة بقهقهة عالية متندرين على صلاح وياسمين، وعلا صوتهم بالغناء على وزن أغنية صباح «على البساطة البساطة ياعيني على البساطة، أمك حلوة وخياطة بتبيع الفستان بجنيه والجلابية باربعتاشر».

- شوفتِ تاني يا ياسمين.. أهي دي البساطة الحقيقية إللي مش ممكن تلاقيها في أي مكان تاني لأننا اتربينا على كده في الحياة مش في المدارس، المدارس والجوامع ماعدتش بتعلم البساطة، بالعكس بتعلم المقارنات، المشكلة مش في الناس، المشكلة

في البيئة إللي فيها الناس واللي صنعتها الرؤوس الشيطانية للناس عمدا.

- واللّه ياصلاح كلامهم كان بالفطرة ومستمتعة بيه، مع إني بحس فيه بريحة تريقة كده أو شماتة مش عارفة ليه!

- هاهاها، طبعا طبعا لازم تحسي بكده علشان مش واخدة الموضوع ببساطة.

ضحكت «ياسمين» ضحكة أذابت قلب صلاح في الكتمان، ضحكة خبأها في قلبه الذي اهتز وارتج رجة عنيفة وكأن صماماته تعرضت لحادث اصطدام كبير بقلب ياسمين. أسّر هذا الشعور في نفسه حتى لا تفضحه مشاعره التي تولدت في جنباته في هذه اللحظة التاريخية التي لن يغفرها له القدر. فلا هو ولا كاندليه يرقى إلى مجرد التفكير في حب بقلبها، وهو الذي لم يمر يومان بعد على أول لقاء لهما، لقاء يجمع بين الأرستقراطية في أبهى صورها والمديونية في فقر مظهره. الغريب أن «صلاح» شعر بهذا الخفقان للوهلة الأولى عندما رأى ياسمين في حجرته ولكنه كذب ظنونه وأكد على قلبه، وشدد على عقله أن خفقان قلبه ما هو إلا طيش قلوب، ولكنه الآن يهتز ثانية وثالثة ورابعة، فماذا عساه أن يفعل فلا بيده أن يجمد مشاعره ولا أن يطفأها ولا أن يخفيها فالحب تفضحه العيون.

- رُحْت فين يا صلاح؟ شكلك سرحت في الفرخة والشوربة، اتفضل يا سيدي معايا ماتخافش، هانكلها سَوا علشان يبقى عيش وفراخ. تعالى نحقق البساطة على الأرض.. تعالى نقعد على الأرض وناكل، تعالى وأنا هاوريلك البساطة على أصولها، علشان أعرفك إن البساطة مش تعود وبس، لا دي مكتسبة كمان.

- يا ياسمين، إنتِ البساطة في ثوبها المتأنق، أنت الأناقة في ثوبها البسيط، أنتِ ياسمينة أريج تسكنها كل الرياحين. أنتِ أنثى تغار منها البساطة، أنثى تتعلق بها الأناقة، أنثى يخجل الجمال منها وترتعش العيون من هوى رموشها. حقا، أنتِ أنثى تحرك الكلمات الراكدة في العقول، والمشاعر الهاربة في القلوب، أنثى هي نهرٌ يفيض عذوبة في عذوبة، أنثى يفرح لها الزمان ويرقص لها المكان.

- صلاح، معقول، إيه كل ده!! إنت بتقول شعر فيّ بجد ولا إيه. ده كلام كبير قوي قوي، بس حلو ورائع. ياريت تقول كمان. عمري ماتخيلت إنك بتقول شعر ولو بتقول مش ممكن يكون ليَّ. أنا في غاية السعادة. ولو كنت أعرف إن سؤالي عن البساطة هايعمل فيك كده كنت أصريت إنك تجاوب عليه من أول مرة. كلامك يجنن، أول مرة حد يقولي شعر من قلبه.

- يا فندم شعر إيه بس، دول كلمتين بقولهم ليكِ علشان أضحك عليكِ وتديني الفرخة لوحدي، أصل أنا جعان جدا. ياللا نأكل سوا وبعدين نكمل كلامنا. بس صحيح هو إنتِ مش ناوية بقى تكلمي بابا، كده الموضوع طوِل وزمان الراجل اتجنن، اوعي يكون قلبك قاسي على الناس اللي بيحبوكي يا ياسمين.

- لا طبعا يا صلاح قاسي إزاي، ده أنا بابا وماما وقرايبي كل حياتي، أنا بس مش عارفه ليه حاسة إني عايزة جرعة حنان أكبر مني و منهم علشان كدة عايزة أوحشهم ويوحشوني أكثر علشان يكون اللقاء عاطفيا جدا. وبعدين من ناحية تانية نفسي أعرف المكان هنا أكثر وأتعرف على الناس أكثر وانت بالذات. وبعدين هو انت زهقت مني ولا إيه؟ لو زهقت قول وأنا أمشي على طول.

- يا ياسمين زهقت إيه بس.. ده أنا نفسي ماتمشيش إلا لما تبقى كويسة خالص، أنا بس قلقان على أسرتك، وقلقان عليكِ من بساطة المكان إللي هنا، إنتِ مش واخدة على كده. عموما أنا هاسيبك شوية وأروح أشوف العربية بتاعتك خلصت ولا لسة وفرصة تقضي شوية وقت مع الستات اللي قاعدين برة علشان هما جولك إنتِ مخصوص.

- فعلا يا صلاح عندك حق، الأصول كده برضه، أنا هاروح ليهم وانت روح شوف العربية وتتكلف كام. وميرسي قوي بجد يا صلاح.

خرج «صلاح» ودموع مشاعره تتساقط من جفون قلبه على جدران صدره، خرج وكأنه ولد من جديد، ولكن بلا شهادة ميلاد وبلا عنوان وبلا أب وبلا أم. خرج يتيما في الحب. خرج وهو يدندن في نفسه ولنفسه أغنية أم كلثوم «حب إيه إللي انت جاي تقول عليه، إنت عارف قبل معنى الحب إيه»...



الفصل العاشر

«الديكور ما هو إلا بصمة فلسفة النفس التي تهيج وتهدأ بين لوحاتها الطبيعية أو المصطنعة حسب الحالة المزاجية لصاحب الديكور..».

خرج «صلاح» قاصدا مكان تصليح سيارة ياسمين كما وعدها ولكنه شعر بحاجة شديدة إلى أن يجلس بمفرده وفي مكان بعيد عن هذا الحي الذي قضى فيه أعوامه الثلاثين بالكامل. فكر أن يركب «تاكسي» ليختصر الوقت ولكنه فضّل أن يمشي ليفكر في هذا الشعور المفاجئ تجاه فتاه لم يرها من قبل، فتاه أرستقراطية كيانها الاجتماعي والمالي والتعليمي يبعد عنه آلاف الأميال. لا يدري كيف انتابه هذا الشعور الحلو مع أنه قطع على نفسه عهدا من قبل بأن ينسى المشاعر التي كانت تمس قلبه من وقت إلى آخر أثناء قراءته الروايات الرومانسية. وحتى وإن استجاب قلبه للرومانسية يوما ما، فمن المتوقع أن تكون مع قلب من قلوب أهل الحي.

مشى صلاح ومشى دون أن يدري بنفسه، ودون أن يعرف وجهته. فمع أنه شعر بارتياح كبير ولذة لم يعرفها من قبل وهو يقول هذه الكلمات الشعرية لياسمين منذ دقائق إلا أنه الآن يعنف نفسه وبقوة كمن ارتكب ذنبا كبيرا تحيطه اللذة من كل جانب.

كيف لقلبه أن يخونه ويخترق الحواجز ويقدم هذه المشاعر الحانية تجاه فتاه أرستقراطية. هل القلوب لا تعرف الأرستقراطية، هل كل القلوب سواء، هل كلها تهتز عندما تقابل وليفها. حتى وإن كان فلا بد من منع هذا الشعور نهائيا من قلبه قبل أن تنهي عليه الظروف.

ما أتعسك يا صلاح! ترى الحب يجري أمامك ويتبختر ولا تستطيع حتى البوح به. ما أسوأها قلة الحيلة. مؤكد لو كنت «صلاح» آخر لاختلف الوضع، صلاح المتعلم حتى ولو لم يكن مثقفا، صلاح يسكن في مكان يليق بالآدمية، صلاح يمتهن عملا يليق به وبمن يحب، صلاح المهندم والملتزم دينيا، باختصار شديد «صلاح من برة كاندليه».

ولكن أنا صلاح كاندليه، ولا يمكن أن أكون «صلاح» آخر بعد مرور ثلاثين عاما كلها كانت لكاندليه. لن يعترف أحد بما يثور في داخلي مذ كنت طفلا، ثورة ضد كاندليه الفقر والحاجة والنظرة الدونية والعيش في عالم لا يعترف إلا بنفسه حتى ولو كان فاشلا وينكر الآخر، حتى ولو كان ناجحا. ما أتعسك يا كاندليه ويا ساكني كاندليه، وما أتعسك يا صلاح كاندليه.

شـعر «صـلاح» باحتقـان ﻓـﻲ عينيـه وانقبـاض ﻓـﻲ قلبـه ودوران برأسـه وبحبـات مـن الدمـوع تتسـاقط علـى وجنتيـه دون أن يـدري. ثـم فوجـئ بأحـد المـارة ينهـره بشـدة على كتفـه، يابنـي فـوق وخـد بالـك العربيـة كانـت خـلاص هاتخبطـك، بطلـوا بقـى البـلاوي اللـي انتـوا بتتعاطوهـا دي!!

انزعـج «صـلاح» مـن نفسـه جـدا، أكل هـذا يفعلـه الحـب بـي، أيـن أنـا الآن. نظـر حواليـه فوجـد نفسـه بعيـدا جـدا عـن كانـدليـه وعـن المكان الـذي يتـم فيـه تصليـح سـيارة ياسـمين. قـرر أن يجلـس علـى أقـرب قهـوة ليسـترد أنفاسـه، ويعـود إلـى «صـلاح» الطبيعـي قبـل أن يعـود لكاندليـه، فالقهـوة خـارج كاندليـه هـي المكان الوحيـد الـذي يعـود فيـه لنفسـه كعادتـه التـي يحـب أن يسـتمتع بهـا مـن وقـت إلـى آخـر. بحـث عـن أي قهـوة ﻓـﻲ أي شـارع، وأخيـرا وجـد قهـوة ﻓـﻲ الشـارع العمومـي.

جلـس علـى مقعـد ﻓـﻲ واجهـة الشـارع وطلـب شـايا، فشـعر بطمأنينـة كبيـرة ﻓـﻲ قلبـه بمجـرد أن جلـس علـى الكرسـي ناظـرا إلـى النـاس بـكل شـغف، وهـو الـذي لـم يلـقِ بـالا قـط لتلـك المـارة. حـدق ﻓـﻲ المـارة باحثـا عـن صـلاح آخـر يشـبهه، صـلاح طيـب مـن داخلـه مهنـدم ﻓـﻲ مظهـره، صـلاح المثقـف والمتعلـم ويكفـي فقـط أنـه متعلـم تعليمـا عاليـا. تـاه عقلـه وسـط المـارة، فهنـاك الكثيـر مـن صـلاح

الـذي قـد تنطبـق عليـه هـذه المواصفـات، ولكنـه يريـد نسـخة مـن صـلاح الأصلـي، طويل ونحيف وكثيف الشعر وعيون عسلية وبشـرة خمريـة، هـادئ الطبـاع، وعصبـي المـزاج إذا تحتـم الأمـر.

ابتسـم «صـلاح» في نفسـه، فهـا هـي أول مـرة يوصـف نفسـه لنفسـه ويتعـرف عليهـا بدقـة، أيفعـل الحـب كل هـذا بالنفس. جلس علـى القهـوة ليعـود إلـى نفسـه فـإذ بـه يُشـرح نفسـه لا يـدري لمـاذا.

أفـاق علـى صـوت نـادل القهـوة: أيـوة يـا سـطى طلباتـك؟ شـاي ولا كركديـه؟ نظـر إليـه صـلاح بتعجـب: مـش معنـى يعنـي شـاي أو كركديـه؟ وليـه مايكونـش قهـوة ولا نيسـكافيه؟؟

رد النـادل: يـا سـيدي اللـي إنـت عايـزه.. بـس الأسـطى هـايطلب إيـه يعنـي؟ دي العـادة!

- وانـت إيـه إللـي عرفـك إنـي أوسـطى؟! بتحكـم علـى النـاس مـن غيـر مـا تعرفهـا!

- وإيـه اللـي يزعـل في دي؟! أنـا خمنـت مـن هدومـك، هـدوم أسـطى.. وأحلـى أسـطى كمـان، وعمومـا يـا سـيدي ماتزعلـش إنـت أسـتاذ وباشـا ودكتـور كمـان، أؤمرنـي يـا معالـي الوزيـر.

نهض «صلاح» واقفا وغاضبا وناهرا لهذا الشاب الذي يبدو في العشرينيات من عمره: هي حصلت إنك تتريق عليّ، هو انت شايفني دكتور ولا وزير قدامك!!! وكاد «صلاح» أن يفتك بالشاب الذي تلعثم بين يديه في خوف محاولا أن يتجنب شر صلاح الذي بدأ يتطاير من عينيه غير عابئ بمن حوله من الناس.

تقدم شاب أنيق وهادئ الطباع ووضع راحته على كتف صلاح بهدوء: إيه بس يا معلم فيه إيه؟ ماحصلش حاجة تخليك تتعصب كده.. الراجل بيحاول يرضيك مش أكثر. عموما اهدى وأنا عازمك على شاي على حسابي وسيب الراجل يشوف شغله وكفاية الهم إللي هو فيه، ده راجل خريج كلية التجارة وملقاش شغل فاشتغل هنا وكمان بيحضر دراسات عليا، ماجستير يعني.

جلس «صلاح» بعد أن عاد له هدوءه بعد سماع كلمات هذا الشاب الوسيم والمهندم، وتأسف كثيرا للنادل إلى درجة أنه حاول أن يقبل رأسه اعتذارا عما حدث وإعجابا بما يفعل رغم تعليمه العالي.

- ماحصلش حاجة يا فندم، حضرتك قولي بس طلباتك وأنا تحت أمرك.

- هاتلي نيسكافيه، ده مشروبي المفضل من الآن.

رد الشـاب الأنيـق: خـلاص يـا أسـتاذ عـادل، اتنـين نيسـكافيه وعلـى حسـابي، ومـن غيـر نقـاش ومـن غيـر عصبيـة. قالهـا بابتسـامة هـادئـة كهدوئـه.

ابتسم «صلاح» لهذا الشاب كعلامة على قبوله العزومة.

- أنـا آدم مـن هنـا وباشـتغل مهنـدس ديكـور والصدفـة البحتـة خلتنـي أقعـد شـوية علـى القهـوة دي دلوقتـي علـى مـا عربيتـي تخلـص عنـد الميكانيكـي.

- أهـلا أسـتاذ آدم، أنـا صـلاح، وتوقـف دون أن يخبـره عـن عملـه وعـن مسـكنه.

لـم يشـأ «آدم» أن يسـأل صـلاح علـى أي معلومـات وتركـه يتحـدث لوأراد.

نظـر «صـلاح» مليـا إلـى هـذا الشـاب وأسـر في نفسـه، أخيـرا وجـدت «صـلاح» آخـر يشـبهني وتنطبـق عليـه المواصفـات.

لاحـظ الشـاب تحديـق صـلاح فيـه: هـو حضرتـك بتبصلـي قـوي كـده ليـه، يـا تـرى بتشـبه علـيّ، أو اتقابلنـا قبـل كـده؟

رد صـلاح بعفويـة: لا أبـدا أنـا بـس وجـدت فيـك المواصفـات اللـي كنـت بـدور عليهـا في فتـى أحلامـي.

انزعـج «آدم» كثيـرا مـن كلام صــلاح: إيـه إللـي بتقولـه ده حضرتـك!! هـو انـت منهـم ولا إيـه؟!! فتـى أحـلام إيـه.. هـو انـت شـايفني سـت ولا ولـد بيتمرقـع. إيـه كلامـك ده!!

لـم يـدرِ «صـلاح» بنفسـه إلا وهـو يضحـك علـى انزعـاج هـذا الشـاب مـن مصطلـح فتـى أحلامـه، وأمسـك بيـده ليجلـس بعـد أن هـم في الانصـراف: أرجـوك مـا تفهمنيـش غلـط، أنـا ماقصـدش اللـي في دماغـك خالـص، أنـا بـس بمـر بـمشكلة شـخصية دفعتنـي أدور علـى حـد يمتلـك صفـات حقيقيـة كنـت أتمنـى أن توجـد فيَّ لـو كانـت الظـروف مشـيت كويـس وأنـا صغيـر.

رد «آدم» باسـتغراب أكثـر: أنـا حقيقـي مـش فاهـم حاجـة، لـو سـمحت وضـح كلامـك أكثـر.

- دي حكاية طويلة هاحكيهالك لما يجي النيسكافيه.

- نيسكافيه إيه بقى يا فندم، دي عايزة شاي ولا إيه رأيك؟

- خـلاص موافـق نشـرب الشـاي وخلِّـي النيسـكافيه لمـا أحكيلـك واعـرف رأيـك.

- خـلاص اتفقنـا بـس قبـل مـا تحكيلـي لازم تعـرف إنـي راجـل وألـف راجـل مـش مـن اياهـم، أنـا مهنـدس ديكـور أه.. وبتعامـل بحنيـة مـع الأشـياء أه، ولكـن مـع النـاس بـالأدب والأصـول.

ضحك «صلاح» ضحكة جعلت عادل النادل يأتي مستغربا: في إيه يا أستاذ آدم؟ إيه الحكاية هو من زعيق لضحك، إنت عملت في الراجل إيه؟؟

ضحك «آدم» هو الآخر: عملت إيه بس ده هو اللي عمل.. ده طلع حكاية كبيرة والظاهر إن حكايته فيها فلسفة خفية بس هاعرفها، ومين عارف يمكن ارسم من خيوطها أحلى ديكور، ولا أيه رأيك يا أخ صلاح؟

رد «صلاح» بنشوة: طبعا طبعا وليه لأ. الديكور ما هو إلا بصمة فلسفة النفس التي تهيج وتهدأ بين لوحاتها الطبيعية أو المصطنعة حسب الحالة المزاجية لصاحب الديكور، يعني حسب ديكور النفس البشرية.

– واو يا عم صلاح، ده انت حكاية كبيرة بجد، ده انت فيلسوف بقى ومتخفي ورا الملابس بتاعتك دي.. يا أستاذ عادل هات ثلاثة شاي وتعالى نشرب كلنا سوا ونسمع لصلاح.

– لا يا باشمهندس، أنا مش فاضي للفلسفة دلوقتي، بعدين أه، دلوقتي خليني في شغلي، حالا هاجيب الشاي وعيشوا انتوا، بس ابقى قولي على الحكاية، إنت عارف برضه إني عاشق للفلسفة.

شعر «صلاح» أنه وجد ضالته التي يبحث عنها في نفسه وبدأ يفرد عضلات أفكاره التي تحمي حنين عواطفه أمام آدم.

- شوف يا أستاذ آدم، أنا رجل غير متعلم بالرغم من ثقافتي المكتومة التي اكتسبتها في أعوام الطفولة عنوة وخلسة من وراء والدي من خلال مذاكرتي مع أصدقاء أكملوا دراستهم وأنهيتها أنا غصبا عني بسبب إصرار والدي. وما احتفظت به وأكتسبته طيلة السنوات الماضية هي ثقافتي المكتومة التي اكتسبتها من قراءتي للعديد من الروايات والقصص والكتب التي كنت أشتريها خلسة وأحتفظ بها عند أحد زملائي حتى كبرت ونقلتها إلى حجرتي.. اشتغلت بكل الأعمال الحرفية التي تتخيلها، من نجار لسباك لمحار لمبيض، ولم أفلح في أي منها بسبب عدم حبي لها واقتناعي أنني خلقت لشيء آخر ولكني بعيد عنه.. وحاليا أعمل عتّال، فهي الشغلة الوحيدة التي أخرج فيها همومي الثقيلة مع الأحمال الثقيلة التي أنقلها من مكان إلى مكان آخر. باختصار أنا راجل من كاندليه، اتولدت هناك، واتربيت هناك واشتغلت هناك وبحب الناس هناك، ولكني لا أتمنى العيش هناك. إنت سمعت عن كاندليه يا باشمهندس آدم.. عمرك رُحت هناك؟

- بصراحة أه سمعت. ولكن عمري ما رحت ولا فكرت لأني أسمع عنها أمورا لا تسر، وبصعوبة دخولها بسهولة كده لأي حد.

تعجب «آدم» من هذه القصة التي تولدت بين يديه الآن دون سابق إنذار، قصة قد تصلح لتكون ديكورا في مسرحية أو فيلم أو مسلسل، ولكنها هنا متمثلة في صلاح.

– طيب يا صلاح، ليه ماحاولتش تسيب كاندليه طالما شايف نفسك في حاجة تانية؟ عموما أنا لسة مش فاهم برضه إيه العلاقة بين اللي انت بتقوله وحكاية «فتى أحلامي»! بس واضح إنك إنسان متميز ومكافح يا صلاح.

– والله الموضوع مش بسهولة، اللي يدخل كاندليه صعب يخرج منها، وعلى رأي المثل دخول الحمام مش زي خروجه. أما موضوع فتى أحلامي ده فله حكاية لسه بدأه معايا امبارح بس تعباني ومحيراني وشغلاني. باختصار شديد أنا قابلت فتاه بالصدفة البحتة وأسديت لها جميلا بسيطا فيه رجولة، ولكني أشعر بحب جارف نحوها بالرغم من الفوارق التعليمية والاجتماعية والمالية وكل شيء. ولست أدري كيف حدث ذلك.. فتركتها هناك وجئت هنا أبحث عن نفسي وسط الناس فوجدت نفسي تائهة وهزيلة ولا تصلح أبدا لحب مثل هذا، فبدأت أبحث عن نفسي الأخرى التي أتمناها، نفسي التي ترقى إلى حب الفتاه. ففتى آحلامي هي نفسي الأخرى التي أبحث عنها في الناس لأنها ليست فيّ الآن.

– كلامك فلسفي أكثر منه واقعي يا صلاح، ولكني سوف أرد عليك أيضا برد فلسفي.. أسباب السعادة مثل بخار الماء الذي يتصاعد من البحار والأنهار إلى السماء ليكون سحابة مملوءة بالسعادة، ولكن لا أحد يعلم سوى اللّه متى وأين وأي من عباد اللّه سوف تسقط أمطار السعادة على رؤوسهم، تلك هي السعادة وأسبابها يا صديقي، ولكن يجب أن نوفر الأسباب ما استطعنا حتى ولو لم تسقط أمطارها على رؤوسنا.

– فعلا يا باشمهندس يجب أن نعمل على أسباب السعادة وهذا ما أفعله في مقدوري دوما، وهذا ما فعلته مع فتاتي، ولكني هذه المرة أشعر أن أمطار التعاسة وليست السعادة هي التي هطلت على رأسي، فكيف لي أن أحب شخصا ولا أستطيع حتى الإفصاح عن حبي، أليست هذه تعاسة!

– يا صديقي هون على نفسك، أولا من قال أنك لا تستطيع البوح إليها، بل يجب أن تخبرها عن حبك حتى ولو كنت تظن أن مؤهلاتك أقل منها، فمسؤلية الحب أكبر من المؤهلات، الحب سبب من أسباب السعادة ولا نملكه جميعا بقدر واحد، ولكن من وجد في نفسه القدرة على الحب فليحب بلا شروط، يجب أن تبوح بحبك يا صلاح، فالحب نصف الرجولة وتاج الشهامة، عبر لها يا صلاح عن حبك لها حتى ولو لم تكن تحبك هي، حتى وإن

أحبتك هي أيضا ولم يترجم الحب إلى زواج.. فلا تحرم نفسك من أدبيات وثقافة وحنين وروعة الحب كما حرمت نفسك من التعليم وأنت طفل، الحب يا صلاح كالماء والهواء، الحب زهرة لا تذبل أبدا، الحب برهان أن القلوب فوق القوانين.

- يااااااه قد إيه أرحتني بكلامك يا باشمهندس، سوف أخبرها وأبوح بحبي مهما كان الأمر فهي تستحق مني أن أبوح وأواجه العالم أجمع بحبي بغض النظر عن الارتباط، نعم لديك حق، الحب نصف الرجولة. ياريت نكون أصدقاء يا باشمهندس لو ماعندكش مانع وسوف أخبرك عن حالي فرب صدفة خير من ألف ميعاد.

- شوف يا صلاح، أنت رجل غير متعلم ولكنك مثقف جدا وحساس جدا وكمان وسيم يا سيدي، إيه رأيك تشتغل معايا، أنا كنت بدور على حد يرافقني دايما في أعمالي خاصة أثناء تنفيذ الديكور في الفيلات الكبيرة. وأنا عجبتني طريقتك الفلسفية في التفكير جدا بالرغم من عدم تعليمك. وما الديكور كما قلت أنت إلا فلسفة شخصية نلطف بها الأشياء. إيه رأيك يا صلاح في العرض ده؟ هايكون شغلك معايا مش مجرد عِتالة يعني مش شيل وحط بس، ولكن عايزك تشاركني الذوق الديكوري بناء على خلفيتك في كاندليه خاصة الاسم رائع ورومانسي وديكوري خالص.

وما إن سمع «صلاح» إعجاب آدم باسم كاندلبه حتى ضحك ضحكة تعجب لها آدم والذي بدوره سأل صلاح: يا ترى إيه إللي ضحكك فجأة كدة؟ هو كلامي فيه حاجة غلط؟؟

- لا أبدا، أنا بس افتكرت فتاتي التي عجبها برضه اسم كاندليه جدا وتخيلته زي حي شانزليزية فأضحكتني جدا وكنت فرحان بحبها ليه، ودلوقتي انت كمان عجبك الاسم. عموما أنا موافق طبعا على العرض بس ياريت ننفذ بعد يومين بعد أن أكون قد أنهيت موضوع ياسمين ورجوعها سالمة لبيتها. أما بالنسبة لدور كاندليه في الديكور فأنا لا أعرف ماذا تعني.

- شوف يا صلاح، أنا كنت بدور على فكرة جديدة جدا تعمل ثورة عندي في فن الديكور بعيدا عن الأعمال الكلاسيكية والحديثة والتي لم تخرج أعمال الديكور عنهما من عقد إلى آخر. ولذلك أنا أبحث عن شيء ما جديد، حتى ولو كان غريبا لأن الناس تعشق أي شيء جديد بغض النظر عن أصالته، وأنا حقيقي سمعت كثير عن كاندليه، ولكن بعدما رأيتك وتحدثت معك أعتقد أننا نستطيع توظيف كاندليه بطريقة جديدة في الديكور المصري وتبقى فرصة لتأصيل كاندليه في ذوق وعقلية الناس وهذا هو الهدف الأسمى وستكون معي في كل الخطوات وممكن أعلمك أساسيات الديكور طبعا.

- رائـع يـا باشـمهندس، عـارف لسـه مـن شـوية ياسـمين كانـت بتقولـي إن كاندليـه ممكـن تتغيـر وتبقـى علـى شـاكلة حـي الزمالـك والـذي بنـي علـى العشـش. والآن وبـدون سـابق إنـذار منـك أو ترتيـب منـي نتقابـل ونتحـدث وتأتـي أنـت بهـذه الفكـرة الرائعـة التـي لـم تخطـر علـى عقـل أحـد مـن قبـل، ولكنهـا تعضـد فكـرة ورؤيـة ياسـمين. مـا أحلـى القـدر عندمـا يربـط الأفـكار مـن كل مـكان وزمـان وبـدون سـابق إنـذار ويغزلهـا ليصنـع منهـا نسـيجا جديـدا يرتديـه ويلتحـف بـه الجميـع. القـدر فعـلا شـيء رائـع يبـث في الحيـاة ألـف حياة. كـم أنـا سـعيد بالتعـرف عليـك يـا باشـمهندس آدم وبالأسـتاذ عـادل وبياسـمين التـي بسـببها وبسـبب حبـي لهـا جئـت هنـا اليـوم فتعرفـت عليـك لتقدم لـي بعـد ذلـك هـذا العـرض وتشـجعني علـى البـوح لهـا بحبـي أيـا كانـت النتيجـة فكـم أعجبنـي جـدا تعبيـرك «الحـب نصـف الرجولـة».

- شـوف يـا صـلاح، الحيـاة مـا هـي إلا فيـلا كبيـرة واسـعة فارغـة ومـا علـى أصحابهـا إلـى تزيينهـا بأجمـل الديكـورات بمـا يتناسـب مـع إمكاناتهـم شـريطة ألا يكـون سـبب الديكـور المنظـرة ولكـن الجمـال الـذي يجعـل مـن المكان جنـة للآخريـن وليـس للسـاكن فقـط.. ولذلـك، أنصحـك قبـل مـا تعـود لفتاتـك ياسـمين أن تغيـر بعـض الديكـور في مظهـرك، ليـس لأن ديكـورك الآن سـيئ ولكـن بنيـة مفاجأتهـا بحبـك لهـا بطريقـة جديـدة، يعنـي زي مـا بنقـول نيولـوك الحـب مـن أجـل

الحبيب.. وأهـي فرصـة تضـع بعـض لمسـات مـا كنـت تبحـث عنـه ـ في صـلاح الآخـر ـ في صـلاح كاندليـه. إيـه رأيـك بقـى ـ في الفكـرة دي؟

- فكـرة رائعـة يـا باشـمهندس أدهـم لـم أفكـر فيهـا مـن قبـل، فعـلا، لمـاذا يبحـث الإنسـان عـن نفسـه ـ في الآخريـن وهـو يسـتطيع تغييـر نفسـه كمـا يريـد أن يكـون. مـا أجمـل الاعتـراف بالنفـس آيـا كانـت والأجمـل هـو قـدرة الإنسـان ـ في تغييـر نفسـه كمـا يشـاء وـ في حـدود رؤيتـه لنفسـه. وهـذا مـا سـوف أفعلـه الآن ولـو كلفنـي كل مـا أملـك.

- هايـل يـا صـلاح، أحـب فيـك تفكيـرك العملـي وطموحـك الديكـوري. ومـع ضحكـة الصداقـة الجديـدة نـادى «آدم» صـلاح أن يتبعـه إلـى المحـل المقابـل لشـراء ديكـور جديـد مـن أحلـى قميـص وأحلـى بنطلـون لصـلاح كاندليـه ليفاجـئ ياسـمين.

امتـلأ صـدر «صـلاح» وهـو يتبـع آدم بحـب العالـم وديكـور العالـم ـ في رسـم أحلـى صـورة لأجمـل فتـاة.. كـم يتمنـى «صـلاح» الآن أن يجـري جريـا ليذهـب لياسـمين ـ في زيـه الجديـد وهـو يقـود عربتهـا بعـد تصليحهـا، يـا تـرى مـاذا سـتفعل «ياسـمين» عندمـا تـرى «صـلاح» ـ في زيـه الجديـد؟ الـزي الـذي قبـل بـه فقـط لكـي يقـول لهـا أنـي أحبـك.

●●●

الفصل الحادي عشر

«لماذا لا يكون هناك بوليس للحب يحمي كل المحبين ويعطيهم حقوقهم في حب الحياة كما يشاءون، لماذا كل هذه الأنانية مِن مَن يتفرجون على الحب!».

بدأت الحركة تدب بين أهل الشارع في هذا الحي الراقي الذي يقطنه معظم الأثرياء وعلية القوم في المدينة. تتوسط الشارع الأبراج العالية المتألقة في تشطيبباتها ليعكس مظهرها بمظهر ساكنيها ويعكس ثراءهم الفاحش، ويتناثر هنا وهناك بين الأبراج السكنية بعض الفيللات التي تعكس تاريخا أرستقراطيا مقارنة بالشوارع القريبة والتي تُظهر بيوتها حال ساكنيها المتوسط في كل شيء والشوارع البعيدة التي تظهر الفقر المدقع وحاجة ساكنيها.

وهكذا المدينة خططت وبدون قصد لتحوي في أحد أحيائها المظاهر المتألقة دوما، وفي أحياء أخرى كثيرة حالة البساطة الممزوجة بالفقر والحاجة، وأحيانا التخلف عن جهل، وفي أحياء أخرى كثيرة حالة متوسطة بين هذا وذاك لتبدوا هذه الأحياء وكأنها كرنفال من الملابس المتناقضة والسلوك المتناقض والسيارات المتناقضة وغيرها من المتناقضات الاجتماعية التي يحاول كل فريق اجتماعي الاستمتاع بشريحته الاجتماعية في كل مظاهر الحياة أمام الفريق الآخر.

وعلى عكس تقسيم المجتمعات سكنيا في الماضي ووجود كل مجتمع في منطقته المميزة له، أصبحت المدينة بهذا الخليط من العمارات والفيلات والناس، مثل سماء الشتاء المملوءة بالسحاب الأبيض والأسود الذي يحجب لون زرقتها الصافية إلا من قطع متناثرة هنا وهناك فيجد الناظر صعوبة في رؤيتها والاستمتاع بصفائها. وعلى الرغم من هذا الخليط بقيت بعض الأحياء مثل حي كاندليه يمثل منطقة متميزة بأهلها وبيوتها وثقافتها وعاداتها مما يمثل فرصة رائعة للمقارنات الاجتماعية المختلفة.

ولكن وعلى أية حال، اعتادت المدينة رغم هذا التناقض والاختلاف في المظاهر أن تنام سالمة اللهم من بعض المضايقات والاحتكاكات اليومية في الشارع الذي يستقبل في رحمة آلاف من المتناقضات كل صباح، ولا تخلو المدينة أيضا من بعض مظاهر الجريمة من سرقة ونصب واحتيال وخطف، والتي لا يشعر بها إلا أصحابها لتبدو المدينة في النهاية رغم كل هذا التناقض وهذه الجرائم مدينة رائعة يحبها ساكنيها بكل تناقضاتها.

●●●

أنهت سيدة البيت أعمال المنزل الصباحية الخفيفة، فاليوم هو راحة الشغالة التي تأتي ثلاثة أيام في الأسبوع كما تعودت منذ أعوام لإنهاء أعمال المنزل في هذه الشقة الكبيرة التي تبدو بأثاثها وتصميمها وديكوراتها وكأنها فيلا زرعت في رحم هذه العمارة. ارتدت ملابسها للذهاب إلى العمل.

تأكدت من أن كل سنتيمتر في زيها وميكياجها ينطق بالأناقة والشياكة والذوق الرفيع لتبهر به كل من يراها، سواء في الشارع أو العمل. اتصلت بالسواق المنتظر أسفل العمارة التي تقع في أرقى أحياء المدينة لتخبره أنها جاهزة للنزول لتبدأ مراسم أخرى من المظاهر التي تستمتع بها كل صباح أمام سكان العمارة وأمام كل من يعرفونها في هذا الشارع الذي انتقلوا إليه حديثا منذ سنوات بعد أن ظهر على زوجها النعمة وأصبحت هذا العائلة من كبار الأثرياء.

دق جرس الباب بموسيقى «عمر خيرت» التي أصبحت موضة بين أهل الثراء لترتقي ولحسن الحظ وبدون قصد إلى الذوق العام. تعجبت السيدة من دق الجرس في هذا التوقيت فهي لا تنتظر أحدا الآن في هذا الصباح الباكر! سألت من وراء الباب وباستخدام التيكتافون المرئِي عن هوية الطارق علة الباب وماذا يريد.

رد عليها أحدهم بلغة مهذبة: احنا هنا ياهانم علشان نِدي لحضرتك الكنبة اللي اشتراها زوج حضرتك من المحل امبارح ودفع حسابها.

- ولكني لا أعرف عن هذه الكنبة أي معلومات ولم يخبرني بذلك، هل أنتم متأكدون من العنوان؟!

- أيوة يا هانم، حضرتك العنوان مظبوط واحنا إتأكدنا من البواب وقولناله على موضوع الكنبة وخاد مننا كل المعلومات عن المحل وعننا.

اتصلت السيدة بالبواب فأكد لها ما قاله هذا الرجل وزميله ثم حاولت الاتصال بزوجها للتأكد ولكن دون جدوى، فتليفونه خارج الخدمة.

عندما لاحظ الرجلان التردد في استلامها الكنبة سارع أحدهم بقوله: على فكرة ياهانم البيه كان متفق معانا نجيب الكنبة بكرة يجوز فيه مناسبة عندكم ولا حاجة.. بس احنا جيبناها النهاردة علشان خلصت وعلشان في طريقنا لتسليم حاجات تانية. فلو عايزة نجيبها في وقت تاني ماشي بس مش ضامنين إذا كنا نقدر نجيبهابكرة.

تحيرت ماذا تفعل وترددت في بادئ الأمر أن تفتح وتأخذ الكنبة التي لا تعرف عنها شيء، ولكنها أخيرا قررت أن تفتح الباب وتستلم الكنبة لحبها اقتناء الأثاث الراقي ولظنها أن هذه الكنبة الأنيقة هدية عيد زواجها الذي لم يبق عليه سوى يومين.

انتابتها حالة من السعادة الغامرة بعد أن تذكرت عيد زواجهما، وكم هو رائع من زوجها أن يتذكر هذا اليوم ويفاجئها فيه بهذه

الهدية الثمينة خاصة أنه يعرف تماما مدى حبها لاقتناء الأثاث وتغييره من وقت إلى آخر لزوم التباهي أمام الأهل والجيران والأصحاب. مؤكد هو سافر الأمس واليوم وغدا حتى يأتي على عيد زواجنا وعلى المفاجأة.

- اتفضلوا وشكرا فقد جاءت في الوقت المناسب، ضعوها هناك في ركن الصالة. أعطتهم البقشيش بسخاء شديد ليعكس حالة انبساطها من المفاجأة من زوجها، ويعكس حالة الاندهاش والسعادة الغامرة من الرجلين، فقد وضعت في يد كل منهما ورقة مالية كبيرة تعكس أيضا ثراء هذه العائلة.

عاشت السيدة في حالة هيام لم تعشها منذ سنوات على فرحة هذه المفاجأة الكبرى من زوجها «الجينتلمان» في عيد زواجهما، وقررت على الفور أن تشتري اليوم وليس غدا هدية له وصحبة ورد شيك تليق بهذه المفاجأة وتليق بعيد زواجهما غير العادي هذا العام، ولن تخبره بهذه الكنبة حتى تكتمل المفاجأة التي تصورتها.

- هانستأذن حضرتك بس ياريت كوباية مياة نشرب أحسن تعبنا قوي من طلوع السلم.

- طبعا طبعا حالا، طيب اتفضلوا واقفلوا الباب وارتاحوا شوية من السلم وعلى ماتشربوا حاجة؟

- شكرا لحضرتك لازم نمشي على طول علشان معانا حاجات لناس تانية. اتفضلي حضرتك واحنا هانستنى على الباب.

دخلت السيدة المطبخ الذي يوجد وراء طرقة داخلية من البهو الكبير.

وكأن هؤلاء الرجال يعرفون هذا البيت قطعة قطعة كما عرفوا يوم عيد الزواج، وكما عرفوا بتوقيت نزولها إلى العمل وتوقيت سفر زوجها. جرى أحدهم بجوار الكنبة، والثاني ظل عند الباب. وفي سرعة الضوء دخل الولد الذي كان يقف متخفيا في الخارج ودخل سحارة الكنبة في خفة وقفلوا عليه دون أن تشعر السيدة بأي شيء غير عادي.

شربوا المياه وتركوا الشقة، وبالطبع كانت وراءهم بقليل السيدة، ليخلو الجو لهذا الولد فيجمع ما خف وزنه وغلا سعره كما تم الاتفاق عليه أثناء تخطيط العملية تحت إشراف «أبو علاء» وفي وجود السيدات بما فيهم الست التي تعمل شغالة عند أصحاب هذه الشقة. كانت التعليمات صارمة من الرجال إلى الولد أن ينهي كل شيء قبل أن تعود السيدة من العمل، وأن يترك

الأشياء التي جمعها في سحارة الكنبة ويترك هو الشقة باستخدام نسخة المفتاح التي تم تجهيزها له من قبل.

ركبت السيدة السيارة وأدارتها بفرحة غامرة وكأنها تقودها لأول مرة، فقد شعرت بأن اليوم ليس كأي يوم، وزوجها ليس كأي زوج، وعيد زواجهما ليس كأي عيد. شعرت وكأنها ملكة وتاجها حب زوجها واهتمامه بها كل هذا الاهتمام. ترددت أن تعود إلى البيت وتترك الذهاب إلى العمل اليوم؛ لتسعد بهدية الزواج، ولكنها آثرت أن تذهب إلى العمل لتحكي هناك لزميلاتها كيف يكون الزوج الحنون وكيف يكون التعبير عن الحب وكيف تترجم المشاعر وعن بعد. وقد كانت بالفعل فرصة كبيرة لها أن تفرد عضلات حياتها الزوجية أمام كل زملائها وزميلاتها في العمل لتكتمل حلقة المظاهر التي تسعدها.

●●●

امتلأ قلب «صلاح» بنوع من المشاعر الحلوة التي تخللت كل خلية في جسده حتى أصبحت كل خلية قلبا ينبض بحب ياسمين. لم يستطع أن يفسر أسباب كل هذا الحب الذي مس قلبه من أول لحظة رآها دون أن يدري، ثم نما هذا الحب في قلبه حتى فاض قلبه بحب ياسمين فتخلل دمه وأصبح جزءا من كيانه يتنفسه ويحيا به.

كل كلمة سمعها من ياسمين وكل نظرة وكل همسة وكل ضحكة بريئة وكل إيماءة سكنت في قلبه حتى امتلأ قلبه بياسمين. لماذا ياسمين؟ لا يدري. هل لأنها مختلفة عنه؟ لا يدري. هل لأنها العقل والقلب الذي يتمناه صلاح الحقيقي؟ لا يدري. هل بسبب البراءة والجمال والتفاؤل التي تزين وجهها المشرق؟ بالتأكيد نعم. ومؤكد كل هذه الأسباب وغيرها من الأسباب الخفية التي لا يعلمها صلاح.

مشى «صلاح» وفي يده كيس الملابس القديمة في شوارع المدينة قاصدا الورشة التي يتم فيها تصليح سيارة ياسمين. ومع أن المسافة بعيدة جدا عليه ليمشيها، ومع أنه يشعر بوحشة كبيرة تجاه ياسمين إلا أنه قرر أن يمشيها على قدميه ليفكر في نفسه وفيها ليستمتع بهذا الشعور الرومانسي الذي لم يشهده قلبه من قبل، ويخاف أن ينتهي مساء اليوم إذا تحدثت ياسمين مع والدها وعلم أين هي وجاء ليأخذها.

أراد «صلاح» أن يطيل فترة بقاء ياسمين في حجرته حتى ولو لم تكن أمامه. أراد أن تكون خطواته شاهدة على حبه، أراد أن يمشي في الناس ليخبرهم في سره بحبه ياسمين، أراد أن تكون خطواته شاهدة على حبه ياسمين. كلما رأى فتاة في الشارع رأى ياسمين واشتاق إلى ياسمين.

أسـرع «صـلاح» الخطـى نحـو الورشـة ليطمئـن علـى سـيارة ياسـمين، وليجلـس مكانهـا ويقودهـا إلـى حيـث تسـكن ليفاجئهـا بسـيارتها وبصـلاح الجديـد. ولكـن يـا تـرى هـل سـتلقي بـالا لـه، هـل تحمـل في قلبهـا ولـو همسـة واحـدة مـن الهمسـات التـي تمـلأ قلبـه باتسـاع العالـم، هـل حقـا يسـتحق ياسـمين، هـل للحـب أنيـاب وأشـواك يدافـع فيهـا عـن نفسـه ليحيـا ويسـعد المحبـين ويحميهـم مـن الحاسـدين والمشـككين والمعارضـين. لماذا لا يكـون هنـاك بوليـس للحـب يحمـي كل المحبـين ويعطيهـم حقوقهـم في حـب الحيـاة كمـا يشـاءون، لمـاذا كل هـذه الأنانيـة مِـن مَـن يتفرجـون علـى الحـب!

آه يـا ياسـمين لـو تحملـين لـي ذرة مـن حـب فلسـوف أكـون أقـوى رجـل في العالـم بحبـي، وأسـعد رجـل في العالـم بقلبـي، سـوف أكـون ألـف صـلاح وصـلاح لأحبـك بـألف قلـب وقلـب، فقـط أعطينـي بعـض الحـب وأنـا سـوف أخلـق «صلاحـا» جديـدا يسـتحق حبـك ويسـتحق براءتـك وأناقتـك. ولكـن مـن أنـا لتشـعر بـه ياسـمين، مـن أنـا لتحبـه ياسـمين، إلا إذا كان الحـب فـوق كل القوانـين.

●●●

وصـل المعلـم «محمـود» إلـى بيـت صـلاح ومعـه الرجـال والولـد، وكلـه شـوق أن تكـون ياسـمين هـي داليـــــــــا التـي يبحـث عنهـا. دق

المعلم «محمود» على الباب ليستأذن في الدخول على غير عادته، وذلك ظنا منه أنها داليـــــــــا.

ردت إحدى النسوة: ما تدخل ياللي بتخبط هو احنا من إمتى وبنخبط! ادخل على طول. دخل على الفور المعلم «محمود» ومعه رجاله: إزيك يا ولية.. إمال فين صلاح؟

- صلاح برة يا معلم وزمانه جاي. خير فيه إيه كده اللي يخليك تيجي لصلاح ومعاك الرجالة بربطة المعلم، حصل حاجة ولا إيه؟

- أبدا مافيش حاجة بس بندور على حد. ونظر إلى ياسمين قائلا: إمال السنيورة تبقى مين؟ تلعثمت «ياسمين» وشعرت بخوف من هذا الرجل خاصة في غياب صلاح وهو الوحيد الذي شعرت معه بالأمان في هذا المكان. صمتت «ياسمين» وخافت أن ترد حتى لا تقع في مشكلة، ونظرت إلى السيدات نظرة عطف ليتدخلوا للرد عليه بدلا منها.

- وانت مالك يا معلم بيها.. عايز تعرف هي مين ليه؟ السنيورة ضيف على صلاح من امبارح واحنا هنا معاها بناخد بالنا منها لحد ما صلاح ييجي. إنت عايز منها إيه؟

-انا مش عايز حاجة، عايز اعرف بس اسمها إيه.. وإيه اللي جابها عند صلاح؟ وإيه اللي خالاها تلبس العباية دي؟ باين عليها مش من هنا، هدومها فين؟ هو صلاح خاطفها ولا إيه؟؟ قوليلي يا آنسة فيه إيه، عايز أعرف. ويحاول المعلم الحفاظ على تماسكه وعدم انفعاله حتى لا يتسبب في أذى مشاعرعا مخافة أن تكون بالفعل «داليــا».

ازداد خوف «ياسمين» كثيرا، وبدأ جسدها ينتفض من شدة الخوف والقلق من هؤلاء الرجال ومن أسئلتهم، خاصة أن شكلهم غريب ومخيف. لم تستطع أن تتكلم أو تحاور هذا الرجل، ففضلت الصمت حتى يجيء صلاح.

شعر المعلم «محمود» بخوفها فاقترب منها ليهدأها، ويحكي لها لماذا هو هنا وعن من يبحث، ولكن ما إن اقترب ليلمسها حتى صرخت ياسمين وبكت.

احتضنتها إحدى السيدات في حنان حتى تشعر بالأمان، وتصايحن في وجه المعلم «محمود»: إنت مالاكش كلام معاها هي عند راجل ولما ييجي اسأله.. كل اللي احنا عارفينه عنها إنن اسمها ياسمين وإن صلاح مش خاطفها ولا حاجة، بالعكس ده قلقان عليها جدا من امبارح وبيحاول يساعدها ويشوف طلباتها،

أهو زمانه جاي ابقى اسأله.. دلوقتي بقى سيبها في حالها، البنت يا حبة عيني خافت منك ومن العصابة اللي انت جايبها وراك دي.

توقف «محمود» وابتعد عن ياسمين وشعر بالحرج الشديد فصاح هو الآخر في النسوة: أنا مش عايز حاجة ولا يهمني صلاح خاطفها ولا لأ، أنا بس عايز أعرف هل هي داليـــــــــــا اللي أنا بدور عليها ولا واحدة تانية؟؟

وما إن سمعت «ياسمين» اسمها الحقيقي حتى زاد قلقها وتقوقعت في صدر السيدة وتمنت لو صلاح هنا بجوارها، أو تتصل الآن بوالدها، ولكنها أصرت ألا تتكلم لخوفها من سبب السؤال، فلم يخطر في بالها أبدا أن والدها يعرف هؤلاء الرجال أو قد طلب منهم المساعدة.

- طيب، أنا هاسيبكم شوية وهارجع تاني لما صلاح ييجي طالما هي مش عايزة تتكلم وشكلها خايفة مننا.

●●●

اقترب «صلاح» من الورشة، فزادت سرعة نبضات قلبه منذ لحظة جلوسه على مقعد ياسمين وقيادته لسيارتها، فيداه تلمس عجلة القيادة مكان لمسات ياسمين. كل لحظة تمر على صلاح الآن

وهـو يفكـر ـ﴿ ياسـمين تحولـه إلـى عاشـق مـن الدرجـة الأولـى الـذي يجد ـ﴿ عشـقه سـر وجـوده ـ﴿ الحيـاة وسـر اسـتمرار دقـات قلبـه ـ﴿ نبضاتهـا وسـر رجولتـه وسـر خلـق اللّه للقلـوب.

- إيـه الأخبـار العربيـة يـا معلـم، يـا تـري خلصتهـا ولا لسـة فيهـا شـغل، أنـا عايزهـا حـالا علشـان صاحبتهـا عايـزة تـروح ومـش عارفـة.

- واللّه ظبطناهـا يـا بوصـلاح علـى قـد مـا قدرنـا النهـاردة علشـان تمشـي، بـس محتاجـين نشـوفها تانـي علشـان نكمـل السـمكرة والدوكـو.. وبعديـن إيـه النيولـوك ده يـا صـلاح، أول مـرة نشـوفك كـده، إنـت وقعـت علـى كنـز ولا إيـه؟؟ ولا خـلاص سـيبت شـغلتك وسـبيت كانديلـه، احنـا عارفينـك عايـز تهـج مـن زمـان وعارفـين إنـك مختلـف. إيـه الحكايـة؟ رسـينا ياريـس.

- أبـدا ياسـطى، أنـا بـس قابلـت صديـق قـديم، وبعـد حـكاوي كثيـر وهـات وخـد ـ﴿ الـكلام وَزّنـي أعمـل يـا سـيدي نيولـوك وكمـان علـى حسـابه هديـه منـه بمناسـبة صداقتنـا، اترددت ـ﴿ الأول وبعديـن قلـت وإيـه المانـع نجـرب حاجـة جديـدة، خلينـا يـا سـيدي نعيـش اللحظـة ولـو مـرة مـن نفسـنا.

- واللّه عنـدك حـق يـا ابـو صـلاح، الراجـل منـا لازم يِمنجـه نفسـه ويـروق مزاجـه باللبـس وبـالأكل والخـروج، يَعْنـي هانشـقى

وكمـان مافيـش دلـع. إنـت لسـه صغيـر يـا صـلاح وبرضـه مِثقـف مـن يومـك، فـروق نفسـك واخـرج عـن القالـب اللـي انـت عايـش فيـه علـى طـول، وعيـش بـره كاندليـه شـوية، هـي هاطيـر يعنـي.

وبضحكـة فيهـا هـزار: طيـب يـا سـيدي شـكرا علـى النصيحـة وشـكلك كـده مـش هاتاخـد حـق التصليـح النهـاردة علشـان اعمـل بنصيحتـك ولا هاترجـع في كلامـك؟

- لأ يا أسـتاذ أنا عمري مارجع في كلامي.. ولو عايز فلوس خد كمـان، العربيـة جاهـزة زي مـا قلـت خدهـا علـى ضمانتـك والحسـاب يجمـع بـس ابقـى هاتهـا تانـي علشـان نخلصهـا. وآدي المفاتيـح. وعلـى فكـرة لقينـا تليفـون موبايـل الظاهـر بتـاع السـنيورة صاحبـة العربيـة.. رن كتيـر بـس مارضينـاش نـرد وبعديـن قفلنـاه خالـص لحـد ماتيجـي انـت تتصـرف.

- شـكرا ياسـطي علـى أمانتك وذوقـك وكرمـك، هـات المفاتيـح وأشُـوفك بعدين.

التهبـت أنفـاس «صـلاح» عندمـا علـم بالمكالمـات التـي وصلـت ياسـمين، فمؤكـد أنهـا مـن والدهـا الـذي مؤكـد أنـه منهـار حاليـا. يـا تـرى ماهـو الصـح، هـل أطلبـه وأطمئنـه قبـل أن أذهـب إلـى ياسـمين أم أنتظـر حتـى تتصـل بـه ياسـمين بنفسـها؟ ولكـن الوقـت تأخـر ومـن

المحتمل أن تؤجل ياسمين الاتصال إلى وقت آخر لتزيد من اشتياق أسرتها لها كما قالت. ولكن هذا لا يمكن، يجب أن أخبر والدها فهي في مسؤوليتي وكفى كل هذا الانتظار، خاصة أنها اصبحت أفضل حالا والسيارة الآن من الممكن سواقتها.

ركب «صلاح» السيارة وجلس على كرسي القيادة مكان ياسمين، فشعر بقشعريرة تنفذ أعماقه وتهز داخله كزلزال من مشاعر تنتفض وكأن للحب كهرباء. أدار المحرك ليعود إلى ياسمين بمفاجأة النيولوك والسيارة. ولكنه أصّر أن يتصل بوالدها قبل أن يعود إليها لتكن هي المفاجأة الثالثة، ومؤكد أنها سوف تتقبل ما فعله بصدر رحب. وبالفعل بحث صلاح عن اسم والد ياسمين في تليفونها واتصل به ليرد والدها بكل شغف وبكاء ليمطر صلاح بسيل من الأسئلة كلها للاطمئنان عليها وعلى مكانها. هدأ «صلاح» روع والدها وطمأنه أنها بأيدٍ أمينة، وحكى له عن الحادثة وأنها حاليا في حالة طيبة وموجودة مع بعض النسوة من الحي في بيته وأنه استلم سيارتها وهو الآن في طريقه إليها.

انزعج والدها جدا عندما علم بأنها في كاندليه، فكيف لها أن تذهب إلى هذا المكان ولماذا لم تتصل به حتى الآن ولماذا ولماذا.. أخيرا تنفس والدها الصعداء عندما علم أنها بخير، وعندما وافق صلاح على إعطائه رقم تليفونه ليتأكد أن ما يقوله حقيقة وليس

تلاعبا بـه تمهيـدا لابتـزاز مالـي. وصـف «صـلاح» عنـوان السـكن للأسـتاذ «شـوقي» والـد ياسـمين كمـا أخبـره واسـتحلفه ألا يذكـر ذلـك لأحـد حتـى تتصـل ياسـمين بـه مـن جانبهـا احترامـا لرغبتهـا، فالهاتـف لـم يكـن معهـا منـذ الصبـاح.

وافـق «شـوقي» بـك علـى طلـب صـلاح، وبالتالـي لـم يتصـل بالمعلـم محمـود الـذي كلفـه بالبحـث عـن داليـــــــــا في كل مـكان. وشـكر صـلاح كثيـرا، ووعـده بـأن يـرد لـه هـذا الجميـل لشـهامته ورجولتـه في الوقـوف بجانـب ابنتـه في محنتهـا واتصالـه بـه وطمأنتـه.

أصـّر «صـلاح» علـى شـوقي بـك ألا يتعـب نفسـه ويأتـي لكاندليـه، فسـوف يحضرهـا بنفسـه إلـى مسـكنها بعربيتهـا في خـلال سـاعة مـن الآن، وذلـك بعدمـا يخبـر ياسـمين بهـذا الاتصـال.

شـعر «صـلاح» براحـة كبيـرة بعـد أن طَمـأن والـد ياسـمين، وشـعر أنـه عمـل واجبـا كان يجـب عليـه منـذ سـاعات. اسـتمر في قيـادة السـيارة نحـو قلـب ياسـمين التـي اشـتاق إليهـا أيمـا اشـتياق علـى الرغـم مـن قـرب الفـراق، ولكـن هنـاك أمـل كبيـر يفتـرش جوانحـه بـأن الفـراق لـن يكـون لـه مـكان ولا زمـان، كيـف ولمـاذا لا يـدري، ولكنـه شـعور كبيـر يملـؤه بحالـة تفائـل تذيـب كل هاجـس يبعـده عـن ياسـمين.

●●●

الفصل الثاني عشر

«وتركتهم لتخلو بنفسها في لحظات شاء القدر أن يصنعها وينفذها بدقة بالغة لتفهم فيها معنى الحياة بعيدا عن كل ما تعودت عليه من الرفاهية المطلقة..».

نزلت «ياسمين» إلى الشارع في صحبة النسوة مرتدية العباءة السمراء التي تظهر بياض وجهها البريء والمشع بالأمل والحياة التي تجري في عروقها، وتعكس بسمة لا تخفيها على شفتيها لكل ما تراه حواليها في الشارع من متناقضات لما تعودت أن تراه خارج هذا الحي.

سمعت «ياسمين» كما من قاموس المصطلحات الذي لا تفهم معظم مفرداته، ولكنها حاولت أن تفهم إيحاءاته من لغة الجسد الحرة من ساكني هذا الحي. نظر إليها الناس عن قرب وعن بعد ليروا ماذا تخبئ هذه العباءة تحتها، هل هي صحفية أم باحثة اجتماعية أم مخبرة أم من المؤسسات الاجتماعية أم من فاعلي الخير، ولكنها تأكدت أن لا أحدا يلقي لها بالا من الخوف بل فقط من حب الاستطلاع وبالطبع التحرش لو لم يكن معها هؤلاء النسوة من أهل الحي.

فجـأة توقفـت إحـدى النسـوة وأوقفـت ياسـمين: إيه ياختـي، يعنـي مشـينا كتيـر في الشـارع ومـا قولتيـش حاجـة يعنـي واحنـا سـاكتين، يعنـي قعدتِ تتحايلـي علينـا كتيـر تنزلـي الشـارع ولما نزلنـا شـايفينك مسـهمة كـدة وبتتفرجـي مـن غيـر مـا تقولـي ولا كلمـة.. أقولـك، تعالـي نرتـاح هنـا شـوية في سـاعة المغربيـة قـدام البيـت ده مـع شـوية النسـوان دول وبعديـن نرجـع قبـل صـلاح مـا يرجـع هـو كمـان أحسـن يزعل مننا علشـان ماقلنالوش.

- ماشـي، موافقـة تعالـي نقعـد معاهـم، أنـا بصراحـة مابتكلمـش علشـان كل حاجـة باشـوفها حوالـيَّ غريبـة وجديـدة.. مـن ناحيـة فرحانـة إنـي يشـوفها لأول مـرة علشـان فرصـة أعـرف جـزء مـن مدينتـي ماعرفـش عنـه حاجـة قبـل كـده ومـن ناحيـة تانيـة زعلانـة جدا علـى حـال المنطقـة وأهلهـا إللـي حاسـة إنهـم طيبـين بـس مافيـش رعايـة ليهـم لا مـن نفسـهم ولا مـن حـد تانـي، ليـه مـش عارفـة! وده إللـي خلانـي أسـرح في كل حاجـة باشـوفها. بتمنـى كنـت أقـدر أعمـل حاجـة للنـاس هنـا علشـان يبقـوا زي النـاس اللـي بـرة.

- ياختـي كل اللـي جـه هنـا زيـك كـده قـال الـكلام ده ولا عمـل أي حاجـة ولا حـد هـا يعمـل ولا احنـا هـا نعمـل، الـكل اتعـود يشـوفنا كـده، حكومـة ونـاس واحنـا كمـان اتعودنـا نشـوف نفسـنا كـده.. تعالـي تعالـي نقعـد مـع النسـوان دول علشـان تشـوفي السـتات اللـي علـى أصولهـا.

وضحكت السيدة ضحكة عالية جدا وكأنها تسخر من ياسمين ومن النسوان ومن الزمان والمكان، ضحكة تجمعت فيها كل ألحان سيمفونيات بيتهوفن الصارخة.

أطلت «ياسمين» على وجود الستات الجالسين على الأرض، والأطفال تجري هنا وهناك بينهن ووراء الدجاج والبط والأوز غير مبالين لا بالقمامة التي غمرت أرجلهم، ولا بالطين الذي لطخ أجسادهم، وكأن ما يفعله هؤلاء الأطفال أمام أمهاتهم في هذا الجو الفلكلوري العجيب هو سبب السعادة التي تنطلق من عيون ووجوهم، وضحكاتهم التي تزغرد في الهواء الذي يتخلل كل هذه العشوائيات بل يباركها.

جلست «ياسمين» القرفصاء تستمع إليهن، فما زالت تهاب المكان والزمان، وما زالت تتحسس كلماتها ونظراتها وإيماءاتها مخافة أن تخطئ فتتعرض لنقد لاذع من إحداهن، ومع ذلك فهي مطمئنة لوجودها في حماية السيدات المرافقين لها.

– إزيك يا شابة.. مال وشك بهتان كده؟! إنت منين بتعملي إيه هنا؟ سياحة ولا عمل.. والله العباية هاتاكل منك حتة. إيه ياولية إنتِ وهيَّ، هي السنيورة وقعتوا عليها منين.. اوعى ياختي تكوني السنيورة اللي تايهة وأبوها قالب عليها الدنيا وبيدور عليها، على الله تكوني إنتِ، ده المعلم محمود قالب الدنيا وقرفنا معاه.

وما إن سمعت «ياسمين» كلام السيدة هذا حتى شعرت بالخوف مـرة أخـرى بعـد أن نسـيته مـع نظـرات المعلـم محمـود ورجالـه منـذ قليل قبل أن تطلب من السيدات أن تنـزل معها الشـارع للهروب منه حتـى يأتـي صـلاح. ولكنهـا كتمـت خوفهـا، وتمتمـت ببعـض كلمـات تؤكـد فيهـا أنهـا ليسـت ضائعـة، وطلبـت أن تدخـل الحمـام، فقـد فعل الخوف بها فعلته وأتاها شعور مفاجئ بالذهاب إلى الحمام الـذي لـم تفكـر فيـه منـذ أمـس.

- أيوة، تعالـي يـا شـابة، تعالـي ورايـا ياحبيبتـي، الحمـام هنـاك أهـو، خـدي راحتك.

ومع أن ياسمين كانت تتوق لاستخدام الحمام للانعزال بنفسها ولـو لدقائق بعيدا عـن جـو التحقيقـات هـذا، وفي نفس الوقت لترتـاح مـن شـعور مفاجئ لـم تفكـر فيـه ولـم تشـعر بـه منـذ أمـس، إلا أنهـا كاد أن يغمـى عليهـا عندمـا رأت حالـة الحمـام المزريـة.

هـل خلـق الله هـؤلاء النـاس وتركهـم؟ أم هـؤلاء النـاس هـم مـن تركـوا الله بعـد أن خلقهـم؟ كيـف يعيـش النـاس هنـا هكـذا، شـيء لا يصدقـه العقـل، كيـف لا يشـمئزون مـن القمامـة والوحـل والطـين والتـراب وفضـلات الحمـام والجـدران البائسـة والأسـقف المتسـاقطة والرطوبـة الحالكـة، والـكلاب والقطـط والفئـران الحـرة في كل

مـكان. كيـف هـذا، شـيء لا يصدقـه العقـل. تعجبـت «ياسـمين» ممـا تـراه، هـل خلـق الله النـاس درجـات كمـا خلـق الحيوانـات درجـات؟ هـل فعـلا الدنيـا خلقـت هكـذا، غابـة مـن النـاس بفروقـات قوتهـم الماديـة والسـلطوية والفكريـة والجسـدية والمكانيـة؟

هـل صمـم الله خلـق دنيـا الإنسـان لتحاكـي دنيـا الحيـوان، أم أن الإنسـان ومعـه الشـيطان هـو الـذي صمـم الدنيـا علـى هـذا النحـو؟ هـل الدنيـا صممـت فقـط في هـذه المدينـة أم أن كل مـدن العالـم قـد صممـت هكـذا؟ بالطبـع لا، لـم يصممهـا الله هكـذا بدليـل أن هنـاك العديـد مـن المـدن التـي زرتهـا في العالـم لـم تحـوي أبـدا مثـل المـكان هنـا، إذن هـو الإنسـان بأنانيتـه وحبـه في التميـز ولـو علـى حسـاب الآخـر. تبـا للإنسـان الـذي أراد أن يحقـق غابـة الحيوان. تعانقـت وتسـارعت كل هـذه الأفـكار في رأس ياسـمين بعـد أن هالهـا منظـر وحالـة الحمـام المزريـة.

أفاقـت «ياسـمين» مـن أفكارهـا علـى الرائحـة الكريهـة الصـادرة مـن الحمـام وكاد أن يغمـى عليهـا، فأصيبـت بشـعور مفاجـئ مـن الـدوار مـن جـراء الرائحـة والمنظـر الـذي لـم تتحمل عيناهـا الرقيقتان أن تـراه. ارتكنـت علـى الحائـط، وتهـاوى جسـدها رويـدا رويـدا حتـى سـقطت دون أن تـدري. فسـمع النسـوة ارتطـام جسـدها الـذي تممـدد علـى الأرض، وعيناهـا مـا زالـت مفتوحـة علـى النسـوة والمـكان.

جـرت السـيدات في حالـة فـزع ممـا حـدث لياسـمين، وكالعـادة حاولـوا افاقتهـا بفحـل بصـل ولكنهـا مـا زالـت لا تسـتجيب، وأرادت أن تصـرخ بـأعلـى صـوتهـا، أرجوكـم أخـرجونـي حـالا مـن هـذا المكان، ولكن لـم يسـمع أحـد صـراخهـا الواهـن بداخلهـا.

أسـرعت إحـدى النسـوة المرافقـين لهـا بالنـداء علـى صبـي علـى عربـة كارو ليأتـي إليهـا، وأمـرت الجميـع أن يحملوهـا سـويا علـى العربـة إلـى حجـرة صـلاح لعلهـا تهـدأ هنـاك، ولعلهـا تسـتطيع اسـتعمال الحمـام. حملوهـا النسـوة ووضعوهـا علـى عربـة الـكارو، وأسـرع الحمـار إلـى سـكن صـلاح تحـت سـياط كربـاج الصبـي العربـي ومازالـت عينـا ياسـمين مفتحـة، ومـا زالـت تتمنـى دخـول الحمـام، ولكـن لا تـدري كيـف تحـدث هـذه المعجـزة الآن.

اقتـرب الحمـار بعربتـه وحمولتـه مـن المسـجد القريـب مـن سـكن صـلاح ولاحـظ إمـام المسـجد هـذا المنظـر، فتـاة مسـنودة علـى صـدر النسـوة، وواضـح مـن ملامحهـا أنهـا غريبـة عـن المنطقـة. وبتوجـس أوقـف الشـيخ الحمـار ليعـرف مـا الخطـب مـن الفتاة ومن النسـوة، فلم تجـب الفتـاة مـن ضعفهـا ومـن إحراجهـا، ولكـن علـى الفـور تتطوعـت السـيدات وأخبرنـه بمـا حـدث علـى التـو عنـد الحمـام هنـاك.

فهم الرجل السبب وراء هذه الدوخة المفاجئة للفتاة، ولم يشأ أن يسأل عنها ولا عن مقصدها ولكنه وعلى الفور طلب منهن إدخالها المسجد لإنعاشها. وبالفعل حمل النسوة ياسمين إلى ساحة المسجد في أقرب مكان.

أسرع الشيخ بإحضار بعض المسك والكولونيا التي يحتفظ بها لزوم خطبة الجمعة، وأشعل البخور على الفور وانفرجت أساريره عندما لاحظ استرداد ياسمين لقواها، ولابتسامتها العريضة له وهي تعبر له بانشراح عن امتنانها لما فعله، والقدر الذي ساقه إليها في اللحظة الحاسمة.

لاحظت «ياسمين» نظافة المسجد واعتناء الرجل به، واختلافه تماما عن باقي المنطقة، وهنا تأكد لها بالدليل القاطع أن الدين وكماله فوق الفوارق الإنسانية. ارتاحت كثيرا لهذا المسجد، وتمنت أن يكون فيه حمام. لم تكمل أفكارها حتى أكمل الشيخ جميله وكأنه قرأ أفكارها، هنا يابنتي حمام نظيف ممكن تستعمليه واحنا هنا هانتظرك هنا.

بابتسامة عريضة مملوءة بكل تشكرات العالم، شكرا يا حضرة الشيخ. وتركتهم لتخلو بنفسها في لحظات شاء القدر أن يصنعها وينفذها بدقة بالغة لتفهم فيها معنى الحياة بعيدا عن الرفاهية المطلقة..

●●●

الفصل الثالث عشر

«وهنا تأكد لعباس الصبي أن ما يفعله رجال كاندليه مع بعض الناس ليس من فراغ بل من واقع مرير. وهنا فقط زاد تعلقه بكاندليه».

الفقير يسرق والغني يسرق والعفيف لا يسرق. و يعلم أهل كاندليه جيدا أن هناك الكثير من رجال الأعمال الخاصة والحكومية ممن يسطون وبدون وجه حق على ما تحت أيديهم أو أيدي الآخرين. ويعلمون جيدا أن السارق لا يعطي أبدا المسروق منه وإلا ما سرق بل يمتد فجره لاستخدام المسروق منه ومن الفقير نفسه. ويعلم أهل كاندليه أيضا أنهم في حاجة ماسة إلى المال لكي تسير حياتهم على الرغم من أعمالهم الشاقة من ناحية، والمذرية من ناحية أخرى. ولهذه الأسباب لا يشعر سكان هذه المنطقة العشوائية بأي ذنب عندما يخططون للسطو أو يحصلون على غِلال السطو. وبهذه القناعة خطط «أبو علاء» للسطو المقنن على بيت من البيوت المعروفة لكي يحصل على بعض الأشياء الثمينة ليبيعها ويقسمها على أفراد مجموعته الفقراء.

يا ترى هل ما يحدث في المناطق العشوائية مثل كاندليه امتداد لعصر الفتوة الذي ساد في عصر طويل في مصر، يقوم فيه الفتوة

بحماية أهل الحي مقابل دية من ساكنيه. أم أنه امتداد لعصر «أدهم الشرقاوي» والذي كان يقوم فيه أدهم بالسطو على الأغنياء لصالح الفقراء. أم أن لكل عصر مفردات وآليات قوته المسيطرة من قبل الفقراء على الأغنياء ومن قبل الأغنياء على الفقراء.

يا ترى هل ينطبق مصطلح الفقراء على أهل العشوائيات أم أنهم نتائج لمجرمي الفقر والحاجة. فكما أن هناك مجرمي الحرب فهناك أيضا مجرمي الفقر. و هل هم حقا السبب في الفقر والحاجة أم هو المجتمع وبناؤه المغشوش. وهل كان الفقر يوما ما سببا للسطو أم أن السطو هو من التأثيرات الجانبية للفقر حتى تحول من عرض يترك إلى حق مكتسب. وإذا كنا نريد من هذه المجتمعات الآلية للسقوط حياة بعيدة عن الإجرام فما دورنا في ذلك. إن ما يجري على أرض الواقع لا يعكس احتياجات وطموحات هؤلاء الناس بل يؤكد على استغلالهم وانعزالهم من قبل مجرمي الفقر وتصنيفهم وكأنهم درجة ثالثة ورابعة.

هل من الممكن أن تتحول العشش إلى منتجعات سكنية، من يدري لعل ذلك يحدث كما حدث في الزمالك التي تحولت من عشش إلى حي أرقى أحياء القاهرة. ولكن هل للماضي أن يتكرر، بالطبع نعم ولكن إذا استطعنا نحن بناء إهرامات جديدة بسواعدنا.

«صلاح» من أهل كانديليه وعباس وأمه من أهل كانديليه ومن أهل الحاجة والفقر والعَوَز، ولكنهم مختلفون ولو قليلا عن الآخرين، لمجرد أن صلاح تعلم قليلا وفكر كثيرا، ولأن الصبي عباس يخرج معه كثيرا فتأثر به، وأم عباس مختلفة لأن هناك شيء ما بداخلها متعلق بالأصول، ومؤكد هذا الشيء موجود في صدور معظم ساكني كانديليه. عندما نزل الوحي على سيدنا «محمد» اهتم بالفقراء والمحتاجين وبدأ بهم حتى يتساوى الجميع تحت لوائه. وقد كان هذا من أهم أسباب الدعوة المحمدية وإلا شابها العَوَار. وحتى بعد نجاح الدعوة وثباتها عزز الحق حقوق المحتاج والفقير والمسكين في أموال الأغنياء بالزكاة ومن بعدها الصدقة. ولكن لا هذا ولا ذاك يطبقه عامة الناس وبالتالي تحول أفرادالمجتمع إلى أخذ حقوقهم بطريقتهم. ومن هنا جاءت قناعة أهل كانديليه، جهل وفقر وحاجة مع طموح ورغبة عارمة في حياة كريمة ولو بأقل الأسباب. هكذا وُلد ونما وينمو مجتمع كانديليه بخليط من أبو علاء وصلاح ومحمود وعباس وأم عباس.

انتظر «أبو علاء» الصباح على أحر من الجمر ليجمع غِلال الأمس التي سوف يضعها الصبي عباس في الكنبة كما اتفق عليه. قاربت الساعة التاسعة عشر مساء ولم يأتِ رجاله بالكنبة. اشتاط غضبا مخافة من فشل المخطط الذي يعول عليه

كثيـراً ﻓﻲ مصروفـات الشـهور القادمـة. اتصـل بالعربجـي وبالعتـال وبالصبـي عبـاس ليعـرف مـا الأمر. وبعـد عـدة محـاولات رد العتـال علـى مكالمتـه ليُفاجـأ المعلـم أبـو عـلاء أن العتـال يخبـره أنـه وجـد الكنبـة فارغـة تمامـا مـن أي شـيء!

ازداد غضـب «أبـو عـلاء» مـن هـذه المفاجـأة المؤلـة ولـم يصدقهـا علـى الرغـم مـن القسـم الـذي أقسـمه العتـال والصبـي عبـاس الـذي كان يرافقـه. لـم ينتظـر أبـو عـلاء وجـرى إليهـم ليـرى بنفسـه مـا الخطـب، وطلـب العربجـي أن يسـبقه إلـى هنـاك بعـد أن تأكـد منـه أنـه وجـد الكنبـة خاويـة عندمـا فتحهـا أسـفل العمـارة.

ومـا إن وصـل أبـو عـلاء حتـى انتفـض عبـاس والعتـال والعربجـي معربـين عـن غضبهـم مـن الصبـي الـذي لا يريـد أن يقـص الحقيقـة إلا بوجـود أبـو عـلاء. وهنـا ازداد تعجـب أبـو عـلاء ممـا يحـدث، فـكل شـيء كان مرسـوما بالمسـطرة، والصبـي كان متحمسـا جـدا وكذلـك أمـه لـم تبـدِ اعتراضـا ﻓﻲ نهايـة اجتماعهـم علـى لتخطيـط لهـذه العمليـة.

– إيـه إللـي حصـل يـاد يـا عبـاس؟؟ العمليـة باظـت إزاي علـى إيديـك بعـد التعـب اللـي تعبنـاه والتخطيـط اللـي مايخـرش الميـاه!!

– والله ياريـس أنـا هاقولـك الحقيقـة بـس ماتضربنيـش لأنـي ماليـش ذنـب فيهـا.

- انطق قول، إيه اللي حصل؟

- بعد الست ما خرجت من البيت، خرجت أنا من الكنبة على طول. ورُحت أدور على الحاجات اللي أمي قالتلي عليها في الأماكن بتاعتها، وجمعت حاجات كتير و حاطيطها في الكيس الكبير إللي كان معايا، وبعدين شلت الكيس على ضهري ورحت أفرغه في الكنبة لقيت تليفون جايلي من أمي بتقوللي اوعي تحط حاجة في الكنبة من الشقة، دول ناس باشتغل عندهم ومش ممكن أخونهم أبدا.

- يابن الإيه إنت!! هي مش كانت معانا لآخر لحظة وكانت بتتمرقع الأول وتقول لأ وبعدين وافقت على الخطة.. وبعدها قالت لنا على المواعيد اللي بيروحوا فيها الشغل وبيسافروا، وكمان على أماكن الحاجة بالظبط؟! فجأة بقى أمك ضميرها صحي علشان تبوظلنا الدنيا، ينعلك وينعل أمك واللي جابكم.

- والله يا ريس مالي ذنب، هي قالتلي لو حطيت حاجة في الكنبة هاموتك أنا وأبوك وها تبقى ليلتك سودة.. وإنت عارف أمي بقى. ولما قولتلها ليه مانتِ اللي قايلالي، قالتلي أنا فكرت في الموضوع تاني ورجعت لعقلي ومش ممكن أسرق الناس اللي ائتمنوني. علشان كده سمعت كلامها، بس على ماجيت أحط

الحاجة تاني في مكانها حصلت حاجة خلتني اتلبش وأغير رأيي وأحط الحاجة تاني في الكنبة حتى لو أمي مش موافقة.

- إمال إيه إللي حصل بقى يا حيلة أمك وخلاّك متحطهاش، ونطلع بالكنبة ناشفة. لقيت حد نط على الشقة غيرك؟؟

رد العتال: سيب الولا بقى ياريس أبو علاء وأنا هاحكيلك اللي قالهولي، الولد خايف من ساعتها وماتلمش على روحه ونزل من الشقة من هناك بالعافية. وانت عارف الولد عباس ده بالذات مش بيكذب أبدا ولو على رقبته، ما انت عارف طالع لصلاح ياسيدي اللي بياخده معاه في كل حتة لحد ما اتعدى منه.

- يا سيدي خلصني، ينعل الولا على صلاح، احك يا سيدي أم الحكاوي بتاعتك، ما احنا بقينا بتوع كلام وخلاص.

- يا سيدي اللي حصل إن الولا فوجئ بحد بيدخل من الباب والحد ده كان جوز الست وواحدة معاه. الولا اتكلبش وساعتها كان في أوضة الضيوف فاستخبى ورا ستارة ومعاه الكيس اللي فيه الحاجة إللي جمعها.

- إزاي الكلام ده، هو الراجل مش المفروض مسافر واحنا شغلناه بالتليفون لحد ما مراته وافقت تاخد الكنبة. إيه اللخبطة دي. وبعدين إزاي الولا عرف إن الرجل ده جوز الست؟

- الولا عارفه وعارف صوته كويس لأنه كان يروح مع أمه من وقت للتاني، فعرفه لما سمع صوته. المهم إن الولا سمع جوزها وهو بيتكلم مع الست وبطريقة كلها دلع ومرقعة على نجاح الخطة اللي رسمها على مراته اللي صدقت إنه مسافر وإن الوقت حاليا متاح ليهم ليحتفلوا بآخر عملية بيع للأدوية المحذورة في سرير مراته قبل ماتيجي بعد ٦ ساعات من دلوقتي. الولد اتخشب مكانه لي‍ٱشفوه أو يحسوا بيه ويمسكوه وتبقى مصيبة.

قاطعه «أبو علاء»: طيب ياريت كان مسكوه علشان الواد كان أرّ عليهم وعلى وساختهم في الغش والخيانة، مش قلتلكم إن دول ولاد كلب وحلال نسرق حباب عنيهم. ووجه حديثه للصبي عباس: وبعدين ياولا احكيلي انت الحتة الحلوة دي وبالتفصيل الممل وعلى البطيء، عايز استمتع يا ولا على الأقل أطلع بحكاية أقولها لصحابي الليلادي مع حجرين الحشيش. قال رجال أعمال قال، دول رجال غش وجنس وخيانة ومسخرة. قول ياللا احكيلي.

- هما دخلوا يا معلم أوضة النوم من هنا وسمعت صوت مزيكا ورقص وهيصة وهأهأة جامدة وبعد كده الصوت قل، وهنا قلت بقى أنا هاخد الحاجة هاخدها، جوزها مايستهلش كلام أمي وحلال سرقته. شيلت الكيس تاني علشان أروح أحطه في الكنبة وافتح الباب واهرب على طول، وهنا وحظي الأسود لقيت الراجل

خارج من أوضة النوم ومعاه فلوس في شنطة صغيرة بيديها للست اللي معاه وبيقولها تعالي في الصالة شوية قبل ماتمشي تحسبا لأي ظرف. الراجل فوجئ بالكنبة فضحك قوي وقال للست الظاهر مراتي عاملالي مفاجأة في عيد زواجنا وجابت الكنبة الجميلة دي.. بلاش نقعد عليها علشان ماتشُكش في حاجة وقعدوا على الكنبة اللي قدامها، بس شوية على الكنبة وشوية يدخلوا الأوضة وهما بيجروا ورا بعض وبيهزروا. انا اتسمرت مكاني وخفت وكنت حاسس إنهم هايحسوا بيَّ بس ربنا ستر.

- طيب ما كده حلو أهو ولقيتهم متنيلين على عنيهم، ماحطتش الحاجة ليه بقى في الكنبة ونزلت في أي وقت دخلوا فيه جوة!! خايب زي أبوك وزي صلاح بتاعك، كلكوا عينة واحدة خايبة وهاتخيبونا معاكم. كمل كمل يا حيلة أمك.. ماستخبتشي ليه لحد مايتنيلوا يخرجوا وتحط الحاجة وتنزل لأنه أكيد هاينزل قبل ما مراته ما تيجي؟

- يا معلم، الموضوع كان صعب. بس أنا عموما لما لقيتهم كده قلت هاسيب الحاجة معايا زي ما هي وبعدين أحطها واخرج بسرعة أول ما يدخلوا الأوضة. ولكن فوجئت بمراته هي كمان رجعت بدري على غير عادتها ودي كانت المصيبة الكبيرة لأنها عارفاني. فجريت على بلكونة الحمام وسيبت الحاجة علشان

أستعد يا إما للهروب من على مواسير المجاري أو من الباب لو عرفت.. دخلت الست مراته تغني ومبسوطة وراحت على أوضة النوم وهنا سمعت زعيق وصريخ وشتيمة ومواويل من مراته ومنه، وقعدت تصرخ وتقول تخوني مع صحبتي يا مجرم يابن المجرم وأنا اللي افتكرتك جايب الكنبة في عيد زواجنا أتاريك جايبها علشان تيمني أنا وتنام انت مع العاهرة بتاعتك اللي عاملة صحبتي. أنا سمعت كده، فقمت نازل جري من على مواسير المجاري ومنه على المنور على بره ويا فكيك.

- وشك شؤم يالـلا، مش هاتشتغل معانا تاني، خليك جنب أمك بقى هَش ونَش وتنبيش، ما انتوا فقر مالكوش في الخير. إمال يا معلم انت وهو جبتوا الكنبة إزاي، ولا سيبتوها هناك زي الشطار؟

- نسيبها ايه بس يا ريس، احنا رُحنا على الميعاد اللي اتفقنا عليه لأن الولا عباس ماجلناش على طول فمعرفناش اللي حصل. خبطنا على الباب طلعتلنا الست وهي بتزعق مع جوزها وطايحين في بعض وماسكة في أيدها سكينة وبتهدده وراحة كمان تقطع الكنبة انتقاما منه لسه متخيلة برضه بخيبتها إنه هو اللي اشتراها. طبعا جرينا عليها ولحقناها وفاهمنها ان احنا جبناها على عنوان غلط وإن جوزها ماشترهاش ولا حاجة وده تشابه

أسماء.. الست طبعا انهارت لما عرفت إنه ماجبش حاجة ولا فاكرها ولكن بيخونها في سريرها ومع صاحبتها. أغمى عليها واحنا أخدنا الكنبة وسيبنا جوزها يفوقها وخرجت صاحبتها تجري جري على السلالم. ده كل اللي حصل يا معلم.

- يا ولاد الإيه، دول طلعوا ناس فالصوا قوي وعاملينلي فيها بهوات وبشوات، دا أنا مش هاسيبهم بعد كده، ده أنا هاقصقص ريشهم أول بوِّل، وابقى خَلِّي أمك بقى تقول لأ يا نَنُّوس عين أمك. علشان تعرفوا إن احنا أرجل منهم وأشرف منهم.. صح ياد يا عباس ولا لأ؟!

وهنا أطرق «عباس» في الأرض مجيبا بالإيجاب: أيوة يا ريس، أنا وأمي غلطانين. وهنا تأكد لعباس الصبي أن ما يفعله رجال كاندليه مع بعض الناس ليس من فراغ بل من واقع مرير. وهنا فقط زاد تعلقه بكاندليه.

●●●

الفصل الرابع عشر

«ياسمين أنتِ زهرة لا تقطف، أنتِ أقحوانة من عنبر، أنت حواء من سلسبيل، أنت الحياة سكنت في قلبها الأيام الضاحكة، أنتِ طريق العمر الطويل، وأنا مجرد عابر سبيل».

تحولت المسافة إلى مسكنه إلى طريق من ألف ميل، فكلما اقتربت السيارة من حي كاندليه كلما اضطرب قلبه وانتفض جلده وشعر بخجل مما فعله من تغيير هيئته. لماذا أغير هيئتي، هل يحتاج الإنسان أن يغير مظهره ليلقى إعجاب الناس. ولكن ياسمين ليست من عوام الناس يا صلاح. نعم هي تستحق أن أفعل كل ما يرضيها، فهي ليست كأي فتاة، هي من رق قلبي لها وامتلأ بحبها. هي رأتني وأنا «صلاح» كاندليه، وارتاحت لكلامي وفكري وفلسفتي وأشعاري، فمؤكد أنها ستفاجأ بهذا التغيير وسوف ترحب، ومؤكد سوف تكون مفاجأة تسرها فلا داعٍ إلى القلق، فهي إنسانة متفتحة العقل ورقيقة القلب ورائعة الفكر. فلأنحي أفكاري هذه وقلقي جانبا، ولأكون مستعدا لتلك الحظة الجميلة التي أراها فيها وتراني، فقد شعرت أني تركتها منذ أيام وليس فقط منذ ساعات.

آآه يا صلاح، تبا لهذا الحب الذي أذاب قلبي على غرة، حب له بداية ولكن بلا نهاية، حب قد يكون من طرف واحد، طرف خيطه رفيع نبت في قلبي وانتهى في قلبها، ولكن المسافات التي سوف تخطوها ياسمين هي التي سوف تتحكم في بقائه أو قطعه. آآه يا آدم، ليتك كنت معي الآن تشد من أزري وترى ياسمين لتخبرني عن لغات عينيها عندما تراني، وعن أسرار كلماتها عندما تتحدث إليّ، مؤكد يا آدم كنت ستفهم مشاعرها وتترجمها لي لأرسو على الشاطئ، شاطئ الحياة، أو أغرق في بحور الحياة العميقة.

أخذ «صلاح» يتحدث إلى نفسه دون أن يدري وكأن هناك صلاح آخر يسكن داخله ويحاوره، صلاح يقاوم أفكاره ورغباته ويذكره بصلاح كاندليه وبفقر يديه وفقر تعليمه وفقر اجتماعياته. شعر صلاح وكأنه مشتت بين صلاح كاندليه وصلاح الآخر ولم يشعر إلا وهو أمام بيته بكاندليه والأولاد منطلقون في الشارع يجرون ناحية السيارة مهللين وكأنه يقود طائرة وليست سيارة هبطت عليهم من السماء وصلاح فوقها كالفارس المهيمن على سماء كاندليه.

ابتسم في نفسه وشعر بقشعريرة من هذا الصخب المرحب به والذي سرعان ما تلاشى عندما ظهر صلاح بهيئته أمام الأولاد لينقلب الترحاب والتهليل إلى فتور وسخرية بعد أن فقدوا الآمال

العراض في الحصول على أي حسنة من غريب قادم، فصلاح لا يعطي حسنات.

تحول فتور الأولاد إلى صياح وتهليل وسخرية من الهيئة الجديدة التي ظهر عليها صلاح باللبس الجديد وقصة الشعر الجديدة والوجه اللامع الذي اختفت منه أثار الأتربة والغبار ليبدو وكأنه وجه سينمائي جديد.

يبدو أن هيئة صلاح قد تغيرت كثيرا مما جعل الأولاد يقتربون منه أكثر وأكثر ليتحسسوه وهو لا يريد أن يمنعهم فهو يحبهم جميعا ويعاملهم برقة مختلفة عن باقي رجال المنطقة. ولكن تمادي الأولاد في حب الاستطلاع فأمطروه بوابل من الأسئلة بطريقة فيها شيء من السخرية ولولا حبهم له وتعلقهم به لرأى منهم مالا يسر جراء هذا التحول غير المبرر.

الغريب أن الأولاد عندما رأوا صلاح ثابتا في مظهره ولم يتأثر بكلامهم واستخفافاتهم هدأوا وتحولوا إلى قطط هادئة تتمسح في صاحبها لعله يجود عليها بشيء لظنهم أنه من المحتمل أن يكون بالفعل تغير ووقع على كَنز أو نصبة كبيرة وأصبح معلما كبيرا على هيئة أستاذ.

وهنـا ابتسـم «صـلاح» وأقـر بـأن المظهـر فعـلا غـلاب ومُقلـب العقـول مـن هازئـة إلـى طالبـة ومتمسـحة وراغبـة. وتأكـد لـه أيضـا أنـه أصبـح صـلاح آخـر بمجـرد تغييـره الهنـدام وقصـة الشـعر ولمعـان الوجـه، نعـم أصبحـت صـلاح آخـر في عـين الأطفـال حتـى صدقـوا مـا رأوه، ولكـن مـاذا عـن ياسـمين، هـل سـيعجبها الحـال أم سـوف يكـون مسـارا لسـخرية بطريقـة أكثـر تحضـرا. اهـدأ يـا صـلاح وسـوف تـرى بنفسك تعبيراتها في دقائق.

أغلـق صـلاح السـيارة وحـاول أن يبعـد الأولاد عنـه ونظـر إلـى أعلـى ناحيـة ياسـمين التـي كان يتمنـى أن تكـون هنـاك علـى البـاب في انتظـاره. ولكنـه وجـد حجرتـه هادئـة، لا صـوت لهـا ولا للنسـوة، لا صـوت هنـاك إلا صـوت الأولاد. خفـق قلبـه خوفـا عليهـا. دخـل الحجـرة مسـرعا ليـرى مـا إذا كانـت نائمـة بالداخـل فلـم يجـد أحـدا، ولكنـه لاحـظ وجـود كيـس ملابسـها مـا زال في ركـن الحجـرة. أمسـك الكيـس وتحسـس ملابسـها وكأنـه يتبـارك بهـا حتـى يجدهـا.

جـن جنـون صـلاح، أيـن ذهبـت ياسـمين، هـل اتصلـت بوالدهـا وجـاء وأخذهـا،ولكـن أبوهـا وعـده ألا يتصـل بهـا حتـى يهيـئ صـلاح الأمـور علـى حسـب رغباتهـا. حتـى ولـو، فكيـف وتليفونهـا معـي في السـيارة، هـل اتصلـت بـه مـن تليفـون أحـد النسـوة. هـل أخذهـا النسـوة إلـى مـكان مـا في المنطقـة، ولكـن كيـف وبـدون إذنـي. جـن

جنونه وعاد إلى العربة يقودها في كل مكان في كاندليه يبحث عنها أمام كل بيت وفي كل حارة ولكن لا جدوى.

وفجأة شاهد «عباس» وهو يجري مع الأولاد في الشارع فأوقفه «صلاح» وسأله عن أمه وباقي النسوة اللائي كن مع ياسمين قبل أن يتركها منذ ساعات. لم يرد «عباس» ولم يتكلم ولكن أشار بيده ناحية المسجد. تعجب صلاح ولم يفهم ماذا يقصد عباس. أعاد عليه السؤال وطلب منه أن يتكلم ليفهم ليتبدد قلقه الذي تملكه كله:

اتكلم يا عباس، فين يابني أمك وفين ياسمين، هي وادتها فين؟؟

وبعد صمت نطق عباس: يا صلاح هو كل حاجة أمي أمي، النهاردة يا سيدي كان يوم طويل وحصلت حاجات كثيرة وانت بتجيب العربية. من ناحية العمليه اللي كان المعلم أبو علاء بيخططلها باظت وجاب الهم عليَّ أنا وأمي. ومن ناحية تانية، ياسمين خرجت مع نسوان الحتة ومعاهم أمي يشوفوا الشوارع والبيوت علشان ياسمين كانت عايزة كده.

- طيب هما فين دلوقتي يا عباس أنا بدأت أقلق يابني، قولي هما فين، وازاي يوافقوا على كلامها ويخرجوا، دي ممكن

تتعب من المناظر، يابني دي مش زيننا خالص ومش واخدة على المناظر الوحشة والمقرفة اللي ممكن تشوفها لو دخلت أي مكان. ربنا يستر.

- والله ده اللي حصل يا صلاح.. وهي فعلا تعبت وحاليا في الجامع. عموما انت ممكن تروح تلحقهم هناك مع الشيخ.. أما موضوع العملية ده هاحكيهولك بعدين علشان موضوع كبير ولازم تعرفه. وكمان في حاجة أهم حصلت مع ياسمين عندك في الأوضة مع المعلم محمود.

تأرجح قلب صلاح يمينا وشمالا وهو يسمع من الصبي عباس عن وجود ياسمين في المسجد وعن المعلم محمود، اضطرب عقله وتفكيره وتأكد أن شيئا ما حدث وتملكه القلق، وهرول نحو المسجد عله يلحق بياسمين هناك ليعرف ما الخبر. أكل هذا يحدث يا ياسمين في الساعات التي تركتك فيها. هرول صلاح وهو يحدث نفسه بهذه الكلمات وهو في حالة قلق شديدة تكاد تمزق قلبه وتفتت عقله.

●●●

- أهلا يا أبو صلاح.. فينك من الصبح يابني، سيبت ياسمين ورحت فين، دي البنية خرجت معانا تشوف الحتة وبعدين فجأة تعبت وداخت مننا والحمد لله الشيخ ساعدنا.

لم يستمع «صلاح» إلى كلامهن، فقد نظر يمينا وشمالا وحوله في المسجد ليجدها هناك متكئة على الحائط في هدوء، ساقاها ممدة من تحت العباءة، والشيخ يجلس بالقرب منها. هرول صلاح إليها كالمجنون: مالك يا ياسمين.. إيه إللي حصل؟؟ وليه سيبتي البيت وخرجتِ من غيري. تمنى صلاح أن يضع راحة يده على جبين وخد ياسمين لتطمئن حواسه وتتأكد مشاعره أنها بخير، ولكنه لم يستطع، وتوقفت يداه بجانبه بلا حراك. نسي صلاح تماما هيئته الجديدة ولم يتذكرها إلا عندما فوجئ بوجه ياسمين يبتسم ابتسامة بعرض الحياة واتساع السماء وهي تقول له وبصوت خافت: ما أجملك يا صلاح في هيئتك الجديدة! ما أروعك في أي هيئة جديدة أم قديمة! فصلاح هو الهيئة. هنا تذكر صلاح هيئته الجديدة وتبددت مخاوفه، ولكنه ما زال يخشى أن ما تقوله ياسمين الآن ما هو إلا طبطبة لمشاعره حتى لا تجرحه.

علقت إحدى النسوة من بعد: إمال إيه صحيح يا صلاح اللي انت عامله في نفسك ده؟! هو انت هاتتبرى مننا ولا إيه؟! ولا خلاص شوفتلك شوفة جديدة، اللي بينسى أصله يا صلاح بينسى فصله وبيتوه في الحياة.

ردت أخرى: والنبي ياختي هو شكله كده يجنن، ماتسبيه يفرح بنفسه وهو حد واخد منها حاجة، خاليه يدلع ويلبس حلو على راحته بدل ما هو طالع داخل علينا بنفس المنظر التعبان.

علقت أخرى: ياختي هو حر بس يكون قادر على اللي بيعملوا، الموضوع مش كلام، ده فلوس.. هو أدرى بنفسه. ولاَّ انتِ رأيك إيه يا ياسمي؟

ردت ياسمين وهي ما زالت تحتفظ بابتسامتها على شفتيها وكأنها تريد أن تعضد موقف صلاح: والله أنا شايفة إن الفلوس مش هيه المشكلة خالص، لأن ممكن الواحد يشتري طقم واحد أو اتنين بالكثير ويلبسهم بعد الشغل ليمتع نفسه وجسده ومشاعره حتى لو كانت الملابس رخيصة.. وبصراحة أنا مبسوطة من الطقم ده جدا ياصلاح وذوقك شيك وقصة شعرك الجديدة جنان مع إني كنت اتعودت خلاص على صلاح قبل التغيير. وضحكت «ياسمين» ضحكة جعلتها تستند على الجدار. وهنا مد صلاح ودون أن يدري راحتيه ليسندها ولم تعقب هي بأي ملامة أو عتاب بل تركته يساعدها في الاعتدال على الحائط.

- ياخويا على حنيتك! من إمتى ده كله، واضح إنك وقعت لشوشتك ومحدش سَمّى عليك، احنا كده فهمنا الفولة، إنت عملت كده علشان تعجب السنيورة. بس يا حبيبي خيالك راح لبعيد قوي ياحبة عيني، العين ما تطلعش على الحاجب، ولا الميه بتطلع للعلالي ياحبيبي. إنت حبيت البنية ولا إيه؟! يابني ماينفعش، دا انت لسه عارفها يدوبك من يوم، لحقت يا بو قلب

حنين، يا ابو قلب ورق.. بكرة ياسمين تقطع قلبك الورق ده قبل ما تكتب فيه كلمة واحدة، وابقى خليك فاكر كلامي ده.

تضايقت «ياسمين» جدا من كلام هذه السيدة الموجه إلى صلاح، خاصة لإحساسها بالحرج الشديد الذي بان على ملامح وجهها، فردت بسرعة لكي تلطف من وقع الكلام عليه: إزاي بقى؟ صلاح صحيح مش متعلم ولكنه مثقف وأديب متخفي في هيئته وعمله وعلاقاته.. أنا شخصيا معجبة جدا بصلاح وبطريقته المختلفة عن باقي رجالة الحتة، أنا متأكدة إنه هايكون حاجة كبيرة وبكرة تشوفوا. وأضافت مع ابتسامة عالقة على شفتيها الرقيقتين: أنا وصلاح خلاص بقينا أصدقاء بالعند فيكم ومش هانسيب بعض أبدا.

مع أن كلام «ياسمين» قد أزال الحرج عنه وطبطب علي قلبه وهدأ من مخاوفه، إلا أن صلاح سرعان ما تملكه خوف من أن يكون رد ياسمين ما هو إلا إنقاذ لموقفه أمام سيدات المنطقة أو شفقة عليه ورحمة بمشاعره وامتنانا لوقوفه بجوارها في محنتها، خاصة أنها ما زالت في كنفه وحمايته في هذه المنطقة التي لا تعرف فيها أحدا غيره. ولما تملكه هذا الإحساس اغرورقت عيناه بحبات من الدمع الخجول الذي حبسه في مآقيه مخافة أن يسيل أمامها وهو الرجل الذي يزين حبه برجولة لا تعرف دموع المواقف.

تنهد «صلاح» تنهيدة جمع فيها كل حرمان العمر، تنهيدة كادت أن تحطم جدران قلبه المحب، تنهيدة بث فيها كل آماله في الحياة بالقرب من ياسمين، تنهيدة نطقت بلطف المشاعر الحانية بقلبه وبكلمات قالها لياسمين غير عابئ بهؤلاء النسوة: «ياسمين أنتِ زهرة لا تقطف، أنتِ أقحوانة من عنبر، أنت حواء من سلسبيل، أنتِ الحياة سكنت في قلبها الأيام الضاحكة، أنتِ طريق العمر الطويل، وأنا مجرد عابر سبيل».

لم يدرِ «صلاح» بنفسه وهو يرسل هذه المشاعر دفعة واحدة على رموش تزين عيون ياسمين، وأمام النسوة، وأمام شيخ الجامع، وفي حرمة المسجد.

لم يدر بهيامه الذي انساب حروفا تتلألأ، وكلمات تنساب من شفتيه على رقصات رموش عينيه الحالمة في عيون ياسمين. لم يدرِ بنفسه وانساق وراء مشاعره التي خدرته فاستمر في ترتيل مشاعره، وياسمين تنظر إليه مندهشة ومنبهرة بهذه التصويرات الشعرية الرائعة التي لم تسمعها من أحد من قبل.

لم يدرِ صلاح بنفسه إلا بضحكة عالية من شيخ المسجد وهو يقول: الله الله يا صلاح يابني، كلامك رائع وإحساسك مرهف، كيف جئت بهذه الكلمات والتعبيرات الجميلة؟ كيف يكون عندك هذه الموهبة الفذة في كتابة وتأليف هذا النظم وتترك نفسك هنا في كاندليه تعمل عتالا لا حول له ولا قوة!

وما إن وقعت على مسامع صلاح كلمة «عتال» حتى أفاق من الحالة الشاعرية التي تملكته وجعلته يغيب للحظات عن كل من حوله ما عدا ياسمين، وبان على وجهه ملامح الخجل ممزوجة بالضيق. فبقدر ما أسعدته جرأته المباغتة والمفاجئة لنفسه وللموجودين ليعبر عن مشاعره لياسمين دون أن يدري، وبقدر ما أسعده كلام الشيخ وإعجابه بكلماته وبقدر، ما ران على قلبه من سكينة وثقة وراحة كبيرة وهو يلقي بكلماته هائما في عالم آخر، وعيناه تسكن عيني ياسمين، إلا أن كلمة «عتال» الذي قالها الشيخ دون أن يقصد جرحت مشاعره، فقد نزلت على قلبه هذه الكلمة كحجارة من سجيل دون أن تميته.

وبسرعة راحت «ياسمين» تصحح الموقف وعيونها على صلاح: يا عم الشيخ، الشعر والمشاعر والشعراء ليس لهم وطن ولا عنوان ويعيشون في كل زمان وأي مكان يرغبوه. ولذلك فالشعراء شهاداتهم كلماتهم ورأس مالهم مشاعرهم الفياضة وبحورهم العميقة وأنهارهم العذبة التي تحمل سفن أحلام الناس نيابة عنهم مجانا.. وصلاح شاعر وكاتب من الدرجة الأولى، ولولا وجوده في كانديليه ما ظهرت هذه الموهبة الفذة، فهنيئا لكم بصلاح وهنيئا لي بصداقة هذا الشاعر المرهف.

ضحك الشيخ ضحكة كلها طيبة ودعوات وهو يربت على كتفي صلاح: هنيئا لك يا ابو صلاح بإعجاب ياسمين بك وبكلماتك وبشخصيتك، وهنيئا لك بموهبتك الجميلة والمتميزة. ثم نظر الشيخ إلى ياسمين قائلا: وكذلك يا آنسة ياسمين لولا وجودك الآن ومنذ الأمس في حياة صلاح لما تفجرت تلك الموهبة وازدانت بتلك الكلمات، فهنيئا لكِ أنتِ الأخرى سيدتي بإعجاب صلاح بك الكامن في معاني كلماته التي باحت بمكنون مشاعره، وما عليكِ إلا أن تقويها أو تداويها.

نظر صلاح بابتسامة مغلفة بعتاب مكتوم: يا عم الشيخ إيه كل ده؟! أنا بس كنت عايز أقول لياسمين حمد الله على السلامة واطمن عليها بس بطريقة مختلفة شويه علشان بس تعرف إن كاندليه برضه فيها كلام حلو، يعني مش كل حاجة هنا وحشة وتوجع البطن.. وبعدين يا شيخنا ومين مايحبش الناس الطيبة ولاد الأصول المتواضعين ده واجب علينا برضه.

- ماشي يا ابو صلاح.. ولا أقولك يا أستاذ صلاح؟ خاصة وانت في الهيئة الجديدة والنيولوك الجديد ده؟ خليك بقى نصلي المغرب لأنه وجب.

ردت النسوة بسرعة: احنا ماشيين ياخويا انت وهو وكفايا علينا الفيلم الهندي بتاعكم ده اللي كان عايز مترجم وشوية رقص هندي، صلوا انتوا بقى واحنا هانمشي ونصلي على النبي.

ضحك الشيخ على كلامهم، ولم يشأ أن يضغط عليهم للصلاة لأنه يعلم النتيجة، فالسيدات هنا لا تصلي لا في البيت ولا في المسجد: عموما كتر خيركم على مساعدتكم لياسمين وأنا هاجيبها البيت أنا وصلاح بعد الصلاة ونعمل اللازم.

- طيب يا عم الشيخ هاودي ياسمين البيت دلوقتي لأن العربية بتاعتها برة وجبتها من عند السمكري وبعدين آجي. ونظر إلى ياسمين لعله يقرأ في عينيها رأيا آخر، فابتسمت له ياسمين ولم تنهض ففهم أنها قد تريد أن تبقى لتصلي في المسجد: ولا أقولك، خلاص يا شيخنا هاصلي وبعدين أروح مع ياسمين علشان أعمل اللازم ليها قبل ماتمشي.

- أيوه كده يا صلاح، أذِّن للصلاة يابني علشان تصلي معايا.. إنت شايف المسجد فاضي والناس مابتجيش إلا يوم الجمعة بس ومش كلهم كمان.

ترك صلاح ياسمين في مكانها واستأذنها للذهاب إلى الناحية الأخرى من المسجد التي بها القلبة ليؤذن للصلاة. هزت

ياسمين رأسها بحنان بالغ وكأنها تبارك هذه اللحظات الجميلة التي رسمها القدر في حياتها دون ترتيب لتعيش هذه السيمفونية الرائعة من الطيبة والصدق والمشاعر التي تمشي ببساطة على الأرض أمامها.

استقبل «صلاح» القبلة وسوى هندامه ووقفته، وسكن للحظات ناظرا تحت قدميه ثم رفع رأسه إلى أعلى بهدوء وبسكينة ليؤذن للصلاة بصوت كله خشوع وعبودية واستسلام لله وتوكل عليه فتردد صوته كمزمار عذب ملأ أركان المسجد بالخضوع والخشوع لله.

تعجب الشيخ كيف تتفجر مشاعر الحب من النفس لله وللحبيب هكذا في وقت واحد ومن شخص واحد وفي مكان واحد. بارك الله فيك يا صلاح وفي صوتك وفي كلماتك وفي شخصك وفي حبك لياسمين الذي لم يدرك أحد سواي قدره.

وما إن أنهى صلاح الآذان حتى صلى ركعتين لله ثم ركن إلى نفسه يدعو الله، وكانت كل دعواته أن يحقق الله أمنياته في حب ياسمين وكأن هذه الصلاة رتبت له ليدعو في حرم المسجد أمام الله وبشهادة الشيخ لأن تحبه ياسمين.

نظر الشيخ إليه نظرة الأب العطوف، نظرة كلها محبة وعطف وحنان، وطلب منه أن يقيم الصلاة وأطلق في نفسه دعوات كلها

لصـلاح ووعـود علـى نفسـه أن يسـاعد صـلاح لكـي يكـون صـلاحـا آخـر يعيـش لموهبتـه التـي زرعـت في الحـي وحـان وقتهـا لتطـرح خـارج الحـي ولصالـح الحي.

أقـام «صـلاح» الصـلاة وكأنـه مقيـم شـعائر منـذ نعومـة أظفـاره، مـع أنهـا المـرة الأولـى التـي يـراه فيهـا الشـيخ يفعـل ذلـك. مـرة أخـرى تعجـب الشـيخ مـن تأثيـر الحـب، فضحـك في نفسـه وقـرر أن يحـب.

●●●

الفصل الخامس عشر

«الحب أفعال ماض وحاضر وآت، الحب لغة معنوية أبجدياتها تكتبها أفعال المحبين والإعلان عنه نصف الرجولة".

نهضت «ياسمين» بعد انتهاء الصلاة مباشرة، وشكرت الشيخ بشدة ووعدته أن تراه لاحقا بالتأكيد، ودعته لزيارتها بعد أن تتماثل للشفاء عن قريب.

دعا لها الشيخ كثيرا وشدد عليها أن تأتي لزيارة الحي في أي وقت ترغبه وتحت رعايته، ثم أعقب ضاحكا: وبالطبع تحت رعاية صلاح إذا استمر في العيش معنا.

ابتسم «صلاح» للشيخ وهمس لياسمين للعودة لسكنه: يَلاَّ بينا علشان عندي أخبار مهمة عنكِ وعن والدك وعني.. وبعدين يافندم عربيتك برة مستنياكِ، هي مش وحشتك ولا أيه؟!

- طبعا يا صلاح، وحشتني.. وحشتني جدا يَلاَّ بينا.

فرحت «ياسمين» جدا عندما رأت السيارة أمام المسجد، وجرت عليها كالطفلة التي فقدت عروستها ثم وجدتها فجأة: معقول يا صلاح، أنا كنت خايفة جدا إنها ماتشتغلش تاني، ميرسي يا صلاح، الحمد لله إني ممكن أروح بيها وبابا يبقى

يوديها للتوكيل بعد كده، حقيقي ميرسي يا صلاح على كل اللي عملته معايا من امبارح.. احكيلي بقى إيه اللي حصل في الساعات اللي كنت فيها بره كاندليه وإيه حكاية بابا؟ قلقتني.. وبعدين يا سيدي إيه الشياكة والنيولوك الجديد ده، حلو الطقم عليك جدا.

- طيب الأول يَلاَّ بينا ندخل العربية ونروح عندي ونتكلم هناك.

- أوك، بس أنا حبة نقعد في العربية شوية وبعدين تعالي هنا علشان تسوق إنت.

- حاضر يافندم. أولا أنا ماعملتش حاجة وياريت مافيش داعي للشكر، ياريت كنت أقدر أعمل أكثر من كده، ولكن على قدر ما استطعت.. بس ماكنش لازم تنزلي وأنا مش معاكِ لأن في حاجات ممكن ماتتحمليش تشوفيها وتتعبي زي ما حصل. عموما الحمد للّه حصل خير. أنا اتصلت بوالدك علشان مايقلقش وفهمته إنك بخير وإنك هاتكلميه بالليل بعد ماكون رجعت، فياريت تكلميه دلوقتي وتليفونك في العربية، ياريت علشان مايقلقش.

- أوك، هاتصل عليه ولكن قولي الأول إيه اللي حصل معاك وانت بره، احكيلي، وإيه الكلام الكبير اللي انت قلته ليّ في الجامع قدام الشيخ ده. كلام جميل جدا وحاسة إنه من قلبك يا صلاح، إنت كنت تقصده فعلا، ولا مجرد كلمات شاعرية مجاملة منك.

- أولا اللـي قلتـه في الجامـع مـش كلام، دي تعبيـر عـن مشـاعري التـي تملكتنـي تجاهـك منـذ الصبـاح، حاولـت أقاومهـا فلـم أسـتطع، فقـررت أن أخـرج مـن كاندليـه لأهـرب في نفسـي ومـن نفسـي وأنـا بجيـب عربيتـك، ولكنـي لـم أسـتطع. قـررت أن أمشـي في الشـوارع المجـاورة فطـال بـي المشـي حتـى جلسـت علـى قهـوة وتعرفـت علـى «آدم» الـذي اسـتمع إلـيَّ، واسـتمعت إليـه ودار بيننـا حـوار فلسـفي رائـع وحكيـت لـه عـن قصـة حبـي لـكِ وكـم أنـا خجـول ومتـردد في الإفصـاح عنهـا لقلـة حيلتـي وبعـد المسـافات بينـي وبينـك مـن جميـع الاتجاهـات التـي تجعلـك لا تفكـري فيَّ مـن الأسـاس ولا تقبلـي حتـى بفكـرة حبـي لـك.

- ليـه يـا صـلاح؟! الحـب في حـد ذاتـه بغـض النظـر عن المسـافات شـيء رائـع بـل الحـب وحـده هـو الـذي يقـرب المسـافات، ثـم أنـا مؤمنـة تمامـا أن لـو هنـاك أحـد يحبـك جـدا علـى طـول الخـط وتحـت كل الظـروف فمؤكـد أنـك أنـت أيضـا تحبـه حتـى ولـو لـم يتولـد الحـب بعـد مـن رحـم المشـاعر.. ولكـن يـا ياسـمين الحـب كضـوء الشـمس السـاطعة، تشـعه الشـمس مـن قلبهـا ليدفـئ قلـوب النـاس وينيـر طرقاتهـم، ولكنـه أيضـا وللأسـف قـد تحجبـه عـن النـاس سـحابة معلقـة تكونـت مـن صنيـع النـاس، حينئـذ يصبـح الشـعاع بـلا قيمـة.

- أختلف معاك يا صلاح، بالعكس يظل شعاع الشمس مضيئا وباعثا للدفء حتى ولو حجبته أسباب السحاب، يظل يدفئنا وينير لنا الطريق دون أن ندري.. الحب يا صلاح فوق المسافات وفوق القوانين وفوق الظروف وفوق كل الحواجز، الحب حالة إنسانية فياضة بالمشاعر الحلوة التي تحلو بها الحياة حتى ولو كانت صعبة وقاسية.

- ولكن الحب يا ياسمين يحتاج أن يعبر عن نفسه بمقاييس الزمن الذي ولد فيه ليكبر وينمو ويثمر عن علاقة رسمية تبارك القلوب المحبة وتبني أسوارا عالية تحمي الحب من الانقضاض عليه من الكارهين والحاقدين والمعارضين. الحب يا ياسمين يحتاج قوة تحميه والإعلان عنه واجب على المحب تجاه الحبيب وإلا صار الحب مجرد مشاعر كسيحة غير قادرة على الوصول إلى قلب الحبيب.

- أبدا يا صلاح، اعلن عن حبك عندما تشعر بالحب، فالحب مسئولية على كتف المحب، يحملها طواعية ويتلذذ بحملها ويتباهى بحملها ويتحملها ولو كانت ثقيلة ولو كان ضعيفا، الحب يا صلاح يقوي صاحبه، يقوي المحب والحبيب. لا تتردد أبدا في الإعلان عن حبك، الحب يا صلاح تاج على قلوب المحبين. فلتعلن عن حبك لتكون فارسا نبيلا في ميدان المشاعر.

- ولكن يا ياسمين الخوف كل الخوف من الإعلان عن الحب ثم ينتهي الإعلان دون أن يلفت نظر الحبيب، فيصاب المحب بحالة انكسار ويسيل الحب من قلبه على الأرض في الطرقات فيسيل منه نبع الحياة ويموت من الانكسار. وهذا ما أخاف منه يا ياسمين.

- يا صلاح، فلتعلم أن من تحبه بهذه الصورة يستحق منك أن تعلن له عن حبك ليستمتع به ويقدره ويثمنه بمشاعره وإن لم يتحقق في صورة أي علاقة رسمية، فالحب يطغى على الرسميات. الحب كالجنين يا صلاح، عندما يشاء الله أن يتكون في رحم الأنثى بلقاء ذكرها، لا يشعر به أحد سواهما لأنهما الوحيدان اللذان اشتركا سويا وبحب في تكوين هذا الجنين الذي يكبر رويدا رويدا فيعلن عن نفسه في الوقت المناسب عندما يصل إلى حجم مناسب وعندما يبدأ يتحرك ويشعر ويتنفس. وهكذا الحب يا صلاح يولد جنينا بلقاء الأحبة ثم ينمو ويكبر ويتنفس ليعلن عن نفسه دون حتى إعلان من المحبين.

- كلامك يشجعني كثيرا يا ياسمين، ما أحلى وأعذب كلماتك، كم أنتِ رائعة، حلقة من الوصل أنتِ، ودائرة من الحنان أنتِ، كلماتك تولد أشعة الحب في قلبي لتسافر بعيدا بعيدا لتضيء العالم أجمع فقط لأنها تحب، وفقط لأنها تعشق من تحب. ليت

كلماتـك يـا ياسـمين هـي أبجديـة كل اللغـات، ليـت أنفاسـك هـي هـواء القـارات، كـم هـو العالـم ضئيـل أمـام ضيـاء عينـاكِ.. هـا أنـذا أعلـن عـن حبـي أمامـك كمـا أعلنـت عنـه أمـام نفسـي وأمـام الشـيخ والنسـوة في وجـودك، وأمـام آدم صديقـي الجديـد الـذي قـال مـا قلتيـه وشـجعني علـى الإعـلان عـن حبـي بكل الطـرق وفي كل الطرقـات. كـم كان آدم محقـا وكـم أنـا قـوي الآن، وهـا أنـذا أعلـن عـن حبـي وأضعـه أمانـة بـين يـداكِ يـا أعـز النـاس، فلتبقـى الأمانـة بـين يديـكِ سـالمة ولـك أن ترديهـا إلـيَّ أينمـا أردتِ، أو لتضعيهـا في قلبـك أيضـا أينمـا أحببتِ.

- هنيئـا لـك ياصـلاح بحبـك، فمـن يحـب كل هـذا الحـب ويعبـر عنـه كمـا عبـرت أنـت وبطريقـة عفويـة كاليـوم، مؤكـد هـو صاحـب قلـب كبيـر ومشـاعر رائعـة.. المهـم يـا صـلاح أن تكـون متأكـدا مـن حبـك ومـن مشـاعرك حتـى لا تـؤذي مـن تحـب بعـد فـوات الأوان.

- متأكـد يـا ياسـمين، أنـا قـرأت الكثيـر مـن الروايـات والقصـص والشـعر، وقابلـت الكثيـر ورأيـت كثيـرا مـن المحبـين وكثيـرا مـا تخيلـت نفسـي يومـا مـن المحبـين بـل أنـا الـذي قاتلـت هـذه الفكـرة وأبعدتهـا عـن عقلـي وقلبـي لأن مـا كنـت أبحـث عنـه كان خـارج كانـدليـه ولا أعـرف لـه عنوانـا ولا اسـما ولا ملامحـا، فـكل مـا كنـت أعلـم عنـه هـو حلـو الـكلام وصـدق المشـاعر المزينـة بـتواضع وثقافـة الحـب. وهـا

أنـذا قـد قابلـت الحلـم الـذي كان ينـام ويصحـو معـي ويلازمنـي ـفي سـكون وصمـت. أنـا واثـق مـن حبـي وواثـق مـن مشـاعري وواثـق مـن حـروف كلماتـي. أنـا الآن أعلـن عـن حبـي وكلـي شـرف وكلـي ثقـة وكلـي أمل ـفي حب الحبيب، وأنتِ الحبيب الـذي تركع أمـام حجـرات قلبـه أنامـل وسـواعد وأقـدام مشـاعري.

– طيب قولـي يـا صـلاح مـين «آدم» ومـين كان ورا فكـرة النيولـوك الجديد ده وليـه؟ أنـا شغوفة أعـرف.. واكيـد الحـوار الـذي دار بينكم هيعكس سبب النيولوك الجميل ده.

ابتسـم «صـلاح» ابتسـامة تحمـل لوعـة لإحساسـه أن ياسـمين أرادت أن تغيـر الموضـوع عمـدا، ابتسـامة يغلفهـا العتـاب ولكنـه يعلـم أن ردهـا ليـس بالأمـر الهـين ويحتـاج تفكيـرا ودبلوماسـية خاصـة إذا كانـت تفكـر فيـه كصديـق وليـس كحبيـب.

شـعر «صـلاح» أنـه تسـرع جـدا ـفي تعبيـره عـن حبـه واعترافـه أمامهـا وأمـام الشـيخ وأمـام النسـوة بحبـه لهـا، كان يكفـي اعترافـه لآدم لأنـه يفهـم مـا يـدور بخلـده. شـعر «صـلاح» بالنـدم لأنـه نسـى أو تناسـى أن تكون ياسـمين مرتبطـة، صحيـح أنهـا أخبرتـه أنهـا انفصلت عـن خطيبهـا منـذ الأمـس قبـل الحادثـة، ولكـن كل الاحتمـالات واردة، ثـم أن حبهـا لصـلاح شـيء مـن درب الخيـال بالنسـبة إليـه.

ابتسـم «صـلاح» في نفسـه ولكـن هـذه المرة كانـت ابتسـامته مغلفة بثقـة كبيـرة وعليـاء وترفـع فيكفـي أنـه اعتـرف بحبـه لياسـمين علـى الرغـم مـن كونـه يعلـم الفـارق الكبيـر بينـه وبينهـا في كل شـيء فهـو لـم يخـش حبـه بـل أعلنـه رغـم هـذا الفـارق ويكفيـه شـرفا إعلانـه عـن حبـه، فالإعـلان عـن الحـب -كمـا قـال آدم- نصـف الرجولـة.

-إيـه ياعـم صـلاح، فيـه إيـه، سـرحت في ايـه، هـو أنـا كل مـا أسـألك علـى حاجـة تسـرح منـي. ليـه يـا صديقـي العزيـز.

- أبـدا يـا صديقتـي العزيـزة! كنـت أفكـر في سـؤالك عـن النيولـوك الجديـد، لأنـه واضـح أن النيولـوك هـذا آثـار فضـول كل مـن رآنـي حتـى آدم وحتـى أنـا شـخصيا وبالطبـع أنـتِ. أشـعر أنـي في حيـرة مـن أمـري، هـل فعـلا كان يجب علـيَّ أن أخـوض هـذا التجربـة كمـا نصحنـي آدم لأجـرب شـيئا جديـدا وخبـرة جديـدة أسـتطيع مـن خلالهـا أن أحكـم علـى الأمـور، أم كان يجـب علـيَّ ألا أفعـل وأُبقـي علـى هيئتـي التـي اعتـاد عليهـا النـاس وتتناسـب مـع عملـي ووضعـي. أنـا فعـلا في حيـرة ولكـن مـا يعضدنـي أن معظـم مـن رآنـي أثنـوا علـى التغييـر في حـد ذاتـه، وأنـي مـا زلـت أحمـل تحـت هـذه الهيئـة صـلاح الـذي عرفـه كل النـاس، وحتـى لـو حصـل تغييـر فسـوف يكـون للأفضـل، وإن لـم يحـدث فيكفـي فلسـفة التغييـر طالمـا أقـدر عليهـا. فمـا أجمـل مـن العمـل بمظاهـر تناسـب كل النـاس وتسـعد جوهـر النفس.

- فعلا يا صلاح فلسفة رائعة وتنطبق عليك وعلينا جميعا، التغيير في حد ذاته وسيلة وليس غاية، وسيلة لغاية كبرى وهي إسعاد النفس، وتحدٍ أكبر وهو إرضاء الناس. و كما أخبرتك من قبل ليس لذلك علاقة بالماديات طالما تستطيع ماديا على التغيير والذي من الممكن أن يكون في أبسط صورة. وما قمت به يا صلاح سواء بدافع منك أو من صديقك آدم هو نجاح للشخصية الإنسانية في أرقى صورها خاصة لو هذا التغيير مقصود ومرتب لهدف نبيل، وهذا مافعلته أنت يا صديقي العزيز، وأنا فخورة بما فعلت وسوف أسير على درب التغيير أيضا لهدف نبيل.. لقد تعلمت منك يا صلاح ومن أهل كاندليه في خلال يومين ما لم أتعلمه طوال سنين، ولكن الفارق بينك وبين باقي أهل كاندليه أنك طموح ومثقف ومجتهد ولديك أسلوب متميز في الحياة. فلا تكن أبدا مشتت الفكر لأنك تسير على الدرب الصحيح، فمن يفهم نفسه جيدا يفهم الآخرين بلا عناء. و يا سيدي أنا فعلا فرحانة بالنيولوك صدقني علشان كده سألتك. قولِّي بقى إيه حكاية آدم دي؟

ابتسم «صلاح» بغيظ مكتوم: إنتِ بقى إيه حكاية آدم معاكِ؟! ليه مُصرة تعرفي؟! مش غريبة شوية!

- غريبة ليه بقى، ده انت اللي قولت لي إنه كان معاك وهو اللي نصح بالنيولوك بالرغم من إنك أكيد اترددت، وبعدين احنا هانغير ولا إيه. قالتها ياسمين بدلع أنثوي فيه دلال أُوهم به صلاح أنها تهتم بأمر حبه.

- آدم يا ستي مهندس ديكور، شاب ذو أدب جم وطموح عملي كبير وله رؤية واضحة في الحياة وحضور اجتماعي ورغبة في مساعدة الآخرين. تعرفنا على القهوة التي جلست عليها لأستريح وذلك على موقف كاد يدفعني إلى الدخول في معركة مع نادل القهوة. تحدثنا سويا ودار حوار رائع كان مفاده أن حب الرجل نصف رجولته وأن الحياة تستحق التغيير والمغامرة وأن من نحبهم في الحياة هم الأولى بأن نغامر من أجلهم وأن نكون على أتم الاستعداد لكي نغادر حياتهم بلطف إذا كانت المغادرة فيها سعادتهم.. نصحني آدم بتغيير مظهري حتى لا أضيع وقتي في البحث عن صلاح جديد فبداخل كل منا ألف إنسان وإنسان نستطيع أن نوظف أي منهم لتجديد الحياة تحت إشراف السمات العامة للشخصية التي قد تتطور ولكنها لا تتغير. وفوق كل ذلك وعدني بعمل معه لإعجابه بفلسفتي في الحياة وبصورة الحياة في كانदليه ورغبته في زيارة المكان ليكون محل إلهامه في تصميم ديكوراته الجديدة ليكون متميز ومتفرد بشيء جديد. ووافقت على فكرته في التعاقد في العمل معه وعن قريب.

- هايل يا صلاح، واضح أن الحديث مع الناس بغض النظر عن الزمان والمكان وبعيدا عن الرسميات يجدد الفكر ويحرر العقل من قيوده التي تسيطر وتهيمن عليه دون قصد ودون أن يدري. فعلا الحديث مع الآخر أيا كان الآخر -حتى ولو كانت النفس- يفتح مجرى أنهار الفكر فتجري مياهها لتروي الأرض العطشى إلى أفكار ترويها وتهز باطنها لتلتئم الشقوق فتنبت أفكارا تطرح أشجارا من المشاعر التي تحول النفس الإنسانية من صحراء جرداء إلى واحة خضراء. هذه رؤيتي في الأحاديث الإنسانية والثقافة الاجتماعية شريطة أن يكون وراءها مقصد طيب.

أسند «صلاح» رأسه إلى مسند الكرسي وضم ساعديه على صدره وراح يستمع إلى ياسمين بلذة تملكته ليس من تحليلها المنطقي للأمور فقط، ولكن من تعبيرات عينيها الحانية وهي تتحدث بكلمات تتمنى أن يسجلها صوت وصورة لتبقى معه دليلا للعالم على رقتها وعذوبتها مع أنها لا تحتاج إلى أدلة ولا هو يحتاج إلى تقديم تلك الأدلة: رائعة تحليلاتك يا ياسمين، أزيدي عقلي بكلامك سيدتي.

- ماشي يا عم صلاح، مالك سهمت كده في كلامي، ما أنا يا سيدي هاكمل لأني فعلا حاسة جدا بكل كلمة بقولها. وفعلا يا

صلاح هذا ما حدث لك أنت وآدم بعد حديثكما. فمن ناحية هو قد استفاد من أفكارك في توليد دفعات ديكورية وغير مسبوقة له وكسب شخصا رائعا مثلك ليشاركه طموحه وأفكاره لينفذ مشروعه الأكبر في تجديد ديكورات الحياة ببث الحياة فيها. وأنت أيضا استفدت من أفكاره في الوصول إلى لحظة الاكتشاف الكبرى لنفسك الحقيقية والتي كنت تبحث عنها ولكن بصمت سواء في طبيعة العمل أو النيولوك المظهري أو الاجتماعي أو الوظيفي أو الرومانسي مع بقاء أحلى ما فيك يزين كل هذه المظهريات بمزهريات من الثقة بالنفس وحب الناس. وما حدث معك ومع آدم صَحْبَك حدث لي أيضا كما ترى، فبعد أحاديثي معك ومع سيدات الحي ومع الشيخ منذ الأمس وحتى هذه اللحظة التي نتبادل فيها الحديث بدون ترتيب تفجرت لديَّ ليس فقط أفكار ورؤى جديدة للحياة واجتماعيات الناس -مع أن هذا تخصصي الدقيق في الجامعة- ولكن تفجرت داخلي أيضا مشاعر إنسانية رقيقة عاقلة تارة، وشقية تارة أخرى، وطفولية في بعض الأحيان، ورومانسية حالمة لأول مرة اكتشفها في نفسي التي كانت تهوى حتى أمس التعلق بالأشياء وليس بقيمة وحلاوة الأشياء. هكذا يكون تأثير الحديث بين الأشخاص الجميلة والمتحابة والداعمة لتجديد الذات وليس جلدها، الذات يا صلاح إذا تجددت في صدق وحب

تجدد كل شيء حولها ولو جماد، الذات هي محور الكون، وهي محرك قلوب وعقول الآخرين لتفجير الأفضل أو الأسوأ بداخلنا.

- ياه يا ياسمين ده انتِ طلعتي فيلسوفة كبيرة، ده أنا كنت متخيل إن أسئلتك الكتيرة لي نتيجة شغف للمعرفة ولكني اكتشفت الآن أنها مقصودة حتى تمتلكين بين يديكِ الخيوط التي تستطيعين بها تحليل المواقف وإظهار الحكمة منها وإبراز أحلى ما فيها ولو جهلها أصحابها. كم هي رائعة طريقة تفكيرك وتعقبك للأحداث بحكمة وأناقة ولياقة ولباقة وابتسامات مغلفة بروحك الطيبة التي حولت هذه العباية البسيطة التي ترتديها إلى روب مرصع بأحلى المشاعر وأرقاها. كم كنت أتمنى أن أسجل هذه اللحظات الرائعة التي لا يجود بها الزمان علينا كثيرا. ما أحلى كلامك سيدتي.

ضحكت «ياسمين» ضحكة طفوليه سكنتها براءة قلوب العالم أجمع: شفت بقى إنت خلتني أنسى نفسي وانطلق زي الصاروخ في السماء بكل طاقته، ربنا يستر بقى واقدر أجدد طاقتي علشان ماقعش على الأرض بعد كل هذا الانطلاق. وبعدين يا سيدي ما تسجل اللحظات بكلماتك الجميلة، اجعل من «كلمة» كاميرا تصوير، ومن كل «جملة» شاشة عرض كبيرة، إنت كتاباتك رائعة يا صلاح، اكتب كل يوم ولا تتوقف أبدا عن الكتابة، إنت ليس لديك ثروة لغوية جميلة فحسب ولكن أيضا قدرة رائعة على تصوير ما

تشعر به وهذه هدية من الله لك فلا تخبئها بل أظهرها للناس..
وأنا يا سيدي واحدة من الناس.

- حاضر يا ياسمين أوعدك فعلا بأن أكتب كل يوم وسوف أبدأ أولى كتاباتي عن قصتي معكِ التي بدأت هنا في كاندليه والتي لا أعلم كيف وأين ومتى تنتهي ولكني سوف أنهيها بخيالاتي لو خانني واقعي. وسوف يكون عنوان قصتي هذه «كاندليه».

- رائع يا صلاح وأنا سوف أقرأ لك يوميا لتكون جملك التي أتلقاها منك صباح كل يوم هي جِمالي التي أعبر بها صحراء الحياة إلى واحتها الوارفة. اكتب ولا تتوقف عن الكتابة، فالكلمات هي بصمة أرواح الإنسانية، وأنت بصمتك رائعة حقا.

- وأنتِ يا ياسمين بسمتك رائعة، بسمتك هي الحياة..

ممكن بقى نتصل بوالدك بعد هذا الحديث العذب الذي أعتبره وثيقة شرف وتعاون بيننا، بين القلب الطيب والعقل الشارد، بين كاندليه وأرق المشاعر..

- أوك يا صلاح، ولكن قبل ما اتصل بوالدي هاسألك آخر سؤال كبير النهاردة أو من حتى امبارح، ما هو الحب من وجهة نظرك وكيف يحب المحب وكيف يرى المحب الحبيب؟؟

- يا ياسمين الإجابة على كل سؤال من هذه الأسئلة تحتاج إلى مؤلف كبير. ولكن سوف أجاوب على قدر ما تسمح به اللحظة والزمان والمكان.. الحب حالة من فوضى المشاعر التي تتولد مرة واحدة من أمواج هادرة من الإعجاب بالحبيب دون أن يدري بماذا ولماذا، موجات تعلوا ترددتها فوق دقات القلوب ونبضاتها فيهتز القلب لينبض بأحلى ما فيه وسط هيجان المشاعر وثورتها في الإعلان عن حبها للحبيب. وتفور المشاعر وتحاول أن تتحدث عن نفسها وتحاول، ولكن يمنعها جهلها بقواعد الحب وخجلها من الحبيب وخوفها من ردود الأفعال على المحب.. وهكذا تبقى مشاعر الحب دوارة في النفس لا تبرحها فتهدأ ثورتها رويدا رويدا حتى تتعرف على معالم الحب وملامح الحبيب وقدرات المحب. حينئذ تتحول مشاعر الحب من ثورة إعجاب إلى ثروة من الحب الذي يرى الحب في صوت الحبيب وفي نظراته وفي كلماته وخطواته وأفكاره وهمساته. حينئذ يثق المحب في حبه ويجري وراء الحبيب ليعلن عن حبه بكل الوسائل على أمل الوصال منه بهمسة أو لمسة. هذا هو الحب الحقيقي الذي عندما يتولد لا يدري صاحبه لماذا وعندما ينمو ويكبر تتكشف له أسباب الحب. الحب ليس كلمات منظمة أو مبعثرة، الحب أفعال ماض وحاضر وآت، الحب لغة معنوية أبجدياتها تكتبها أفعال المحبين.

ابتسمت «ياسمين» وأمالت رأسها على مقعد السيارة، فبدت كملاك ينتظر لحظة هبوطه من السماء ليبارك أرضا مقدسة، وقالت بهدوء مملوء بالرومانسية الهادئة التي ألهبت مشاعر صلاح: إجابة دبلوماسية يا صلاح وأفهم ما ترنو إليه. طيب، ماذا عن سؤالي كيف يُحب المحب وكيف يرى الحبيب؟ ممكن يا فيلسوف الحب؟

- أنا لست بفيلسوف يا فندم، أنا مجرد عقل يحاول أن يفهم لوحة من المشاعر رسمها قلبه بكل ألوان الطيف التي خطها الإعجاب بالحبيب. فالمحب يرى الحبيب رمزا للحب ومشكاة تنير طرقاته في الحياة الشائكة فتتحول الأشواك إلى أشواق، يراه قاموسا يستمد منه معاني كلمات الحب ويضيف إليه مفردات جديدة للحب وأفعال حقيقية للحب ليصبح الحبيب مصدرا لكل أفعال المحب. المحب يرى الحبيب نهرا وبحرا وهواء وأرضا وسماء، يرى فيه كل الناس حتى يصبح الحبيب خريطة حياة للمحب، بوصلة اتجاهاتها في قلب المحب، وسهمها دائما يشير إلى الحبيب. المحب يرى الحبيب في كل زمان ومكان، حتى يصبح الحبيب عيونا يرى بها المحب، وحتى يصبح المحب والحبيب سواء. هكذا أرى أنا الحبيب، أراه جملة اسمية هو اسمها وأنا خبرها، أراه جملة فعلية هو فاعلها وأنا مفعولها، أراه صفة لكل الصفات وحالا لكل الأحوال، أراه في أبجديات العالم. هكذا أرى الحبيب.

وبرقرقة في صوتها ولمعة في عينيها وبحة في صوتها نظرت «ياسمين» إلى صلاح وهو هائم في أبجديات حبه، سارح في عيون ياسمين، تزين عينية لمعة تسكن وجنتيه فرحة: يا سيدي ياسيدي، وتقولي مش فيلسوف، ده انت أصبحت أبو الفلاسفة المعاصرين. واستمرت في مداعبتها لصلاح: ردودك يا ابو صلاح أكبر بكتير من سؤالي المتواضع، أنا قلتلك لازم تكتب ويجب ألا تتوقف عن الكتابة لتغير العالم بكتابتك، فيكفي أنها تخرج من قلب عاشق وعقل مفكر من كاندليه. طيب جاوب بقى على آخر جزء من السؤال كيف يحب المحب الحبيب؟ ثم أردفت بضحكة تحمل دلال المحبين: وكده يا سيدي أكون خلصت أسئلتي أحسن زمانك عايز تضربني.

- يا فندم أسئلتك لها الفضل على كلماتي، أسئلتك تسكنها حروف مفرداتي، أسئلتك هي مصدر إلهامي، أسئلتك هي روح أفكاري، فإن كنتِ تريديني فعلا أن أكتب وألا أتوقف عن الكتابة فعليكِ أنتِ أيضا أن تسألي وألا تتوقفي عن سؤالي حتى لا تنضب كلماتي.

- خلاص يا سيدي، دي أسهل حاجة الأسئلة وأنا عندي آلاف الأسئلة.

- وأنـا سـوف أكتـب آلاف الكتـب ردا علـى أسـئلتك، فقـط امنحينـي رؤوس أسـئلتك سـيدتي.

- طيب جاوب بقى يا سيدي، كيف يحب المحب الحبيب؟

- المحـب يحـب الحبيـب كحـب النهـار للشـمس ليصحـو وينيـر، وكحـب الليـل للنجـوم والقمـر ليسـكن ويضـيء، وكحـب الأرض للمـاء لترتـوي وتنبـت، وكحـب الحدائـق للربيـع لتزهـر وتتزيـن، وكحـب الكتـاب للجُمـل ليتكلـم ويسـجل المسـتحيل. المحـب يـا ياسـمين يحـب الحبيـب بـلا كيفيـة ولا سـببية، لأن عنـد اكتمـال الحـب يصبـح المحـب والحبيـب سـواء، فتصيـر نفـس المحـب والحبيـب واحـدة، تتنفـس هـواء واحـدا، هكـذا أرى كيـف أحـب أنـا الحبيـب.

- تعبيراتـك رائعـة فعـلا يـا صـلاح، حقيقـي اسـتمتعت بـكل حـرف وكل كلمـة وكل عبـارة وكل جملـة فيهـا ليتنـي سـجلت كلامـك لأنشـره في كل المحافـل ليتعلـم منـه النـاس كيـف يكـون الحـب وكيـف تتولـد المشـاعر وكيـف تنمـو وتكبـر وتنضـج، وكيـف تعبـر عـن نفسـها حتـى تصيـر حبـا أشـجاره وارفـة تظلـل سـماء المحبـين، هنيئـا لمـن تحبهـا يـا صـلاح.

- سـألتيني يـا ياسـمين كل أسـئلتك وأحسسـتِ أنـي أحـب ولكـن لمـاذا لـم تسـأليني مـن أحـب، لمـاذا؟!!

- أبعد كل هذه الأسئلة مني، وكل تلك الإجابات منك ياصلاح ولم تدرك لماذا لم أسألك هذا السؤال؟!! لن أسألك يا صديقي ولن تسألني من أحب، فأسئلتي نصف حبي وإجاباتك كل الحب.

لم يصدق «صلاح» قلبه ولا عينيه ولا عقله ولا نبضات قلبه التي هاجت فجأة عندما وقع عليها صدى تلك الكلمات التي تحوي في حروفها كل قواميس لغات العالم أجمع «أسألتي نصف حبي وإجاباتك كل الحب». اغرورقت عينا صلاح من فرحة لم يحسبها ولم يتخيلها، وشعر وكأنه محلق في السماء السابعة والنجوم ترقص حواليه والقمر يغني أمامه والشمس تحمل ياسمين على طرف أشعتها بجانبه. هام «صلاح» وهام وهام في ملكوت كلمات ياسمين، وشعر كأنه مخدر بكلماتها التي دغدغت مشاعره ولم يفق لنفسه ومن دهشة صمته إلا وأنامل ياسمين تتلمس أنامله لتعلن عن يوم جديد لميلاد صلاح كاندليه.

- ياسمين، ليت لي ألف قلب وقلب لأحبك أكثر، وليت لي ألف عقل وعقل لأفكر فيكِ أكثر، وليت لي ألف روح وروح لأحيا طوال العمر أحبك..

وبأناملها الرقيقة لامست «ياسمين» شفاه صلاح: أعلم يا حبيبي، أعلم وليتني ألف حواء وحواء لأحبك أكثر، وليتني ألف

ضلـع وضلـع ليخلقنـي ربـي ألـف مـرة ومـرة لأحبـك كل مـرة مـن جديـد..

- ما أروعك في ثوب الحب يا ياسمين، و ما أجملك!

ابتسـمت «ياسـمين» في حـب: وأنـت يـا صـلاح مـن نسـج وغـزل وفصـل و أخـاط ثـوب حبـي.



الفصل السادس عشر

«ولكن ما يحزنني هو لماذا لا نعطي للقوانين والثوابت استثناءات، فكما نؤمن بالثوابت يجب أن نؤمن أيضا -ودون تردد- بالاستثناءات».

- ألو بابا، أنا ياسمين، وحشني جدا يا بابا، أنا بخير ماتقلقش عليا.

في لهفة على ياسمين لم يشعر بها من قبل، أتى صوت «شوقي» بك على التليفون كالطفل الصغير الذي وجد ضالته: إزيك حبيبتي.. دا أنا قلبت عليكِ الدنيا.. أنا وماما كنا خلاص هانتجنن. إنتِ فين دلوقتي ومع مين، في حد اسمه صلاح اتصل عليّ وبيقول إنك معاه. ده صحيح، إنتِ بخير؟؟؟

- أيوة يا بابا أنا بخير وبقيت زي الفل، أنا كنت عملت حادثة بالعربية بس دلوقتي تمام، هابقى أحكيلك على كل حاجة لما آجي كمان شوية. أنا مع صلاح وهو هايجيني بعربيتي، هو بيعرف يسوق كويس.

- تيجي إيه يا ياسمين!! أنا اللي هاجي حالا آخدك بنفسي، صلاح مين وبتاع مين!! ده أنا قلقان عليكِ منه، المنطقة اللي انتِ

فيهـا دي يـا ياسـمين خطـر عليـكِ، لازم آجـي حـالا، قوليلـي فـين بالظبـط؟

- يابابـا لا خطـر ولا حاجـة، النـاس طيبـين وسـاعدوني ووقفـوا جنبـي خاصـة صـلاح اللـي عمـل المسـتحيل لمسـاعدتي، هـو شـاب ممتـاز وهـا عرفـك عليـه. وبعديـن تيجـي إزاي لوحـدك هنـا طالمـا النـاس دول خطـر. خليـك يابابـا وأنـا جايـة.

- مـش ممكـن يـا ياسـمين، لازم آجـي بنفسـي وعلـى فكـرة أنـا أعـرف نـاس في المنطقـة دي وطلبـت منهـم يـدوروا عليـكِ. بـس ماتصلـوش بـيَّ لسـة. بـس خـلاص، الحمـد لله إنـك بخيـر، كنـوز الدنيـا فـداكِ يـا ياسـمين.

- أنـا عرفـت يابابـا، وبالأمـارة اسـمه المعلـم محمـود، وهـو جـه فعـلا عنـدي بـس سـأل علـى داليـــــا وأنـا مارضيتـش أقولـه لأنـي بصراحـة مارتحتـش ليـه وكنـت مـش متأكـدة هـو تبـع مـين بـس دلوقتـي اتأكـدت.

- أيـوه فعـلا، انـا اديتـه اسـم داليـــــــــا ونسـيت اقولـه علـى ياسـمين، عمومـا الحمـد لله.

- خـلاص يابابـا، شـوية وهاجيلـك، دا أنـا حتـى قـدام الجامـع في عربيتـي ومعايـا صـلاح بعـد مـا صليـت في الجامـع وعلشـان تطمـن أكثـر معـاك صـلاح أهـه كلمـه.

- يـا بنتـي طولـي بالـك، تصلّـي هنـاك إزاي بـس وانـتِ ماتعرفيش النـاس دول، دول فيهـم نـاس وش أجـرام ونـاس إرهـاب. معايـا يـا ياسـمين ولا لأ؟!!

- لأ يا فنـدم، أنـا صـلاح يـا شـوقي بيـه، أرجـوك تهـدى، ياسـمين هـانم كانـت في عنينـا وعملنـا كل اللـي نقـدر عليـه أنـا ونـاس الحـي. حـالا هاجيبهـا لحـد عنـد حضرتـك علشـان تتأكـد مـن شـخصيتي واكتـب لـك تقريـر كمـان إنهـا كانـت في أمانتـي مـن أول الحادثـة لحـد مـا فاقـت وقـدرت تتكلـم، علشـان أعـرف منهـا رقمـك واتصـل عليـك.

- طيب اديني عنوان البيت، ويا ترى تعرف المعلم محمود؟

- طبعـا أعرفـه ولكـن ليسـت لـي صلـة كبيـرة بيـه، ولـو تحـب حضرتـك ممكـن أروحلـه حـالا علشـان تكلمـه بنفسـك؟

- أوك، ياريـت، وأرجـوا أن تعذرنـي، إنـت مـا تعرفـش ياسـمين غاليـة علـيّ أنـا ومامتهـا قـد إيـه.

- عـارف يـا فنـدم، وهـي كمـان غاليـة علينـا جـدا، ياسـمين هـانم تسـتاهل مـن يحافـظ عليهـا ويضعهـا في عيونـه. حـالا هـاروح أشـوف المعلـم محمـود وهاكلـم سـعادتك مـن هنـاك. وتحـت أي ظـروف أنـا جـاي أسـوق العربيـة لياسـمين هـانم لحـد عندكـم.

- أرجـوك أنـا لازم آجـي وأشـوف كانـت فـين بنفسـي مـن ليلـة امبـارح. اوصفلـي المكان وخلّـي المعلم محمـود معـاك علـى أول المنطقة علشـان مـا ادخلـش لوحدي.

- حاضـر يـا فنـدم، ادينـي نصـف سـاعة وهـاتصل عليـك تانـي.. مع السـلامة، وياسـمين مع سـعادتك.

- أهـلا بابـي، إنـت ليـه مـش مصدقنـي إنـي فعـلا في إيـد أمينـة، لـولا صـلاح يـا بابـا أنـا كنـت اتبهدلـت وممكـن كنـت مـت كمـان، هـو أنقذنـي، وممنونـة ليـه جـدا، أرجـوك تشـكره يـا بابـا لأنـه يسـتحق كل تقديـر.

- خـلاص يـا ياسـمين لمـا آجـي هـاشـكره بنفسـي، بـس يـلا روحـي معـاه عنـد محمـود علشـان أكـون مطمّـن أكتـر.

وبسـبب انفعـال «شـوقي» بـك كان صوتـه عاليـا إلـى درجـة تجعـل مـن السـهل علـى صـلاح أن يسـمع كلامـه بوضـوح. ولكنـه تفهـم مخـاوف أبيهـا وإن كانـت قـد أثـرت في نفسـه إلـى حـد كبيـر.

- مالـك يـا صـلاح. سـرحت منـي تانـي في إيـه؟ وبضحكـة هادئـة بهـا هـزار متعمـد: ولا انـت خفـت منـه ولا إيـه؟ ده بابـا يابنـي طيـب جـدا. وبضحكـة تلقائيـة وبنظـرة محملقـة في عينيـه: وبعدين ماتقلقش يا صديقـي العزيز.

نظر إليها «صلاح» بنبرات تملؤها القلق وعدم الراحة: صديقك العزيز واحنا لسه ماخرجناش من كاندليه يا ياسمين.. إمال بقى لما نكون عندكم ها تناديني بإيه!

- يا صلاح أيوة ولازم تتعود على كده، إنت حبيبي ولكن قدام الناس صديقي حتى نكسب ود الناس وخاصة بابا وماما، أرجوك تفهمني، إنت عارف تفكير الأب والأم ومعتقداتهم. فلازم أعمل خطة علشان ننجح، ثقافة وذكاء اجتماعي يعني يا سيدي. إنت مخك أكبر من الكلام ده!

وبضحكة كلها ثقة في ياسمين وحبها: أوك صديقتي العزيزة ياسمين هانم.

- لأ ياسيدي، أنا مش هانم أنا ياسمين بس وداليا كمان، اختار انت بقى الاسم إللي تحبه وناديني بيه. إيه يا صلاح مالك كده باصص للسما وسرحت تاني؟!

- أنا فعلا سرحت في أمور كثيرة، أمور تتعلق بالإنسان والإنسانية، وبالتعليم وبالمال والطبقية، وهذا ليس عيب في الإنسان، ولكن هي واقع الحياة الذي يجب أن نتعامل معه، فلقد خُلقنا على هذا، خُلقنا على الطبقية سواء النبات أو الحيوان أو الإنسان وحتى السموات الذي بها عرش الله هي الأخرى طبقات

والأرض كذلك. فأنا لا اعتراض لي على الطبقية لأنها ممنهجة ومكتسبة في نفس الوقت لتكامل الإنسانية.

- إذا ماهي المشكلة يا صلاح طالما أنت مؤمن فكريا وعقائديا بذلك، الإيمان بالأفكار يُسهل على الإنسان ليس فقط تقبلها بل التعايش معها وتطويرها إذا أراد. وهذا ما قصدته عندما طلبت منك أن تتقبل مناداتي لك بصديقي أمام الناس حتى نستطيع تطوير فكرهم بتقبل ما نريد ولكن بأفعال تقنعهم إن لم تُرغمهم على ذلك. هذا ما قصدته، وأرجوا ألا يكون ضايقك طلبي إلى هذا الحد. أنت تعلم أني أؤمن بك كشخص وكحبيب.

- لا، لأ طبعا لم يضايقني طلبك.. فأنا أفهم قصدك تماما وتقبلت الموقف، ولكن ما يحزنني هو لماذا لا نعطي للقوانين والثوابت استثناءات! فكما نؤمن بالثوابت يجب أن نؤمن أيضا ودون تردد بالاستثناءات إذا وجدت أسباب منطقية تبررها، أليس هذا عدل وإنصاف في تقييم الأمور، أليس هذا مرونة في الفكر الإنساني الذي خلق ليكون مرنا. القاعدة ألا نخطئ ولا نذنب ولكننا إذا أخطأنا أو أذنبنا وهو الاستثناء يغفر الله لنا كما وعد في كتبه السماوية وأمر عباده بالمثل. لماذا نطبق قواعد الثوابت وننسى حدوث الاستثناءات مع أننا نراها حوالينا في الصحة والمرض في كل مكان. هذا ما سرحت فيه وهمني، ألا تتفقين معي في هذا الفكر يا ياسمين؟

- بالطبع أتفق تماما بل أنفذه على أرض الواقع هنا في كانდليه، معك أنت يا صلاح، فأنت الاستثناء الذي يساوي القاعدة ولذلك أحببتك، بل أنت أرقى وأنقى من القاعدة ولذلك أنا مؤمنة بك. ولكن ليس كل الناس تأتي لهم فرصة ليعيشوا مثلما أنا عشت معك اليومين الماضيين لكي يحكموا على الاستثناءات ويؤمنوا بها مثل القاعدة. ما حدث بيننا يا صلاح قَدَرِي لا أنا ولا أنت فكرنا فيه ولا رتبنا له على الإطلاق، بالعكس سبب الحادثة أني كنت أفكر في الاستثناء ولماذا أصبحت ثوابتا! فالقدريات نؤمن بها بسهولة فعندما يحدث ما لم نتوقعه على الإطلاق في الزمان والمكان يجب أن ننظر إليه بحكمة وتمهل، ببساطة لأنه مرتب من الله، فلا يمكن أن يمر علينا هكذا بدون التفكر والتدبر فيه، وهذا ما حدث معي ومعك، فلم أقل لك أحبك بسهولة ولا أنت أيضا، بل بعد تفكير ونقاش واقتناع بالاستثناءات وليس الثوابت.

- معك حق يا ياسمين تماما فيما تقوليه وهو يعضد فكرتي في التعامل مع الثوابت والاستثناءات مع الفارق أني كنت أتمنى أن الكل يعتبر هذا الفكر والمنطق عند التعامل مع الاستثناءات حتى لا يرفضها بدون تفكير وتضييع الفرص على أصحابها. وبضحكة متعمدة مال «صلاح» على ياسمين في مداعبة: وطبعا كل ده علشان أفوز بيكِ من أبيكِ دون عناء.

- شوف يا صلاح، أبي لن يرغمني على ترك شيء أريده أو يرغمني على شيء لا أريده، ولكني يجب أن أحترم ثقافات المجتمع وحق من يحبوننا في التعبير عن حبهم بطريقتهم، ثم نثبت لهم بالدليل القاطع مع الوقت أن أحيانا تتساوى الاستثناءات الثوابت بل من الممكن أن تتفوق عليها. وهذا ما أعول عليه في علاقتنا ومتأكدة من النواتج فلا تقلق، أنسيت أن تخصصي يا أستاذ الثقافة الاجتماعية، أنسيت؟

- لا لا طبعا وأنا أقدر، ولكن أنا أحببت أناقش معك هذا الفكر حتى أفجر لكِ قنبلة من العيار الثقيل، احتفظت بها في صدري حتى لا أفجرها إلا في الوقت المناسب تماما، وها قد حان وقت تفجيرها بين يديكِ، ولكنها قنبلة سلمية خالية من البارود بل مملوءة بخبر لا بد أن يكون سارا لكِ وقد يساعد في اختصار بعض الأمور. قنبلة لم أُخبر بها أي أحد سوى شيخ المسجد ومنذ عام واحد تقريبا.

- قلقتني يا صلاح، خير إيه القنبلة دي؟! وليه كنت محتفظ بها في صدرك! ولماذا حكيت لإمام المسجد فقط؟! قول بقى قلقتني.. يا ترى سبع ولا ضبع، دا انت طلعت حكاية. بس شوف قبل ما تفجر القنبلة دي، قولي لو كان عندك قنابل تانية لسه محتفظ بيها، أنا مش حمل قنابل يا سيدي.

- هاهاها ماتقلقيش يا ستي، هي قنبلة واحدة بس طبعا لما تنفجر هايطلع منها شوية شظايا كده صغيرين، بس برضه ماتخافيش، دي شكة صغيرة خالص زي شكة الدبوس. واستمر «صلاح» في ضحكته..

- يوووه بقى، قول مش قادرة أصبر، قول قبل ما بابا ييجي أو المعلم محمود.

- حاضر يا ستي، القنبلة هي.. وحكى «صلاح» قصته مع «عزيز» بك و«جيهان» هانم بالتفصيل والتي كان لها بالغ الأثر في اكتساب صلاح خبرات ومعارف لم يكن يحلم بها ليخرج منه صلاح آخر غاب عن كاندليه حتى عاد قبل نهاية المطاف إلى كاندليه مرة أخرى.

●●●

الفصل السابع العشر

«ويجري النهر ليقابل البحر هناك في نهاية رحلته ليصب حمولته من هموم الناس في المياه المالحة فتذوب عذوبته بعيدا عن أعين الناس».

ضاقت الدنيا في عيني «عزيز» فلم تعد عيناه ترى هذا الكون الممتد أمامه وفوقه وتحته، اختزلت عيناه هذا الكون بألوانه الزاهية في مساحة لا تزيد عن أبعاد وجهه ولم يعد يرى الأشياء بألوانها الطبيعية بل اتحدت الألون لديه وتجمعت في اللون الرمادي والأسود وكأن عينيه يمثلان أول إصدار من كاميرا أبيض وأسود. لم يعد يرى العالم بأبعاده الثلاثية و جمال الأشياء في استقاماتها وانحناءاتها.

وقف «عزيز» أمام النهر فلم يعد يرى تيارات مياهه تعلوا وتهبط في رقة وعذوبة حاملة على سطحها أحلام العشاق والفرسان وطالبي الحياة، أحلام كان يراها وكأنها وقعت من قلوب الحالمين وعقولهم فحملتها مياه النهر في سعادة بالغة وتركتها تسبح فوق سطح أمواج تلهوا بكبرياء آمالها. لم يعد يرى «عزيز» كل ذلك في النهر، بل يراه مجرد كتلة من المياه المتحركة أو لُجة آسنة من زَبد أبيض يعلو طين يابس التصقت به آماله وطموحاته فتعفنت

ونتنت رائحتها التي كانت تملأ عليه حياته ليستغنى بها عن تلبد مشاعر الناس.

تحول «عزيز» من رمز الطموح والعلو والاندفاع والشباب إلى الانكسار والخنوع والذبول والاكتئاب في عمره الذي يقاوم نهاية العقد الثالث، ولا يريد أن يتركه أبدا قبل أن تتحقق أحلامه. وقف «عزيز» أمام النهر متخاذلا وهو الذي كان يقف هنا على شاطئه حتى أمس يقامره بأحلامه ويغازله برجولته المتقده وفحولة شبابه وكأن مياه النهر هي أنثاه التي تمرد على حبها وإخلاصها بكل ما يمتلك من قوة النظرات وعبير الحكايات ورمزية الذكريات وعواطفه المتقدة، النهر أنثاه التي يراها عروقا تجري في يديه. وقف «عزيز» أمام النهر التي تجري مياهه أمامه غير عابئ بتحولاته النفسية و ما جرى له منذ أمس.

وقف «عزيز» في شرفة العوامة باحثا عن نسائم الهواء القادمة من النيل -بعد أن قَبَّلَت رذاذ تيارات المياه المتراقصة في مكانها- تلاطف وجنتيه كأم تدلل طفلها الوحيد. ولكن لم يشعر عزيز بلطف النسمات كما كان يشعر بها من قبل وكأن نهايات أعصاب الإحساس هجرت بشرة وجهه الناعم الرقيق.

ألقـى «عزيـز» نظـرة عميقـة ﴿ مـيـاه النيـل حتـى كاد أن يـرى قاعه مـن صفـاء مياهـه، فحسـد النهـر علـى صفائه وانجذاب النـاس إليه، وحسـده علـى انطلاقه وعلـى قدرته علـى تحمل البشـر عندما يعتلوا سـطحه أو يلقـوا فيـه بمخلفاتهـم أو يبعثـروا مياهـه الصامتـه بالعوم أو بالقـوارب أو بمراكبهـم كبيـرة كانـت أم صغيـرة. يـا لـك مـن بطـل يـا نيـل تتحمـل كل هـذه الأحمـال ولا تنـوء، يـا ليتنـي نهـر مثلـك أو أحـد روافـدك أو تيـار مـن تيـارات مياهـك أو حتـى قطـرة تـذوب في أعماقـك فـلا تشـعر بوحـدة وهمـوم الحيـاة وأحزانهـا التـي تتولـد في القلـب، قلـب يمشـي فـوق الأرض الواقفـة تحـت الأقـدام. و لكنـي لسـت أنـا بنهـر فمـا أنـا إلا مجـرد شـاك بـلا شـكوى أو دليـل.

لـم يأبـه النهـر بعزيـز ولـم تأبـه مياهـه بكلماته واسـتمرت تجـري في طريقهـا بعيـدا عنـه. اشـتد غضـب «عزيـز» علـى نفسـه وعلـى النهـر فأمسـك بحجـر وألقـى بـه وجـه البحـر متمنيـا أن يصيبـه بعاهـة كالتـي أصابتـه أو بجـرح كالـذي أصابـه لعـل البحـر يكتئـب. شـعور عدوانـي أراد بـه «عزيـز» أن ينفـث عنـه الغضـب النائـم في أحشـائه الـذي لـم يجـد مـن يروضـه. ولأن «عزيـز» لا يريـد أن يغضـب أحـداً غيـره ولا يجـرح إنسـانا غيـره، ولذلـك قـذف النهـر بالحجـر لأنـه يعلـم أن مياهـه تحـوي كل مظاهـر الغضـب أيًـا كانـت وهكـذا فعـل.

لـم يتـأوه النهـر كمـا تمنـى عزيـز بـل اهتـز مـاؤه في ابتسـامه عريضـة علـى هيئـة دوامـات دائريـة إمـا هـازئـة مـن إلقـاؤه الحجـر أو متعاطفـه مـع انفعالاتـه غيـر المعلنـه. لـم يعجـب «عزيـز» رد فعـل النهـر فهـو يبحـث عـن شـيء أكبـر، رد فعـل أكبـر، يبحـث عـن بـكاء، عـن جـرح، عـن عويـل، عـن شـكوى ينفـث فيهـا غضبـه الكامـن والمكبـوت والـذي لـو أطلـق لـه العنـان لخـرج منـه كالنـار مـن جـوف التنـين تحـرق مـا عداهـا. أمسـك عزيـز بحجـر أكبـر ثـم جمـع كل قـواه العضليـة ورجـع بذراعـه بزاويـة منفرجـة إلـى الخلـف ثـم قـذف الحجـر بعيـدًا في ميـاه النهـر لعلهـا تتـأوه وتبكـي مـن جـروح عميقـه كالتـي في نفسـه لعلـه يرتـاح.

فـور إلقائـه الحجـر فوجـئ عزيـز بأصـوات بـكاء ونحيـب وشـكوى قادمـه مـن النهـر، تعجـب كيـف للنهـر أن يبكـي مـن إلقـاء الحجـر، أهـو في حلـم أم خيـال أم سـراب. ولكن لـم يكـن سـرابًا بـل واقـع أمـام عينيـه، فقـد ظهـر بـجوار العوامـة التـي يقـف في شـرفتها قـارب صغيـر يقتـرب إليـه وبـه سـيدة مسـنة ومعهـا صبـي وفتـاة. الصبـي يجـدف في الميـاه بـكل طاقتـه والفتـاه تلقـي الشـباك في النهـر والسـيدة تمسـك برأسـها والدمـاء تسـيل مـن جبهتهـا بعـد أن أصابهـا حجـر عزيز.

العوامة هي سكن مؤقت للأغنياء وعزيز منهم وهذا ما تعرفه السيدة العجوز جيدًا، ورغم شدة الألم والجرح العميق لم تشأ السيدة أن تدخل في عراك مع عزيز بك الذي تبدو عليه علامات الثراء فقد يمنعها من المجيء بقارب الصيد هنا مرة أخرى. تمالكت نفسها ولما اقتربت منه لم تزد عن كلمتين: «كده برضه يابيه، دا احنا على باب اللّه.. ابقى خد بالك وانت بتهزر مع زمايلك».

لم يصدق عزيز ما حدث، هل يقول لها أنه لم يكن يمزح مع زملائه بل كان يداعب النهر بحجر ينفث به عن غضبه المكبوت وأحزانه وهمومه التي ترسوا جبالاً في قلبه ولا يستطيع التحرك أو التنفس منها. أيقول لها أنه لم يقصدها أبدا، بل يقصد مياه النهر الواقفه مثل حياته التي وقفت منذ أمس فأراد أن يحركها بحجر بديلاً عن مواجهته لنفسه.

لم يستطيع عزيز إلا أن يُظهر أسفه وسوء تصرفه للسيدة العجوز: «آسف يا أمي على جرحك، لم أقصدك، آسف وياريت تسمحيلي أداوي جرحك الذي ينزف».

– مفيش داعي يا بيه شوية وهيبقى كويس.. أنا هاربطه بالطرحة بتاعتي على ما أروح وأحط عليه بن وشاش.

أصر عزيز أن يداوي جرحها عوضا عن مداواة جرح نفسه العميق. وبعد إصرار من عزيز قبلت السيدة فأشار لها أن ترسو بالقارب على مدخل العوامة لتدخل هي والصبي والفتاة معهما.

تبدو السيده في هيئتها كنخلة هشة قضت عليها رياح العمر فلم يبق إلا جذعها وبعض الجريد الناشف. وبدا الصبي والفتاة كعيدان غضة من الياسمين قطفها أحد العابثين ليشمها ثم رماها في أرض وحلة. عيونهما تشع ذكاءً وطيبة وشفاهم تمتلئ بابتسامات العالم النقي. اتكأت السيدة على كتفي الصبي والفتاة بعد أن ربطا مقدمة القارب بسلم العوامة. لم يكن هناك في العوامة غير عزيز الذي تعود أن يأتي إلى هنا مع أصدقائه ليستمتع بحياة الصخب.

- بس ياريت أعرف اسمك؟ أنا ابنك عزيز دكتور قلب وجراح ودي عوامتي باجي فيها كل أسبوع مع أصحابي ولكن دي أول مرة آجي لوحدي فياريت تكونوا أصحابي النهاردة.

- والنهاردة بس ليه يا ابني نكون أصحاب على طول بس احنا مش قد المقام.

- أبدا يا أمي، أنتم تشرفوني.

- عموما أنا هامشي دلوقتي أنا والولاد علشان نلحق نبيع السمك اللي اصطدته.

- أنا هاشتري كل السمك منكم وناكله سوا كمان بعد ما عمله بإيديا بس قوليلي اسمك إيه.

- أنا يا ابني اسمي عزيزة ودول صلاح وسعدية ولاد بنتي اللي ماتت من شهرين هي وجوزها سوا مرة واحدة في حادثة على الطريق. وصلاح وسعدية بربيهم دلوقتي وبآخد بالي منهم لحد مايكبروا. والحمد لله إن الحجر خبط فيا مش فيهم.

- اسمك رائع يا حاجة عزيزة واسم على مسمى وربنا يقويكِ عليهم ويبارك فيهم.

- الله يسترك يابني ويفرج همومك ويعينك ويسعدك دنيا وآخرة.

تلقى «عزيز» هذا الدعاء كأنه سيمفونية من سيمفونيات بيتهوفن التي تشجيه أو كأنها أم كلثوم في نهج البردة أو عبد الوهاب في النهر الخالد. دعاء جميل في كلمات قليلة ولكنه كممحاه محت بعض أحزانه أو كأنها حقنة مخدرة أو مقويات أنعشت قلبه بعد أن كاد يموت هناك وحيدا غريقا في النهر بعيدا عن عقله. شكرا يا أمي على دعواتك.

بعد ما رأى وسمع «عزيز» المشوار اليومي لهذه الأسرة وصداقتهم مع البحر شعر بالضآلة في نفسه أمام هذه السيدة التي من الواضح

أنها خبطت رأسها في حائط الحياة حتى قشطت الأيام طبقات نضارتها، ثم ألقت الحياة عليها بطبقات أخرى من شظف وجمود وتراب الحياة فجعل ابتسامات شفتيها في وجهها كزهرة برية في أرض شراقي جف ثراها فنبتت عنوة بعد أن وقعت عليها بعض قطرات الندى أو بعد أن تذكرت السماء وأمطرت على وجنتيها بقايا من حبات المياه التي وقعت على شفتي هذه السيدة صدفة وهي تبحث في أرض الحياة عن لقمة عيش هنا و هناك.

لم يستطع «عزيز» أن يتحمل الشعور بضآلة نفسه أكثر من ذلك فلجأ إلى بلكونة العوامة ليخاطب النيل كعادته عندما تضيق به الحياة الناعمة التي ورثها عن والده فجعلته مليونيرا من أعيان البلد، حياة أرضها خصبة تروى بمياه تجري تحت قدميه فتنبت الزهور أشكالا وألوانا كل يوم بين يديه فيقطفها ثم يلقيها على هيئة ابتسامات أو ضحكات كما يحلو له على وجوه من حوله في الحفلات وسهرات المساء التي لا تنتهي كل أسبوع بل أحيانا كل يوم بعوامته التي ورثها أيضا مع أطيان وعمارات ومصانع والده.

وقف «عزيز» في شرفة العوامة، وبصره معلقا بمياه النهر الذي يعرف على عكس عزيز هدفه فيجري بهدوء وثقة رغم ما يحمله على سطحه من أثقال، ورغم ما يلقى في بطنه من هموم وأحزان البشر، يجري ليقابل البحر هناك في نهاية رحلته ليصب

حمولتـه مـن همـوم النـاس في المياه المالحـة فتـذوب عذوبتـه بعيـدا عـن أعـين النـاس.

نظـر عزيـز في المياه ليجـد العديـد مـن القـوارب الصغيـرة السـابحة بمجاديفهـا في المياه متناثـرة هنـا وهنـاك وفي بطنهـا وجـوه تشـبه وجـه عائلـة السـيدة التـي عندمـا ألقـى الحجـر في المياه أبـى إلا أن يصيـب ويجـرح وجههـا بـدلا مـن النهـر، وكأن مـن يتحمـل أوجـاع الحيـاة خُلِق أيضـا ليتحمـل أوجـاع الآخريـن بشـرا كانـوا مثـل عزيـز أو جمـاد مثـل النهـر.

نظـر «عزيـز» إلـى هـذه القـوارب وكأنـه يراهـا لأول مـرة تركـض أمـام عوامتـه.

تعجـب وهـو يحـاور ميـاه النهـر في صمـت، كيـف لـم أر هـذه الأعـداد الهائلـة قبـل اليـوم، كيـف وهـي تأتـي وتـروح يوميـا باحثـة عـن رزق بـين حبـات ميـاه النهـر العميقـة. ولكـن كيـف لـي يـا نهـر أن أرى القـوارب علـى سـطح مياهـك وأنـا أتبختـر داخـل قاربـي الكبيـر، علـى عوامتـي ألهـو فيهـا بريشـة رغـد الحيـاة، وأرسـم بهـا لوحـة السـعادة الزائفـة ولا أرى فيهـا هـذه القـوارب الصغيـرة إلا كديكـور يمـلأ فراغـات لوحتـي حتـى تبـدو طبيعيـة دون أن ألقـي بـالا بطبيعـة القـوارب ومـن فيهـا مـن أنـاس يبحثـون عـن شـظف الحيـاة.

أمسك «عزيز» بسور شرفة العوامة بقبضة يديه، وكأنه يخشى الوقوع في مياه النهر فتلقيه مع باقي هموم البحر الأبيض المتوسط القابع هناك منتظرا مياه النهر. الآن فقط أدرك عزيز لماذا تهيج أمواج هذا البحر ولماذا يتوسط العالم، فما هذا البحر الهائج إلا إناء كبير تُصَب فيه هموم العالم فتلقفها أمواجه الهائجه بين شد وجزر ثم تدغدغها ثم تهضمها ليصير البحر أبيضا نقيا خاليا من الهموم. الآن فقط أدرك عزيز معنى الهموم الحقيقية التي لا يشتكي كثير من شدتها، وابتلاء أصحابها بها فحملوها على ظهورهم وداخل بطونهم فذابت في دموعهم وتجمدت في قلوبهم حتى أصبحت جزءًا من خلايا الجسد تموت مع موته وفنائه ولذلك يقصدون البحر لعل مياهه تُقبر أوجاع الهموم هذه.

الآن فقط تمنى عزيز أن يخرج خلايا عقله بمغرفة صدأة كالتي رآها يوما بالية في يد جنايني فيلته، يلقي مخه كقطعة أسفنج أمام عينيه على سور شرفة عوامته لينهال عليه ضربا بعصا البيسبول المعلقة هناك على جدار عوامته ليفرم خلايا تفكيره وإحساسه ومشاعره ويفتتها ثم يلقيها في مياه النهر الساكن لتذوب فيه، أو لتتلقفها أفواه الأسماك الجائعة فيحيا بلا عقل بعد أن اكتشف أنه مأوى للتفاهات التي ألقى عليها ثوبا أسودَ باهظ الثمن، فقط ليجعلها تبدو هموما وأحزان.

●●●

الفصل الثامن عشر

«ولكن هو القدر الذي ينسج الأحداث وما علينا إلا أن نخيطها بالطريقة التي نراها سواء نجحنا أو فشلنا في حسن خياطته».

في زحمة أفكاره هذه، أفاق «عزيز» من ثورة انقلابه على نفسه على صوت صلاح وسعدية قائلين: روحت فين يا بيه.. ستي بتسأل عليك لأن بقالك فترة بتبص في المياه ومش بتتحرك. بس العوامة حلوة قوي يابيه، آه لو القارب بتاعنا يكبر ويبقى عوامة زي دي. هو انت عايش هنا فوق المياه يا بيه ولا بتعمل بيها إيه؟

ابتسم «عزيز» وأمسك بيد الأولاد واتجه نحو جدتهم ليطمأنها: أنا مش ساكن هنا يا اولاد.. ولكن بَبَيِّت أحيانا بعد ما نخلص الحفلات والرقص والغناء مع أصدقائي.

- يا بختك يابيه.. ده أنا وستي وأختي بنبيت في القارب كتير لما بنتعب ومابنقدرش نروح بس لما بيكون الجو حلو. وأيام كنا نصحى بالليل على صوت الغنا والموسيقى إللي في العوامات اللي هنا دي، وكنت بسأل جدتي ما تيجي نقرب من العوامة يمكن نعرف ندخلها ونشوف الناس دي بتعمل إيه.

- وجدتك كانت بتقوللك إيه لما تسألها؟

- كانت بتضحك عليّ وتقوللي يابني العوامات دي بيبات فيها السمك الكبير بتاع البحر ولو رحت السمك ده هايكلك.

- هاهاهاها خليتني أضحك مع أن ما ليش نفس. طيب وانت كنت بتصدق كلامها؟

- لأ طبعا ده أنا كنت باقولها طيب يا ريت يكون السمك الكبير هناك علشان أروح اصطاد واحدة ونبيعها بفلوس كثير ونبطل شغل واروح المدرسة كل يوم أنا واختي أو نشتري مركب كبير ونبقى أغنيا زي صحاب العوامة نفسهم.

- احنا لازم نمشي يابيه علشان نكمل رحلة صيدنا النهاردة.

- لكن لسة جبينك مجروح ولازم ترتاحي شوية وتاخدي كبسولات للألم ومضاد حيوي يا ست عزيزة.. تعالي ارتاحي هنا على السرير وأنا هانزل بدالك مع الأولاد.

- إزاي بس يابيه ماينفعش دا شغل ما حدش يعرفه إلا احنا أصحاب الكار وكله بهدلة وعايز خبرة.

- وأنا نفسي أجرب واشتغل بإيدي.. فياريت تديني الفرصة دي وما تقلقيش هاشتغل معاهم كإنك موجودة، أنا شفتكم كتير وانتوا بتصتادوا وعارف بتعملوا إيه.

- بسماينفعش يابيه إنت مقامك عالي ومش محتاج.

- لأ مين قال..؟! أنا محتاج جدا.

- عموما إللي حضرتك شايفه.. بس ياريت أكون معاكم.

- لأ، ياريت ترتاحي هنا لحد ما نرجع.

- طيب يابيه، ربنا معاكم ويرزقكم وترجعوا ليَّ بالسلامة، إذا كان كده خليني أقولك على شوية حاجات لازم تاخد بالك منهم وانت على القارب.

- أيوه كده، قولي وأنا سمعك.

طوق «عزيز» كتفي الأولاد بحنان بالغ وكأنه يتأبط حاضره ومستقبله الذي جاءه يتهادى زخات زخات من السماء على جبين قلبه من سماء أناس بسطاء لا يملكون من متاع الدنيا إلا القناعة والدعاء بالستر والرزق والسلامة.

أمسك «عزيز» بمقدمة القارب ليستقر على صفحة المياه حتى ينقل الأولاد أقدامهم بداخله. أمسك المجاديف وبدأ يضرب سطح الماء بكلتا يديه بخفة، فانطلق القارب كطائر النورس وسط تيارات الماء المندفعة على جوانب القارب تشاهد ما يفعله هذا الغريب.

انطلق القارب وانطلقت معه دقات قلب عزيز تدور في أجواء جسده توسع لصفاء نفسه طرقات عقله الذي كان مغلقا حتى الأمس. شمر عن ساعديه وبدأ يتعامل مع مجاديف القارب كلجام لفرس يمتطيها وهي طائعة كيفما يشاء.

اندهش الأولاد بمهارة عمو «عزيز» في تسيير المركب ودورانه يمينا وشمالا بسرعة وببطء ليفسح لهم ساحة مياه النهر ليلقيا بشباكهم لتخرج من المياه، وبها تتلألأ الأسماك ضاحكة تجاه عيني عمو عزيز.

امتلأت السلة بالسمك، وامتلأت سلة خياشيم قلوب الأولاد بالرضا والسعادة الطاغية بهذا الحصاد من الرزق الوافي. وامتلأت مسام أنفاس عزيز بنسمات الهواء القادمة من كل أركان النهر تبارك كفوف يديه المقاتلة.

أصر «عزيز» أن يحمل السلة المحملة بالسمك الضاحك الذي يسابقه إلى عوامته ليقع بين يدي عزيزة التي لم تنقطع يوما عن القارب ومجاديفه وشباكه. دخل عزيز ومعه الأولاد بهدوء إلى العوامة حتى لا يوقظوا عزيزة النائمة، وحتى لا تستيقظ آلامها الساكنة في جبينها. و عندما دخلوا من الباب على أطراف أصابعهم فوجئ بعزيزة في بهو العوامة في غمرة الحديث مع

«جيهـان» التـي جلسـت بـين يديهـا وركبتيهـا ـ في صدرهـا وكفيهـا علـى وجنتيهـا تسـتمع ـ في صمـت واهتمـام إلـى حديـث عزيـزة وكأنهـا تلميـذة ـ في روضـة الأطفـال.

اندهـش «عزيـز» وتملكـه الغضـب وتعجـب كيـف تأتـي إلـى هنـا مـن أرادت أن تنهـي حياتـه، كيـف تجـرؤ قدماهـا أن تتخطـى أعتـاب بابـه وحياتـه مـرة أخـرى. كل مـا حـدث مـن تحـولات ـ في حياتـه كان بسـببها، هـم «عزيـز» أن يمسـكها كمجـداف ويلقيهـا خـارج العوامـة ولكنـه أهـاب عزيـزة وآثـر أن يصبـر وينتظـر حتـى تنهـي حديثهـا ثـم يتفـرغ لهـا وينهرهـا ويطردهـا مـن حياتـه تمامـا كمـا يفعـل النهـر مـع همومـه.

- أهـلا بيـك يـا عزيـز بيـه، يـا تـرى أخبـار الصيـد والسـمك والبحـر إيـه؟ شـكلكوا جبتـوا سـمك مـع إن معـاك حوريـة البحـر الحلـوة.

- مين هي حورية البحر إللي تقصديها؟!

- جيهـان هـانم يـا عزيـز بيـه إللـي أنـا قاعـده قدامهـا، سـت زي القمـر، جمـال وأدب ومـال، ربنـا يهنيكـوا ويخليكـوا لبعـض.

- عموما بعدين نتكلم يا ست عزيزة ـ في الموضوع ده.

- لا خلاص يا بيه أنا هاخد الأولاد ونمشي ونسيبك مع جيهان هانم تتهنوا سوا.

- لأ طبعا مش ممكن، أنا عامل حسابي أجهز السمك بنفسي للغدا سوا، دا احنا اصطادنا كتير زي ما انتِ شايفة في السلال!

- والنبي يا سيتو نقعد شويه مع عزيز بيه، احنا حابناه قوي، نقعد شوية ونمشي آخر النهار.

- إيه رأيك يا جيهان هانم؟ أنا مش عايزة أضايقكم.

- أبدا يا طنط، خليكِ أصل أنا حبيت كلامك قوي.. وبعدين علشان تصالحيني على عزيز إللي ما قالش حتى أهلا يا جيهان!!

- صحيح يا عزيز بيه ليه ما سلمتش عليها لما دخلت؟! الأصول ترمي السلام على حبيبة القلب.

- أنا رميت السلام يا ست عزيزة بس في البحر مع الأمواج بلا رجعة.

- يعني إيه الكلام ده مش فاهمة حاجة؟!!

- ما تشغليلش بالك وتعالي شوفي السمك إللي احنا اصطدناه وخليني أحكيلك على مغامرات البحر النهاردة أنا والأولاد.

- لأ يا طنط هو قاصد يهملني وما يعبرنيش مع إني جايا مخصوص ليه النهارده علشان أصالحه مع إني معاملتش حاجة تستاهل زعله مني.

- يا عزيز بيه، جيهان هانم حكت لي على سبب المشاكل بينكم وأنا شايفة إنها حاجة بسيطة ما تستاهلش الخصام والقطيعة بينكم، خاصة إنها جاتلك أكثر من مرة وتأسفت، يابني الدنيا مش مستاهلة وعيشوها ببساطة وربنا يسعدكوا.

- شوفي يا ست عزيزة، جيهان كويسة بس المشكلة في إنها رافضة تحمل وتخلف وأنا نفسي في أطفال موت، وأنا هاسيب ده وهي كمان لمين.. وبعدين الأولاد عزوة وعايز أعمل عيلة كبيرة. حقي ولا لأ؟ ويعني أعمل إيه؟ أتجوز واحدة تانية؟ طبعا مش هاقدر لأني بحبها.

- يا عزيز احنا اتكلمنا في الموضوع ده كتير وانت عارف أنا مش ممانعة واحنا رُحنا للدكتور، وأنا قلتلك نسيب الأمور إلى أن يشاء الله، وأنا يا سيدي مش مستعجلة دا احنا لسة صغيرين خالينا نستمتع بحياتنا إلى أن يشاء الله. أرجوك يا عزيز مش عايزين نناقش الموضوع ده تاني وما فيش داعي تسمح لتدخل الأهل والأقارب في حياتنا.

نظـر «عزيـز» إلـى صـلاح وسـعدية وإلـى ملامحهـم الملائكيـة وإلـى المتعـة غيـر العاديـة والتـي تملكتـه اليـوم وهـو معهـم في المركـب يصطـادون وسـط الجـد والمـرح، وتذكـر كـم كان سـعيدا وسـطهم حتـى ولـو لـم يكـن أولاده مـن صلبـه. كـم تمنـى أن يكـون فقيـرا مثـل عزيـزة جدتهـم مقابـل أن يهبـه الله الذريـة التـي تمـلأ عليـه الحيـاة وتبـث فيها حركـة وحيـاة ومعانـي مختلفـة لحياتـه مـع زوجتـه وحبيبتـه جيهـان. صحيـح أنـه يحبهـا ولكـن هـذا الحـب يحتـاج إلـى أطفـال تجمعهـم مصلحتهـم وتربيتهـم وطموحهـم. أولاد قـرة عـين لهـم يسـهرون عليهـم ويفرحـون لهـم ويطمحـون لهـم ويراقبونهم وهـم يكبـرون.

اغرورقـت عينـا عزيـز مـن هـذا الحرمـان الـذي تملكـه وأنسـاه كل مـا عنـده مـن أمـوال وعقـارات. كل هـذا وأنـتِ يـا جيهـان لا تفعلـي شـيئا لتحقيـق طمـوح وأمنيـة حياتـي. لقـد مللـت هـذه الحيـاة وعنـاد جيهـان، ولا بـد مـن اتخـاذ موقـف صـارم تجـاه تحقيـق رغبتـي حتـى ولـو كان زيجـة أخـرى. انتبـه «عزيـز» علـى كلام السـت عزيـزة وهـي تسـأله: إيـه رأيـك يـا عزيـز بـه في اللـي قالتـه السـت جيهـان؟ كلام معقـول برضـه.

بانفعـال متعمـد وغضـب في ملامحـه: مـش موافـق يـا سـت عزيـزة علـى كلامهـا، كل مـا افتـح الموضـوع ده تقولّـي نفـس الـكلام

والسنين بتعدي ومافيش جديد. أنا زهقت من الحياة دي ومش موافق عليها واستحالة هاستمر بالشكل ده. بزمتك يا حاجة عزيزة إنتِ تقدري تستغني عن صلاح وسعدية مع إنهم أحفادك، تعرفي تعيشي من غيرهم؟؟

- بصراحة يابني لأ، إزاي دا هما حياتي وما عرفش أستحمل الحياة من غيرهم، بس لو مكانش ربنا أمر وجم ورزقنا بيهم من الأول كنت هاحمد ربنا وهعيش. ربنا يخليهم ليّ دول ماليين عليّ حياتي.

- شوفتِ بقى أنا عندي حق إزاي.. أنا من حقي أعيش نفس إحساسك ده وإحساس كل أب تجاه أولاده. يا جيهان بلاش عند أكثر من كده وسيبي نفسك للحمل، وإلا مش ممكن الحياة هاترجع عادية بيننا.

احتارت «جيهان» في أمرها، أتخبره بالحقيقة التي خبأتها عنه طوال خمس سنين حتى لا يتأثر نفسيا وتتأثر علاقتهم وهو ما لا تقدر عليه لحبها الشديد لعزيز وتمسكها به لأنها تعلم أيضا كم يحبها، فطالما حسدهم الناس على حلو علاقتهم وعلى ما أعطاهم الله من مال وجاه. ماذا تفعل الآن وهو أصبح مصرا يوما بعد يوم على التحدث في هذا الموضوع الذي أدى إلى صراع

يومـي وفُرقة قـد تسـتمر يومـا أو أكثـر حتـى تعـود هـي لتصالحـه كمـا فعلـت اليـوم. لا لـن أبـوح لـه أبـدا فهـو حبيبـي وزوجـي وصديقـي، ومـن يـدري لعـل الله يحـدث أمـرا كان مفعـولا، كمـا قـال الطبيـب مـن أن إمكانيـة حـدوث الحمـل بسـبب مـا يعانـي منـه عزيـز ضئيلـة جـدا ولكنهـا ممكنـة ولـو بعـد حـين.

اغرورقـت عينـا جيهـان وهـي تنظـر إلـى عزيـز يصـارع رغبتـه في الإنجـاب، ورغبتـه في اسـتمرار الحيـاة معهـا، وسـالت بعـض الدمعـات مـن عينيهـا الحانيتـين وهـي تجـد نفسـها في هـذا الموقـف الصعـب الـذي لـم تتخيـل أبـدا وهـي في مقتبـل العمـر أن توضـع فيـه مـع أحـب النـاس، ولكـن هـو القـدر الـذي ينسـج الأحـداث ومـا علينـا إلا أن نخيطهـا بالطريقـة التـي نراهـا سـواء نجحنـا أو فشـلنا في حسـن خياطتـه.

●●●

الفصل التاسع عشر

«من لا يمتلك حق البنوة كمن يدعي النبوة».

أفاقت «جيهان» على راحة الست عزيزة وهي تطبطب عليها لما رأتها على هذا الحال والدمعات تتساقط من عينيها أمام عزيز الذي كان معطيا ظهره لجيهان وناظرا تجاه مياه النهر وهي تتوالد وتجري فرحة حاملة أمواجها على ظهرها غير عابئة بمن حولها. لم يشعر «عزيز» بدموع جيهان وحزنها إلا عندما هزته سعدية من وسطه: تعالي يا بيه شوف الست جيهان أحس زعلانه وبتعيط.

أدار «عزيز» وجهه ناحية جيهان ليتأكد، وما إن رآها على هذا النحو من الانكسار والحزن، والدموع تسكن عينيها، حتى هرول إليها ماسحا بأنامله دموعها ومعتذرا عما بدا منه ومعلنا على صبره واحتساب أمره عند الله إلى أن يشاء هو.

ابتسمت «جيهان» وربتت على كتفه وأخذته في حضنها كالطفل الذي يبحث عن صدر أمه، فلان لها وقبَّلها، ثم أخذها من يدها في حنو بالغ لتنهض واقفة بجانبه وهو يحتضنها ويحتويها في جنبيه كما يفعل دائما لتشعر هي بالحنان والأمان متمسحة فيه كقطته المدللة.

هـام «عزيـز» في أنفـاس جيهـان وبصـره يراقـب ميـاه النهـر وهـو يجـري حامـلا أمواجـه فرحـا علـى كتفيـه. تمنـى مـن داخلـه دون أن يُظهـر لجيهـان تمنياتـه أن يهـب اللّه لهـا القـدرة علـى الحمـل والفرحـة كمـا منحهـا لهـذا النهـر. كـم أشـفق عليـكِ يـا جيهـان، لعـل اللّه يهبُـك القـدرة كمـا وهبنـا كل شـيء لتكتمـل سـعادتنا وتسـتمر حياتنـا سـويا.

أفـاق «عزيـز» علـى صـلاح وهـو يسـأله بعفويـة وبـراءة ضاحكـة: هـو إنـت عايـز تخلـف كام يـا عزيـز بيـه؟ وولاد ولا بنـات؟

وبعفويـة أيضـا ردت «جيهـان» وبابتسـامة حانيـة وهـي تنظـر بعينيهـا إلـى عينـي عزيـز: إذا كان علـى عمـو عزيـز هـو نفسـه في دسـتة ولاد، فريـق كـورة يعنـي نصهـم ولاد والنـص التانـي بنـات علشـان يملـوا العوامـة دي والفيـلـلا ويبقـوا فريقـين. بـس احنـا متفقـين يـا صـلاح علـى طفلـين ويـا ريـت بقـى لـو ولـد وبنـت حلويـن زيـك كـده إنـت وسـعدية.

نظـر «عزيـز» إلـى صـلاح نظـرة أبويـة صـب فيهـا حنـان الأبـوة المشـتاق إليهـا، خاصـة أن وجـه صـلاح فيـه بـراءة وطفولـة غيـر مقصـودة علـى الرغـم مـن الإجهـاد والتقشـف الـذي يبـدو علـى وجهـه مـن العمـل مـع جدتـه: سـؤالك بالنسـبة لـي كبيـر قـوي يـا صـلاح.. ولكـن إيـه رأيـك لـو أسـألك إنـت نفـس السـؤال لـو إنـت كنـت في عمـري ومكانـي.

ابتسم «صلاح» ابتسامة شقية كلها طفولة وعفوية: والله يا عزيز بيه ما فكرتش ﭬ السؤال ده قبل كده، ولكن لو أنا عزيز بيه بصراحة كنت خلفت ولد الأول واتعلمت فيه كل حاجة عن الخلفة وتربية العيال وبعدين أجيب بقى بعد كده بقية الدستة إللي نفسك فيها.

ضحك «عزيز» وهو ينظر إلى جيهان ضحكة انفرجت لها أساريره، وهو لم يضحك منذ ثلاثة أيام بسبب العبوس الذي يسيطر عليه من جراء خلافاته مع جيهان: مش معنى يعني ياصلاح طفل ﭬ الأول والباقي بعدين هو انت شاكك ﭬ قدرتي على تربية الأولاد ولا إيه؟؟

- بصراحة يا عزيز بيه، إنت نفسك ﭬ الأولاد قوي فأكيد هادلعهم جامد، فأحسن تجرب ﭬ واحد علشان عيوب التربية فيه ماتتكررش ﭬ الباقي، دول عيال برضه يا بيه.. وأعقب ذلك بضحكة زينت شفاهه العارية من كل مظاهر العز والراحة.

- ياواد عيب تكلم عزيز بيه كده، إتلم يا صلاح، عيب.

رد عزيز: ولا يهمك يا ست عزيزة، بالعكس ده أنا حابب كلامه جدا، وأنا بحب الطفل الذكي واللماح واللي يقدر يعبر عن أرائه وبأدب زي ما صلاح عمل دلوقتي.

نظرت «جيهان» إلى صلاح من رأسه حتى أخمص قدميه، فقد طرأت في ذهنها فكرة لم تخطر على بالها من قبل، فكرة تولدت حالا من جراء إجابة صلاح على سؤال عزيز، فكرة رائعة ومن الممكن أن تحل مشكلتها مع عزيز في الإنجاب ولا تعرضه للإحراج والألم النفسي إذا علم بصعوبة قدرته على الإنجاب كما أخبرها الطبيب. فكرة بمليون جنيه، برافو عليك يا صلاح.

نظر عزيز إلى جيهان نظرة يغلب عليها الشفقة ظنا منه أنها سرحت منهم فيما قاله صلاح والذي قد يكون كلامه ألمها وذكرها بعدم قدرتها على الإنجاب كما يظن هو دائما دون أن يبوح لها عن ذلك.

- رُحتي فين ياحبيبتي؟ إيه إللي خدك مننا؟ دا انتِ مش معانا خالص!

- بالعكس يا عزيز أنا معاكم وسامعة كل حاجة وجاتلي فكرة رائعة لو الكل وافق عليها والست عزيزة أولنا، وبعدين احنا كلنا، وأهم حاجة موافقة صلاح..

- فكرة إيه دي يا جيهان؟! عايزاني أنزل أصطاد تاني مع الأولاد؟ ماعنديش مانع بس تيجي معانا وحالا وهيبقى يوم تحفة في العمر.

- يا حبيبي، لو وافقت على فكرتي هانعمل كده كتير. خليني بس أقولك على فكرتي.

وأنصت الجميع إلى جيهان وهي تقص فكرتها والكل فاتح فاهه من فكرتها الجنونية والتي لا يستطيع أحد أن يفكر فيها. وبعدما أنهت شرح فكرتها نوهت للجميع ألا يقرروا الآن بالموافقة أو الرفض. وطلبت من الست عزيزة أن تفكر في الموضوع مع أحفادها سعدية وصلاح وهي سوف تذهب مع عزيز إلى الحجرة المجاورة لكي يفكر عزيز هو الآخر في الموضوع.

وبعد النصف ساعة من النقاش وراء الجدران وكل فريق بمفرده، نادت «جيهان» على عزيزة لتعرف رأيها وبدون أي تأثير.

- قولتِ إيه يا ست عزيزة.. صلاح هايبقى في عنينا وما تقلقيش عليه هايبقى ابننا إللي ماخلفناهوش وتيجي تزوريه في أي وقت.. وها نعلمه أحسن تعليم وها نصرف عليه كل اللي هو محتاجه وأخته هاتبقى معاكِ ومسئولين عنها وعنك كمان. وضحكت «جيهان» وهي تجثو على ركبتيها تدلل صلاح ممسكة بساعديه: وبالشكل ده يا عم صلاح نكون نفذنا إجابتك لبابا عزيز على أرض الواقع زي ما قلت وهو موافق جدا، قلت إيه؟

نظرت «جيهان» إلى عيون وشفاه الثلاثة، عزيزة وصلاح وسعدية، لعل شفاهم تيجيب بنعم، ولعل عيونهم تكون فرحة كما فرحت هي وعزيز، لعل بنوته لصلاح تنسيه إلحاحه في طلب الخلفة، ومن يدري لعل الله يكتب لي الحمل منه في أي وقت، حينئذ سيكون صلاح قد كبر ويستطيع أن يحدد هو ما يريد.

نظرت «عزيزة» نظرة فيها رضا ممزوجة بانكسار الجدة التي لا حول لها ولا قوة، وتتمنى كل الخير لأحفادها خاصة صلاح الولد الذي من الممكن أن يساعد أخته في حياتها إذا تحسنت حياته. نظرت «عزيزة» إلى صلاح ثم احتضنته وقبلت وجهه البريء: أنا موافقة يا ست جيهان بس بشرط صلاح لو حب يرجعلي خالص في أي وقت يرجع، ولا إيه يا صلاح؟

طأطأ «صلاح» رأسه خجلا، فقلبه معلق بجدته وأخته، وبالمكان الذي تربى فيه، مع أن عقله متعلق بكلام جيهان عن التعليم والتربية وحسن الحال.

انحنى «عزيز» بركبتيه أمام صلاح ليربت على كتفه بحنان: مش هاتندم أبدا يا صلاح، وستبقى أنت صلاح الذي تتمناه.

ترك «صلاح» نفسه لحضن عزيز دون أن يبادله الحضن، ولكن علامة منه على الموافقة.

ردت «جيهـان» علـى عزيـزة: وانـتِ كمـان عمـرك مـا هاتندمـي ياسـت عزيـزة.. وانـتِ شـفتِ قـد إيـه قلـب عزيـز طيـب وأنـا كمـان.

- علـى فكـرة يـا دادا عزيـزة هـو إنتـوا سـاكنين فـين أصلا علشـان نبقـى عارفين؟

- احنـا يـا جيهـان هـانم مـن منطقـة اسـمها كاندليـه في أطـراف البلد.

- كاندليـه اسـم حلـو قـوي يـا صـلاح، أكيـد هـانبقـى نروحـه كلنـا ونشوفه مع بعض.

- ربنـا يسـهل ياهـانم، صـلاح أمانـة في رقابتكـم لحـد مـا يقـول هـو، وأنـا مـش هاقـول لحـد مـن كاندليـه خالـص غيـر شـيخ الجامـع هنـاك فهـو حامـل الأسـرار، علشـان حـد يكـون عـارف مـكان صـلاح فـين لـو جرالـي حاجـة.

●●●

- يـاااااه يـا صـلاح، دي قصـة ولا الأفـلام، طيـب وبعديـن إيـه اللـي رجعـك كاندليـه تانـي؟

- الجـزء التانـي مـن القصـة هابقـى أحكيهولـك بعدين وبالتفصيل لأن الوقت عدى بسـرعة وباباكي زمانه جاي حالا، لازم نمشـي.

- يابنـي نمشـي إيـه بعـد مـا فجـرت القنبلـة، لازم أعـرف إيـه إللـي حصـل ورجعـك تانـي لكاندليـه؟؟

- والله هاحكيهالـك بعديـن بالتفصيـل.. ولكـن باختصـار شـديد أصبحـت أنـا أعامـل علـى إنـي ابـن جيهـان وعزيـز وتعلمـت في أرقـى المـدارس حتـى الإعداديـة وحينئـذ تحقـق الأمـل الكبيـر لعزيـز فقـد حملـت جيهـان، وفي تسـعة أشـهر أكرمهـم الله بطفـل جميـل ومنـذ الحمـل تحولـت كل الاهتمامـات إلـى الطفـل الجديـد وانشـغلوا عنـي تمامـا ولكـن لـم ينسـوا دراسـتي حتـى مـرت الأيـام ثقيلـة بعـد أن فتـر اهتمامهـم بـي والـذي تحـول إلـى غيـرة في بعـض الأحيـان حتـى انتقلـت إلـى الصـف الثالـث الثانـوي العـام، وأصبـح طفلهـم ذا خمسـة أعـوام.. قـررت تـرك البيـت دون أن يعلمـوا ورجعـت إلـى كاندليـه بعـد أن تلقيـت منهـم درسـا قاسـيا بسـبب جـرح ابنهـم لـي أثنـاء لعبـي معـه، وقـد كان فعـلا الـدرس قاسـيا ولـن أنسـاه مـا حييـت. وتعلمـت مـن هـذا الـدرس أن **من لا يمتلك حق البنـوة كمن يدعي النبـوة.**

- فعـلا يـا صـلاح قصـة غريبـة وبالنسـبة لـي قنبلـة فعـلا أن أعـرف أنـك تعلمـت في أحسـن المـدارس حتـى الثانويـة ثـم تتركهـا وأنـت علـى أبـواب الجامعـه، شـيء صعـب جـدا، حقـا قنبلـة بمعنـى الكلمـة وبقـدر مـا شـعرت بضيـق مـن انقلابهـم عليـك مـع إنـي لا أعـرف مـاذا حـدث بالضبـط، إلا إنـي سـعيدة بأنـك ممكـن تحقـق

حلم حياتك بعد كل هذا العمر وتنهي الثانوية وتدرس في الجامعة وكمان عندي في كلية الأداب كما كنت دائما تطلب مني، واضح إن طلبك لم يكن عفويا بل مبني على رغبة قديمة ودفينة.

- شفتِ؟ الحمد لله إن الوقت كفى لأحكيلك على القنبلة، حظي حلو، أهو يا ستي المعلم محمود مقبل كصقر قريش علينا أهه. وضحك «صلاح» وهو ينظر في عيني ياسمين: أنا بقى خلصت دوري معاكِ، هاسيبك معاه تعيشي حياتك وأمشي أنا.

- صلاح، إنت مجنون أوعي تمشي وتسيبني، خليك معايا لحد بابا ما ييجي وكمان إنت إللي هاتوصلني لحد البيت وتحكيلي باقي روايتك دي في الطريق.

- هاهاها إنتِ صدقتِ! أنا طبعا مش هامشي، أنا معاكِ إلى آخر مدى، وإلى آخر الدنيا، دنياكِ يا ياسمين، يا أجمل داليـــــــا خلقها الله لتزين الوجود وتزين حياتي.

●●●

الفصل العشرون

«فإذ به يطعن كبرياءه أمامها بسكين الجاه والمال الذي دائما وأبدا يسبق سكين الفكر والقيم».

نظر المعلم «محمود» إلى صلاح وهو يجلس على عجلة القيادة لسيارة ياسمين متعجبا: هو من إمتى وانت بتعرف تسوق يا ابو صلاح.. عمرك ماقلتلي يعني ولا انت قاعد قدام الدركسيون منظر كده يعني وبس فرحان بالعربية، إيه الحكاية قولي، ده انت عمرك ما خبيت عليّ حاجة يا معلم.. وبعدين إزاي ما تقوليش إن عندك داليـــــــــــا هانم والدنيا كلها وأنا بندور عليها، كان لازم تقولي زي ما بتقولي كل حاجة، أنا زعلان. أدار المعلم «محمود» نظره ناحية ياسمين: وحضرتك ليه ما قلتيليش إنك داليا لما جيت أدور عليكِ عند صلاح، كان إيه إللي مخوفك مني! ثم أكمل بابتسامة مصطنعة: كده يا هانم ضيعتِ عليّ الحلاوة إللي كان هايدفعهالي شوقي بيه.

ضحك «صلاح» وهو ينظر إلى ياسمين: ده ياستي المعلم محمود إللي والدك طلب منه يدور عليكِ في كانديليه وجالك الأوضة عندي وأنا مش موجود، مش عارف إنتِ خوفتِ منه ليه ده طيب جدا، ده مجرد بيخربش الوش بالسكينة بس وبالكتير

يشـق راس، ليـه خفـتِ ده مـلاك، وشـنباته الكبيـرة دي علشـان أيـام الانتخابـات، مـش كـده ولا إيـه يـا صاحبـي؟؟

نظـر المعلـم «محمـود» إلـى صـلاح شـذرا: ماشـي يـا ابـو صـلاح كلامـي معـاك بعديـن ولازم أوضبلـك وشـك ده زي مـا قلـت. المهـم يـلاَّ بينـا علـى أول كاندليـه علشـان شـوقي بيـه علـى وصـول ولازم نسـتناه هنـاك لأنـه عمـره مـا جـه كاندليـه.

شـعرت «ياسـمين» بخـوف شـديد مـن كلام صـلاح عـن المعلـم محمـود، وتمنـت أن يتركهـم ويمشـي وتبقـى هـي فقـط مـع صـلاح، فكـم تشـعر معـه بالأمـان وبـأن هنـاك شـيء مـا خفـي عليهـا يربطهـا بـه ويجعلهـا تسـهر براحـة نفسـية وطمأنينـة، حتـى وهـو يتحـدث إلـى المعلـم محمـود سـواء بجـد أو هـزار.

أدار «صـلاح» السـيارة وبجانبـه ياسـمين وفي الخلـف المعلـم محمـود، واتجـه ناحيـة مدخـل كاندليـه لاسـتقبال شـوقي بـك الـذي بقـدر مـا يتشـوق صـلاح إلـى مقابلتـه بقـدر مـا يخشـى اللحظـة التـي سـوف يتحـدث إليـه فيهـا ويحـاوره ولـو لبعـض الدقائـق. فيـا تـرى كيـف سـينظر إليـه شـوقي بـك وكيـف يقيمـه وبـأي لغـة سـوف يحـاوره، أسـئلة كثيـرة دارت في عقـل صـلاح وهـو يقـود السـيارة التـي كان محركهـا ينبـض بعلـو نبضـات قلـب صـلاح، فالانطبـاع الـذي سـوف

يتركه صلاح اليوم بعد مقابلة شوقي بك سوف يكون له أثر بالغ فيما بعد. تنهد «صلاح» تنهيدة تحمل في طياتها حكايته مع الزمان وكل طموحاته وأسراره، تنهيدة مكتومة أخفاها عن ياسمين وعن المعلم محمود، تنهيدة نصفها حب ونصفها عذاب يقترب منه على أول كاندليه. ولكن تنهيدته حملت بداخلها أمانا وثقة في القدر الذي بالتأكيد سوف يجد حلا لما هو فيه من متناقضات كما رتب لكل هذه الأحداث وبكل هذه السرعة.

- مالك يا صلاح، سرحت في إيه ورحت فين؟ ده انت مش معانا خالص. طمني فيه إيه. أنا عايزاك تركز كده علشان لما تقابل بابا، المفروض تكون فرحان بمقابلته وفخور باللي انت عملته معايا.

- يا ست ياسمين ما فيش حاجة، ماتقلقيش على صلاح، هو يا إما فرحان قوي بالسواقة خاصة وحضرتك قاعدة جنبة كده أميرة فتخيل إنه أمير أو خايف من مقابلة شوقي بيه وقلقان منه. عموما ماتخافش يا بو صلاح، شوقي بيه راجل بيحب الغلابة اللي زينا وبيعطف عليهم وأكيد هايكرمك، وأنا معاك أهه، المهم بس الست ياسمين ماتشتكيش منك لما تشوفه لتكون عملت فيها حاجة كده ولا كده.

- يا جماعة أنا كويس، وبعدين بطل أفكارك وتحليلاتك دي يا معلم محمود، أنا مش قلقان من حاجة، أنا بس سرحت في حال الدنيا والأحداث والقدر الذي يحركنا كعرائس المولد كما يشاء تارة، وتارة أخرى يتركنا نواجه الحياة بأفكارنا نحن وبدون تدخل. والآن القدر يتدخل وبكل قوة وحنكة في الأحداث، وما علينا إلا أن ننساق وننفذ قوانينه وإملائاته لعل نهاية الأحداث يكون فيها الخير لينا. - يا محمود القدر لا يبغِ لنا إلا الخير شريطة ألا نعترض على المسار الذي يرسمه لنا وأن نمشي فيه كما يريد وبنفس راضية وقلب مطمئن وذكاء اجتماعي وفكري.

- إيه يابني كل ده، إنت بتجيب الكلام ده منين، كلام فلسفة مش فاهم منه حاجة، أول مرة أسمعك بتتكلم كده زي الأساتذة المتعلمين، إنت بتذاكر من ورانا ولا إيه، شكلك خبت والله يا ابو صلاح، أكيد خبت، ويبقى اللي عملته وانت صغير بدأ ينقح عليك لما كبرت وحنيت للعلام. لا لا، إنت اتغيرت وشايفك واحد تاني خالص، في كلامك وفي هدومك، إنت أكيد لبسك جن من قاعدتك لوحدك.

- يا محمود سيبك من الكلام ده، احنا وصلنا، خلِّي عينك على شوقي بيه لما تشوفه علشان نحييه أول ما ييجي. وانت يا ياسمين ما تنزليش من العربية إلا لما بابا يوصل وأنا ومحمود هانقف بره العربية نستناه.

●●●

ولـم تمـر دقائـق حتـى وصلـت سـيارة مرسـيدس سـوداء جديـدة، ليقـف أمامهـا المعلـم محمـود ملوحـا بيديـه فهـو يعـرف جيـدا السـيارة وسـائقها. توقفت السـيارة، وجـرى المعلـم محمـود ليفتـح البـاب الخلفـي لشـوقي بـك الـذي نـزل علـى عجـل مناديـا محمـود: فـين بنتـي يـا محمـود فـين ياسـمين، فـين داليـــــــــــا حبيبتـي؟؟

- هنـاك في العربيـة يـا شـوقي بيـه، مسـتنياك وهـي كويسـة وكل حاجـة تمـام.. وده صـلاح إللـي سـاعد ياسـمين وكانـت عنـده مـن امبـارح.

ومـا إن رأت ياسـمين والدهـا ينـزل مـن عربتـه حتـى هرولـت ناحيتـه، وكأنهـا لـم تـره منـذ سـنوات علـى الرغـم مـن أنهـا كانـت منـذ قليـل تريـد البقـاء هنـا في كاندليـه فتـرة أطـول. عانقـت والدهـا بقـوة كطفلـة في التاسـعة، وضمهـا والدهـا بحنـان ولهفـة وكأنـه افتقدهـا منـذ أعـوام في قـارة أخرى.

- أهـلا بابـا، ده صـلاح إللـي كلـم حضرتـك في التليفـون والـذي اعتنـى بـي منـذ مسـاء أمـس وحتـى هـذه اللحظـة ومـا شـعرت منـه إلا بالطيبـة والثقـة والأمـان وصـلاح الفكـر وصـلاح النيـة.

- أهـلا يـا صـلاح، شـكرا علـى كل اللـي عملتـه مع ابنتي ياسـمين، ومـا فعلتـه معهـا سـيظل جميـلا علـى رقبتـي حتـى يـوم الديـن، فقـد

كنت مذعورا من حدوث مكروه لها، فهي ابنتي الوحيدة وأميرتي ومعلمتي وصديقتي وأمي وأختي، هي كل شيء في حياتي. لك كل الشكر.

- لا داعي للشكر يا شوقي بيه، فأنا لم أقم إلا بعمل الواجب والأصول.. وياسمين هانم ابنة الأصول وكل من كان معي من أهل كاندليه كان تحت قدميها مرحباً وهاشا ومعاونا كل بطريقته. أنا الذي أشكر الظروف التي أتاحت لي الفرصة أن أتعرف على ياسمين هانم وأتعلم منها كيف يكون الإنسان متواضعا ومحبا ومقدرا للآخر. وكيف تكون الظروف بحلوها ومرها حافزا للقلب والعقل البشري ليكون صانعا من الأحداث المحورية التي قد لا تأتي على البال إلا صدفة محطات تاريخية في العمر يحرث فيها الماضي ليخلطه بالحاضر ليصنع منه عجينة لمستقبل يتمناه.

- واضح إنك بتحب الفلسفة يا صلاح، ومع إني لا أدري من أين لك بهذه الكلمات العفوية إلا أنها كلمات جميلة ومعبرة ومن الممكن أن نناقشها لاحقا إذا توفرت الفرصة.

- طبعا يا بابا، فرص الحياة كثير، أفكار صلاح هاتعجب حضرتك جدا وإن شاء الله نعزمه عندنا في القريب لنكمل هذا الحديث الممتع وتتعرف عليه أكثر.

- طبعا طبعا يا ياسمين، يشرفنا هو وكل اللي ساعدوكِ واهتموا بيكِ من أهل كاندليه ومعاهم طبعا المعلم محمود اللي تعب برضه معانا في البحث عنك ولقاكِ عند صلاح بس إنتِ أخفيتِ نفسك عنه. أهلا بيهم كلهم وها تكون العزومة كبيرة جدا وعلى شرف أهل كاندليه إللي هاتعزميهم بنفسك في فيلتنا.

- طيب يا بابا ميرسي. المهم تكون اطمأنيت عليّ وعرفت إني كنت في أيدٍ أمينة جدا. مع صلاح الذي تعلمت معه هنا أشياء ومعلومات كثيرة لم أكن أعرفها ولم تخطر لي على بال ولكنها غيرت فكري تماما عن أهمية الحياة والأهم فيها عن كيفية اكتشاف البشر والأشياء.

- طيب ياستي، يلا بينا بقى لأن ماما هاتجنن عليكِ، وعلى فكرة أنا لم أخبرها بعد لتكون مفاجأة لها من العيار الثقيل. وأخرج «شوقي» بك من محفظته مبلغا كبيرا من المال أسال لعاب المعلم محمود، ومد يده إلى صلاح ليشكره على ما فعله بشهادة ياسمين، مبلغا لو قسم على أهل كاندليه اليوم لامتلأت البيوت بالسعادة حتى نهاية الأسبوع.

- اتفضل يا صلاح، ده مبلغ رمزي على تعبك وأمانتك على ياسمين وإن شاء الله لك هدية كبيرة لا تتخيلها مني بالإضافة إلى

أي طلب تطلبه أنت مني سوف يكون مجابا أيا كان هذا الطلب يا صلاح، اتفضل المبلغ مع خالص شكري.

نظر «صلاح» بغضب مكتوم إلى يد شوقي بك وهي تحمل هذا المبلغ الكبير، وشعر بإهانة كبيرة أمام نفسه وأمام ياسمين، وحاول السيطرة على مشاعره وعلى لسانه وعلى ملامحه حتى لا تظهر ملامح الغضب هذه، فمؤكد أن شوقي بك لا يُلاَم على ما يفعل بحكم الفوارق والحالة والعادات، ولكنه ليس كأهل كاندليه في هذا الموقف ولا حالته مع ياسمين تسمح بذلك ولا قناعته وفكرة يرضى بذلك. أمسك صلاح بيد شوقي بسرعة وضغط عليها بشدة ليشكره على مشاعره وموقفه، رافضا المبلغ بكل شياكة، ومعتذرا عن قبوله فهو لم يفعل إلا الواجب والواجب لا يباع ولا يشترى.

أصّر شوقي بك على دفع المبلغ إلى صلاح، ولكن تدخلت ياسمين بسرعة لتنقذ الموقف الذي أحرج صلاح واستغرب منه شوقي بك: بابا، صلاح مش منتظر أي مقابل، بالعكس ده هو صرف عليّ وأنا موجودة معاه وصلح العربية على حسابه وجاب لي الهدوم دي من معاه ورفض ياخد مني ثمن الحاجات دي، فهو مش منتظر حاجة، كفاية شكرك وتقديرك ليه وإن شاء اللّه ترد ليه الخدمة دي من خلال حاجة معنوية وعلاقة طيبة مش أكثر.

ابتسم صلاح ابتسامة أنارت وجهه الذي كاد أن يتشقق أمام ياسمين. ولكن المعلم محمود سرعان ما مد يده ليأخذ المبلغ من شوقي بك ظنا منه أن صلاح يصطنع هذا الموقف طمعا في المزيد أو دلالا قبل أن يأخذه، وكله غيظ من رفض صلاح هذا المبلغ الكبير الذي من المؤكد كان سينال منه جزءا، فنظر إلى صلاح قائلا: يا ابو صلاح ما فيش داعي للكسوف أنا ممكن آخذ المبلغ يا شوقي بيه وابقى أديه لصلاح بعدين، أصله بيحرج شوية.

وبسرعة رد صلاح: أنا مش مكسوف يا معلم محمود، أنا عارف أنا بقول إيه ومصمم عليه وأنا علشان مقدر فرحة شوقي بيه بلقاء ياسمين هانم كنت زعلت وأخذت على خاطري، فمش معنى إني من كاندليه ألا يكون لدي مبدأ أتصرف بناء عليه وأتمسك به، أنا لن آخذ مقابل الواجب والأصول مهما كانت تفاهة الواجب وعظمة المقابل. أنا لست إلا رجلا قام بواجب الرجولة الحقة التي يؤمن بها إيمانه بالصلاة والزكاة والصيام وحب الله. هكذا أنا ولن أتغير سواء كنت في كاندليه أو في الشانزليزيه.

- خلاص يا صلاح زي ما انت عايز مع شكري وتقديري لموقفك الرجولي ده وشهامتك غير المدفوعة الأجر، شكرا يا صلاح وانت كمان يا معلم محمود ودي هدية مني لك بسيطة على ما أقابلك تاني في الشغل بكرة.

أسـرع المعلـم محمـود بأخـذ المبلـغ المالـي الكبيـر مـن شـوقي بـك مخافـة أن يتدخـل صـلاح بجنونـه ويفسـد هـذه اللحظـة التـي جعلـت منـه أغنـى رجـلا اليـوم في كاندليـه.

- يـلاَّ بينـا يـا ياسـمين علـى البيـت وامشـي ورايـا بالعربيـة وعلـى أقـل مـن مهلـك المـرة دي، ولا أقولـك خلـي السـواق بتاعـي يسـوق عربيتـك وإنـت تعالـي معايـا في عربيتـي.

- لأ يـا بابـا، أنـا عايـزة صـلاح يوصلنـي للبيـت وخلـي السـواق معـاك، أنـا عاملـة حسـابي علـى كـده أرجـوك، علـى الأقـل علشـان صـلاح يعـرف عنـوان البيـت لمـا نحتاجـه في حاجـة وكمـان لمـا نعزمـه الأسـبوع ده.

- خـلاص يـا ياسـمين خليـه يوصلـك وامشـوا ورايـا، وعلـى مهلـك يـا صـلاح، ويَـلاَّ بينـا.

لـم تهـز «صـلاح» فخامـة السـيارة المرسـيدس ولا الفيـلا التـي هـو في الطريـق إليهـا الآن، ولكـن هـزت مشـاعره وكبريـاءه الطريقـة التـي تعامـل بهـا والـد ياسـمين معـه، وعرضـه مبلغـه الكبيـر مـن المـال مقابـل مـا فعلـه تجـاه الإنسـانة التـي أحبهـا واحترمهـا ورأى فيهـا كل نسـاء العالـم ورأى في نفسـه أحقيتـه بـأن يكـون سـيد رجـال العالـم طالمـا هـي بادلتـه الحـب، فـإذ بشـوقي بـك يطعـن كبريـاءه أمامهـا بسـكين

الجاه والمال الذي دائما وأبدا يسبق سكين الفكر والقيم بل دائما ينقض عليها دون أن يستمع لتلك المبادئ والقيم والأصول.



الفصل الحادي والعشرون

«كيف تكون البساطة هي عنوان الأحداث الكبرى التي كانت لنا محض خيال، كيف تدق البساطة هكذا على الأبواب في لحظة ما وتدخل بيوتنا وتجالسنا بلا استئذان ونحن نقضي العمر نبحث عنها ولا نجدها».

لم يتكلم «صلاح» وهو في الطريق بل ترك ياسمين تتكلم، والتي لم تجد هي الأخرى أي كلمات تخفف عن صلاح هول هذا الموقف خاصة أنها تعلم جيدا أن الكلام لا يفيد معه كثيرا، فكيف يفيد الكلام في تضميد جرح غائر تنزف دماؤه وتسيل على أرض الكبرياء.

- مالك يا صلاح، ساكت ليه مع إن الجو رائع وجميل وأول مرة أركب فيها جنبك وانت بتسوق؟! وبضحكة بها دلال: هو إنت خايف لتتوه من بابا ولا إيه. يا سيدي ولا يهمك ركز معايا أنا واحنا هنوصل هنوصل، أنا عارفة الطريق كويس ما تقلقش.

- أنا مش ساكت يا ياسمين، أنا باتكلم مع نفسي ولكن بصمت، وباستمتع بلحظة تاريخية لا أدري إذا كانت سوف تتكرر أم لا، لحظة رسم فيها القدر أحلى أحداثه أمام عيناي وقدر

لـي أن أكـون بطـل هـذه الأحـداث وأنـتِ بطلتهـا، ولكـن خـوفي هـو مـن النهايـة التـي كتبهـا القـدر لهـذه الأحـداث. هـل أراد القـدر لـي أن يعطينـي الفرصـة لأكـون بطـلا ولـو لمـرة واحـدة في حياتـي حتـى لا يحرمنـي ممـا تمنيتـه معـكِ، ثـم يتركنـي أتمتـع بهـذه البطولـة في صـورة ذكريـات أم هـو بالفعـل رتـب الأحـداث ويطلـب منـي أن أُكمـل دور البطولـة حتـى النهايـة لأنـي بالفعـل سـوف أعيشـها كمـا تمنيـت مـع بطلتـي طـوال العمـر. لسـت أدري إذا كان هـذا أم ذاك ولكنـي أسـتمتع بلحظـات البطولـة ومسـتعد لـكل النهايـات. فـإذا كنـتِ تعرفـين طريقـك إلـى البيـت فهـل يـا تـرى تعرفـين طريقـي معـك؟

- بالتأكيـد أعـرف طريقـي معـك كمـا أعـرف تمامـا طريقـي إلـى البيـت، ولكـن طريقـي معـك بـه مطبـات طبيعيـة وصناعيـة كثيـرة وللأسـف لا نعـرف أماكنهـا لنتفاداهـا قبـل المـرور عليهـا ولا ارتفاعهـا ولا كـم عددهـا. ولذلـك طريقـي معـك غيـر ممهـد، طريـق يحتـاج إلـى الحـرص والمثابـرة والهـدوء والصبـر والتحمـل. وهـا قـد بدأنـا الطريـق سـويا وأنـا بجانبـك وقابلنـا أول مطبـات الطريـق الكبـرى ونحـن سـويا وانتهـت علـى خيـر بحكمتـك وهدوئـك وأنـا معـك، وسـوف نعبـر كل المطبـات ولكـن نحتـاج إلـى الوقـت والمجهـود والحـرص حتـى نتغلـب عليهـا جميعـا ونفـوز في نهايـة الطريـق. فـلا تقلـق طالمـا نحـن نسـير علـى الطريـق.

- أستمد من ثباتك ومن كلماتك ومن حكمتك كل أسباب المثابرة والحكمة والتحدي، طالما أنتِ بجانبي فلا يهمني شيء.. بل سوف أستمتع بالطريق ولو كان وعرا. ابقي لي صديقة وحبيبة لكي أبقى على الطريق وعلى قيد الحياة.

- إن شاء الله صديقة وأخت وحبيبة طالما بقيت أنا على قيد الحياة. وبضحكة طفولية: على فكرة خد بالك في مطب جامد قوي قريب احفظه لإنه قبل ما ندخل الشارع بتاعنا، وده أكبر مطب في طريقي للبيت.

- كل المطبات هنا سهلة ومقدور عليها طالما على الأرض، وهاحفظه طبعا، بس علشان بخاف على عربيتك، فكل ما لديك وكل ما في طريقك أخاف عليه كخوفي عليكِ.

- ماشي يا سيدي، خاف براحتك.. اجهز بقى يلا علشان هاتيجي البيت جوه بعد ما نوصل، تسلم على ماما وتقول باي لبابا وتكون فرصة تعرف البيت من جوه.

- لا مش ممكن طبعا يا ياسمين، أنا جيت علشان أوصلك بس مش أكثر وهارجع تاني على طول، كفاية ياستي مطب واحد في اليوم، واحدة واحدة عليّ علشان أقدر أتحمل المطبات واحد ورا واحد. وبضحكة مصطنعة تحمل مغزى خفيا: بصراحة يا ياسمين ومن غير

ما تزعلي أنا حاسس إن شوقي بيه باباكِ هايكون صانع المطبات، مش عارف ليه، بس ماتخافيش أنا قدها وقدود.

- طيب يلا علشان وصلنا وتعالى سلم على بابا بس حقيقي هازعل جدا لو عزم عليك تدخل البيت ومشيت، أنا عايزاك تدخل بس هاسيبها لبابا.

- خلاص ياستي، أوعدك لو عزم عليّ ولو حتى عزومة مراكبية أنا هادخل وهاكون سعيد جدا طالما في وجودك.

وبالفعل نادى «شوقي» بك «صلاح» وطلب منه أن يدخل البيت ليسلم على والدة ياسمين ويطمئنها بنفسه على ابنتها حتى تهدأ تماما. قبل صلاح بالعرض الكريم ووافق على الفور وهو ينظر ضاحكا إلى ياسمين وهو يأخذ منها حقيبة ملابسها ليحملها بدلا عنها إلى الداخل. جرت ياسمين كالطفلة إلى داخل الفيلا لتفاجأ والدتها بوصولها فتشهق شهقة عالية غير مصدقة أن ياسمين بين يديها هكذا دون أن يبلغها أحد.

- إيه رأيك بقى يامامي في المفاجأة دي، شفت بقى بابي بيحبك قد إيه وحب يعملهالك مفاجأة زي ما قالي. وحشتيني قوي يامامي، قوي قوي، ووحشني البيت وكل حتة فيه وخاصة أوضتي وسريري.

وهنا تنحنح «صلاح» ليعلن عن وجوده خاصة أن «شوقي» بك دخل الفيلا بسرعة متوجها إلى حجرة مكتبه دون أن يولي بالا لوجود صلاح وكأنه يعتبره غير موجود بالمرة.

- أقدملك يامامي صلاح صديقي الذي وقف بجانبي منذ الحادثة أمس وحتى الآن، شاب رائع ومخلص يامامي ومكافح إن شاء اللّه تحبيه.

- أهلا يابني، نورتنا وشكرا على موقفك مع ياسمين بنتي، تعالى جنبي هنا واحكيلي على كل اللي حصل وبالتفصيل لأني عارفة ياسمين ما بتقولش كل حاجة.

وهنا شعر «صلاح» بطيبة قلب أم ياسمين ووجدها فرصة أن يقدم نفسه لها بطريقة جديدة، تلك الطريقة التي نصحه بها «أدهم» ليبرق صلاح «بالنيولوك الجديد» في المظهر والفكر والعمل على حسب ما سيكون. ومع انبهاره بالفيلا واتساعاها وديكوراتها وأثاثها، بدأ يقص لها الحكاية التي أرادها القدر وهو يشعر براحة كبيرة وتفاؤل أكبر.

●●●

- ألـووه يـا أدهـم، إزيـك، كنـت منتظـر تليفونـك ده مـن زمـان علشـان أطمئـن عليـك وأشـكرك علـى فكرتـك للنيولـوك كان لهـا صـدى رائـع في نفسـي ونفس النـاس في كاندليـه. كنت عايـز أعـرف لـو فيـه جديـد في موضـوع شـغلي معـاك؟

- طبعـا يـا صـلاح فيـه جديـد وعلشـان كـده أنـا اتصلـت عليـك علشـان نتقابل وأقولـك علـى مشـروع مسـابقة رائـع وممكـن لـو قدمنـا عليـه هاتكون لينـا فرصـة كبيـرة للفوز بيـه.

- رائـع يـا أدهـم، خـلاص نتقابـل بكـرة في نفـس الكافيـه إللـي تقابلنـا فيهـا أول مـرة لأن كان وشـها حلـو علـيّ.

- لأ أنـا هاجيلـك كاندليـه لأن موضـوع المسـابقة ممكـن نطبقـه عليهـا فالأفضـل نتقابـل هنـاك.

- أوك، نتقابـل علـى الكافيـه الأول وبعديـن نيجـي كاندليـه سـوا علشـان ماتجيـش لوحـدك المنطقـة.

- اتفقنـا، صحيـح.. أخبـارك إيـه مـع ياسـمين؟ هـي لسـة موجـودة ولا روحـت؟ وأخبـار النيولـوك معاهـا إيـه؟

- ياسـمين رجعـت يـا أدهـم وأخـذت معهـا النيولـوك والإشـعاع الجميـل إللـي كان مالـي الحـارة. بـس هـي كويسـة وأنـا علـى اتصـال بيهـا.

تلقى «صلاح» هذه المكالمة من أدهم وكأنها مصباح علاء الدين، فقد جاءت في وقتها تماما لكي يثبت لنفسه ولياسمين وأسرتها أنه يمتلك قدرات كامنة يستطيع توظيفها على درجة عالية من المهنية لعله يكتسب إعجابهم ورضاءهم عنه وقبولهم به في حياة ابنتهم الوحيدة. وعلى الفور اتصل صلاح بياسمين ليخبرها بمكالمة أدهم وما تحمله من أنباء سارة سوف يعرفها بعد قليل عندما يقابل أدهم في كاندليه.

فرحت «ياسمين» كثيرا بهذا الخبر وتمنت أن يكون بالفعل حقيقة لكي يجد صلاح نفسه فيه ويحقق أحلامه وإبداعاته، وفي الوقت نفسه لتقلل أميال المسافة بينه وبين أسرتها.

●●●

تمنت «ياسمين» أن تكون هناك في العوامة لدى عزيز به عندما كان صلاح هناك، وتمنت أن تكون هناك في كاندليه عندما كان صلاح صغيرا، وتمنت أكثر أن يكون هو معها في حيها الراقي عندما كان صغيرا. تمنت أشياء كثيرة ليكون صلاح معها وتكون معه منذ البداية. تمنت أن يكبرا سويا بحبهما دون أن يوضع في اختبارات عائلية قد تحول بينهما.

لـم تتوقـع ياسـمين أن تحـب بهـذه الطريقـة أبـدا ولـم تتخيـل أن يقـع قلبهـا ﻓﻲ حـب شـاب ليـس لـه أي مؤهـلات سـوى حبـه لهـا وطيبـة قلـب وأمانـة وتواضـع وإصـرار علـى النجـاح. هـي لـم تبحـث عـن صـلاح ولكنهـا بحثـت عـن خطيبهـا السـابق، وهـا هـي تحـب صـلاح وتتـرك السـابق بـلا نـدم. بـل وبسـبب غضبهـا علـى خطيبهـا السـابق يـوم حادثـة السـيارة تعرفـت علـى صـلاح دون أن تبحـث عنـه. مـا كل هـذه الترتيبـات التـي يضعهـا القـدر ﻓﻲ كتابـه ونحـن ننفذهـا مسـيرون ونتخيـل أننـا مخيـرون. وهكـذا تدابيـر القـدر حلـوة وجميلـة وسـهلة ولكـن نحـن أنفسـنا مـن يجعلهـا صعبـة وكأننـا لا نتوقـع إلا الصعـب حتـى اعتدنـا عليه.

تذكـرت ياسـمين حكايـة صـلاح واشـتاقت أن تسـمعها منـه مـرة أخـرى ولكـن بالتفصيـل وبكل الأسـرار التـي هـي متأكـدة أنـه مـا زال يخفـي عنهـا الكثيـر. اتصلـت عليـه لتقابلـه اليـوم بعـد المغـرب ﻓﻲ كافيه وسـط البلـد ولكـن بالقـرب مـن كاندليـه وكأنهـا أرادت أن تجلـس معـه وتسـمع منـه علـى أرض محايـدة بعيـدا عـن حيّهـا وبعيـدا عـن كاندليـه حتـى يكـون هـو علـى راحتـه.

فـرح «صـلاح» كثيـرا بمكالمـة ياسـمين وانتشـى قلبـه كقلـب عصفـور أخضـر وطلـب مقابلتهـا ﻓﻲ الكافيـه نفسـه التـي جلـس عليهـا يـوم أن قابـل أدهـم، المقابلـة التـي أثـرت فيـه ودعمتـه وقوتـه

يومها بأن يبوح بحبه لياسمين، المقابلة التي ساعدته أن يُجرب النيولوك وأن يتعرف على مجال الديكور وإمكانية العمل فيه. شعر بحنين شديد إلى هذه القهوة وإلى النادل الذي احتد عليه يومها وإلى المنضدة التي كان يجلس عليها يحتسي الشاي. اشتاق إلى الكافيه، واشتاق أكثر إلى الشعور بالنشوة والفرحة عندما تهل عليه ياسمين بابتسامتها بملء الكون وعطرها المميز الذي ما زال عالقا بخلايا جسده وإلى طاقتها الإيجابية التي تحول أي مكان تحل عليه إلى بستان.

ارتدى صلاح طقم الملابس الذي اشتراه للنيولوك، وأخذ معه الرواية التي كان قد شرع في كتابتها عن حي كانदليه منذ ثلاث سنوات والتي توقف عن كتابتها ليخبرها كم هو مشتاق الآن ومتحمس أكثر من أي وقت مضى ليكمل كتابة هذه الرواية التي كان قد أهملها. وأخذ معه أيضا بعض الرسومات التي كان قد رسمها عن حي كاندليه والحي الذي عاش فيه مع عزيز بك جنبا إلى جنب وكأنه أراد أن يذيب كلاهما في الآخر ولو على الورق. وأخبر ياسمين بأنه يرغب في طلب أدهم أن يأتي هو أيضا إلى القاء، ولكن بعد ساعة من لقائهما.

رغم أنها وافقت على اقتراح صلاح بدعوة أدهم إلا أن ياسمين استغربت جدا لهذا الطلب:

ليـه مُصـر يـا صـلاح أن يأتـي أدهـم، مـش المفـروض نكـون مـع بعـض لوحدنـا في المـكان ده والوقـت ده بالـذات.

- فعـلا يـا ياسـمين المفـروض نكـون لوحدنـا علشـان نتقابـل لوحدنـا الأول قبـل مـا ييجـي أدهـم لأسـتمتع بشـعوري وأنـا أنتظـرك، وبشـعوري وأنـتِ قادمـة علـيّ بابتسـامتك في نفـس المـكان الـذي هربـت فيـه مـن حبـي إليـكِ. ولكنـي أريـد أن يبـارك أدهـم هـذه اللحظـة، لحظـة لقائنـا هنـاك وأراه بشـحمه ولحمـه مـرة أخـرى في نفس المكان ولكـن بشـعور آخـر، شـعور اللقـاء مـع حبـي الـذي هربـت منـه. ثـم إنـي أريـد أن أطلعـه علـى رسـوماتي القديمـة في وجـودك. لا تتخيلـي يـا ياسـمين كـم سـعادتي الآن، أشـعر وكأنـي ولـدت مـن جديـد. أريـد أن أختصـر الزمـان والمـكان والطمـوح، أريـد أن أكـون سـوبر مـان لكـي أحقـق مـا فـات، أريـد أن أكـون صـلاح في ثوبـه الجديـد، صـلاح الـذي يسـتحقه حـب ياسـمين.

- يـا صـلاح هـون علـى نفسـك، أنـا ثقتـي كبيـرة فيـك وفي فكـرك وطموحـك حتـى قبـل أن تخبرنـي عـن معيشـتك الـكلاس مـع عزيـز بيـه وقبـل أن أعـرف أنـك شـرعت في كتابـة روايـة وقبـل أن أعـرف عـن رسـوماتك شـيئا. الحـب الحقيقـي يـا صـلاح يجعـل الحبيـب وكأنـه يلبـس طاقيـة الإخفـاء فتجعلـه يغـوص في أعمـاق الحبيـب فيـرى سـطحه وأعماقـه التـي لا يراهـا الآخـرون. وأنـا في أعماقـك وأعـرف مـا سـوف يكـون. اهـدأ حبيبـي فثقتـي بـك ليـس لهـا حـدود.

- وأنـا ثقتـي في حبـك لـي ليس لهـا حـدود يـا ياسـمين. أوك يـا أعـز النـاس، أراكِ بعـد سـاعة مـن الآن علـى الكافيـه في هـذا الشـارع العتيق، شـارع الذكريات.

- عموما يا صلاح أنا هاجيلك حالا علشان نقابل أدهم سوا ونفهم كل حاجة سوا ونناقشها معاه سوا، ماتنساش إن ده أول عمل ليك ولازم أكون معاك فيه بقلبي وفكري لنحفر هذه اللحظات الفارقة في حياتنا.

- واللّه أنا متفائل جدا يا ياسمين ولدي شعور بل اعتقاد جارف أن اللّه قدر ما قدر من مقابلتي لكِ أمام أعتاب كاندليه لتكون مشكاة تنير لي الطريق ومجدافا في بحر الحياة ومرآة أرى فيها نفسي التي كنت قد نسيتها ومحركا لعربة حياتي التي توقفت عند أحداث روتينية بعينها لا تغني ولا تثمن من جوع. ***هكذا القدر عندما يريد، يخلق أحداثا لم نفكر فيها لحظة ما، فنجدها أمامنا نعيشها ونلعب دور البطولة فيها لتغير دفة القارب في بحر الحياة ليبحر بنا إلى أرض جديدة وأناس جدد وشواطئ قريبة وبعيدة، فتتغير معالم الحياة وبلا استئذان. هكذا القدر عندما يريد.*** من يصدق يا ياسمين أن أقابلك في هذا المكان وهذا اليوم وهذه اللحظة التاريخية، وأن أتعرف عليك بكل هذه البساطة وأصطحبك معي إلى كانديله بهذه البساطة

وأستضيفك في حجرتي المتواضعة بهذه البساطة وأدير حوارا معك بكل هذه البساطة وتقبليني صديقا لك بكل هذه البساطة وأعلن عن حبي لك بكل هذه البساطة. كيف تكون البساطة هي عنوان الأحداث الكبرى التي كانت لنا محض خيال في حياة قصيرة، كيف تدق البساطة هكذا على الأبواب في لحظة ما وتدخل بيوتنا وتجالسنا بلا استئذان ونحن نقضي العمر نبحث عنها ولا نجدها. كيف تُصنع اللحظة التي أجد فيها نفسي بمشاعرها وطموحاتها وإمكاناتها المنسية بكل هذه البساطة. إنه القدر عندما يريد.

- فعلا يا صلاح، من يصدق أني أبيت في كاندليه وفي سريرك وأتجول في حارات كاندليه وأصادق نسوة ورجال من كاندليه، كيف كان لي أساسا أن أعرف كاندليه وأهل كاندليه. «كيف لي أن أكتشف أغوار نفسي الحقيقية الباحثة عن الحب الحقيقي وعن التحدي والطموح والاجتماعيات بعيدا عن التملق والتكبر والمظهرية. كيف لي أن أكتشف أن في داخل كل إنسان بسيط قد نراه ولا نشعر به أو قد نستأجره ولا نعير له انتباها أن يحوي داخله كل الناس وكل الفكر والقصص والروايات. إنسان يحمل بين ابتسامته الباهتة طموحات وأحلام تشيد جبال وبين مخيط ثيابه العالقة بثرى الأرض نفسا سامية صافية ومحبة وعفية. إنه القدر عندما يريد.. إنه القدر يا صلاح الذي يحيي الأحلام ويحقق الأمنيات ثم يميتها فجأة إذا شاء».

ضحكت «ياسمين» ضحكة كلها حنان أرخت ستائر العشق على قلب صلاح الذي تحول في لحظة إلى طفل يتمنى قطعة شوكالاته اسمها ياسمين.

●●●

قبل أن يأتي أدهم وينشغلا بالحديث معه، طلبت ياسمين من صلاح أن يقرأ لها بعض الأجزاء المحببة إلى نفسه من روايته كاندليه لتستمتع بها وترى ما فيها من أحداث.

فتح صلاح الرواية وبدأ بقراءة الإهداء، والذي توقعت ياسمين نصفه الأول ولم تتوقع النصف الآخر «أهدي أحداث روايتي هذه إلى أبي وأمي وأهل كاندليه الذين تعاملوا مع الحياة كصديق يحنو أحيانا ويهجر ويقسو أحيانا أخرى، وإلى أسرة أبي عزيز الذي تعلمت منه كيف تكون الحياة على الشاطئ الآخر من كاندليه».

- إهداء جميل يا صلاح.. كلماته مغموسة في منقوع الأصل والانتماء، فلم أتوقع أبدا أن تذكر عزيز بيه هنا نظرا لخروجك من حياته الناعمة بعد أن تعودت عليها. حقيقة لمسة رائعة منك أن تتذكر كل من كان حولك في السراء والضراء في اللحظة التي هي ملكك أنت ولا يملي عليك أحد محتواها.

- بالطبع يا ياسمين، أهل كاندليه وكما رأيتِ هم أناس فيهم كل شيء جميل، أناس تسكن فيهم طيبة وأصول ومودة وشجاعة وشرف ولكن بطريقة من المؤكد أنهم صنعوها وسط كاندليه تماما كما صنعها الناس على الشاطئ الآخر من كاندليه. كل مقتنع بما بين يديه من ثوابت ولكن بطريقته التي فرضت عليه. وتحليلي هذا وقناعتي هذه لم تأتِ من فراغ بل تأصلت لدي بعد انتقالي إلى فيللا عزيز بيه ومعايشتي لأحداث الناس على الشاطئ الآخر من الحياة بمعتقداتهم وثقافاتهم وعاداتهم. أيضا وجدت الشهامة والطيبة والأصل والشجاعة والشرف كما وجدتها في حواري كاندليه الضيقة والتي تمشي في بطونها القمامة ولكن بالطبع طريقة أخرى وبإنتاج وإخراج وآخر. ببساطة يا ياسمين حياة الناس في كاندليه ممكن تشبيهها بفيلم رومانسي تراجيدي كوميدي وأكشن ولكن بدون مونتاج ولا مكياج، أما الحياة على الشاطئ الآخر من كاندليه فهي نفس الفيلم ولكن يُصر المخرج فيه على الميكاب والمونتاج ليخرج مُتجملا عن الواقع. ولذلك فأنا أشكر عزيز بيه الذي أعطاني الفرصة أن أرى الفيلمين على أرض الواقع، بل أدين له بمشاعر الود والحنان والاهتمام والحب الذي غمرني به في السنوات التي عشتها معه، فقد كان فعلا أبا رائعا. فخروجي من حياته كان بقرار مني حتى وإن كانت أسباب القرار خارجة عن إرادتي.

- تشبيهك رائع ومنطقي فعلا يا صلاح، فعلا العقائد واحدة ولكن ما يشكلها ويخرجها ويعطيها اللمسة النهائية وكما قلت أنت الميكياج هي البيئة المحيطة بالناس التي تجعل المنتَج راقيا أو عشوائيا مع أن الباطن واحد. عموما المقدمة جميلة جدا وسعدت بها أكثر مما توقعت. وحتى لا يأخذنا الوقت قبل مجيء أدهم ياريت تقرأ لي بعض المقاطع من الرواية التي أثرت فيك جدا وتعتبرها ذات دلالة خاصة لك شخصيا وللقارئ.

- ده موضوع صعب يا ياسمين؛ لأن الرواية كلها هذا الإحساس، فهي تتحدث عن فئة من الناس تعيش الحرمان بكل أنواعه ولا تملك من أمرها شيئا إلا القوة، فئة أرادت الحياة ولكن الحياة ولت لها ظهرها، فئة تصارع شظف الحياة وهي ترى الجانب الآخر ينعم بالحياة. عندما تكتبي عن فئة مثل هذه وأنت أحد أفرادها تكن كل كلماتك وتعبيراتك موجعة وتنم عن واقع أكبر من الكلمات. كاندليه يا ياسمين هي الماء الآسن بعد أن توقف جريان النهر، هي الوحل والطين بعد توقف هطول المطر في أرض يغطيها التراب. كاندليه يا ياسمين هي العرق الذي يجمل تعب الحياة.

- ياه، كل ده يا صلاح! إنت كده تعبت قلبي، حاسة إني باشترك في جرم كبير لأنك تعتبرني من الشاطئ الآخر للحياة، ولم أفعل شيئا يزيل عرق كاندليه ويخفف من رائحة مائه الآسن،

أشعر بعار لأني أقف مكتومة الأيدي هكذا ولا أفعل شيئا لأناس من دمي ولحمي وعلى بعد أمتار مني وهم يجترون كل هذا الألم وأنا لا أفعل شيئا. كم أتمنى يا صلاح أن تأتي إليّ الفرصة فأفعل شيئا لتصير الحياة هنا كمثيلتها على الشاطئ الآخر. ولكني على أية حال لم أكن أعلم شيئا عن هذه المنطقة قبل أن أقابلك. فأوعدك أن أفعل ولكن بشرط أن تساعدني.

- يا فندم العمايل كثيرة ومن يريد أن يفعل لن يوقفه شيء. وعموما أقل ما يمكن عمله هو محو أمية الناس في القراءة والكتابة والأمية الفكرية والأمية الأمنية والثقافية وغيرها من الأمور التي تورط فيها أهل كاندليه دون أن يدروا.. عارفة يا ياسمين أنا حلمي يبقى فيه تبادل ثقافي بين أهل كاندليه وأهل الشاطئ الآخر على الأقل على مستوى الأطفال والشباب.

- تقصد إيه بالتبادل الثقافي؟ هو احنا هانطَلَّع بعثات ولا إيه! وضحكت «ياسمين» على هذه الدعابة، محاولة منها لإخراج صلاح من الحالة الدرامية التي تملكته وهو يتحدث عن كاندليه.

- ياستي دي فكرة رائعة وبسيطة ولا بعثات ولا حاجة، والفكرة دي جات في ذهني بعد خروجي من حياة عزيز بك ورؤيتي بنفسي الفروقات الكبيرة بين حياتي في كاندليه والحياة عند عزيز بك. ولذلك فأنا أريد أن يعيش حالتي وتجربتي كثير

مـن أطفـال وشـباب القريـة حتـى يدركـوا الحيـاة هنـا وهنـاك تمامـا كمـن لا يعـرف عـن حيـاة السـفر شـيئا إلا إذا سـافر بنفسـه وجـرب الغربـة والثقافـة واللغـة والعـادات الجديـدة.

- واللّه فكـرة جنـان فعـلا، ولـم يفكـر فيهـا أحـد مـن قبـل ولكـن إزاي تتنفـذ؟ أعتقـد إنـي لـم أسـمع عنهـا مـن قبـل، صحيـح فيـه البعثـات وإرسـال الباحثـين إلـى الخـارج للتعلم والعودة لنقـل مـا تعلمـوه في الـدول المتقدمـة ولكـن لـم أسـمع عـن تبـادل داخلـي علـى مسـتوى حتـى الباحثـين. فكـرة جديـدة ولكـن مـن يُنَفـذ ومـن يقـوم علـى التنفيـذ. صحيـح سـمعت عـن برنامـج العائلـة المضيفـة في بعض الـدول مثـل اليابـان وأمريكا، تقـوم العائلـة باسـتضافة طالـب مـن أي دولـة لمدة أسـبوع أو شـهر وتغطيـة معيشـته ودراسـته وإقامتـه كامـلا وكأنـه فـرد مـن العائلـة. أعتقـد هـذا البرنامـج شـبيه بمـا تقـول ولكـن مـن طـرف واحـد.

- التنفيـذ سـهل، كل مـا أفكـر فيـه هـو ببسـاطة يشـبه برنامـج العائلـة المضيفـة هـذه، ولكـن مـن الطرفـين وطبعـا بين شـباب أسـرتين، أسـرة مـن كاندليـه والتانيـة مـن نفـس المدينـة ولكـن خـارج كاندليـه.

أعتقـد بالطريقـة دي سـيعيش كل شـاب حيـاة الشـاب الآخـر لفتـرة زمنيـة ولتكـن في الأجـازة الدراسـية. بالشـكل ده الشـباب يتعلمـوا الحيـاة بأنواعهـا، شـظفها ونعيمهـا وبالتالـي سـوف يؤثـر

بطريقـة إيجابيـة علـى العلاقـات الإنسـانية. ومـين عـارف، يمكـن بالطريقـة العمليـة دي تخلـق صداقـات بـين المئـات مـن أدهـم وصـلاح بـدلا مـن أن تلعـب الصدفـة وحدهـا في خلـق هـذه الصداقـة.

- واللّه فكـرة جنـان يـا صـلاح وأنـا علـى اسـتعداد أن أكـون أول المشـاركين فيهـا. وبعديـن أنـا هـاتبنـى الفكـرة دي لـو وافقـت وتكـون عنـوان بحثـي في الدكتـوراة، وياريـت الكليـة توافـق هـاتبقـى طريقـة جديـدة وعمليـة في التعايـش وفهـم الآخـر.

ابتسـم «صـلاح» بوسـع وجنتيـه: طبعـا طبعـا أنـا موافـق بـس أكـون المشـرف علـى الرسـالة يـا فنـدم. أدهـم وصـل هنـاك، فرصـة ناخـد رأيـه في الموضـوع ونختبـره مقدرتـه العمليـة علـى التوافـق الاجتماعـي. ولا بـلاش نقولـه دلوقتـي؟

وقبـل أن تـرد ياسـمين وجـدت أدهـم أمامهـا وكانـت المفاجـأة الكبـرى.

●●●

الفصل الثاني والعشرون

«ضحكت ياسمين ضحكة كلها حنان أرخت ستائر العشق على قلب صلاح الذي تحول في لحظة إلى طفل يتمنى قطعة شوكالاته اسمها ياسمين»

- مش معقول، داليــــــــــا شوقي المعروفة بياسمين؟!! شيء لا يصدقه عقل، لم أتخيل قط أن الدنيا صغيرة بهذا الشكل إلى درجة أن نتقابل بعيدا عن العائلات وبعيدا عن الشارع ولكن هنا أمام كاندليه وبدعوة وترتيب من صلاح الذي لم أقابله إلا مرة واحدة. إنه فعلا القدر عندما يريد. أنا سعيد جدا أن أقابلك هنا ومع أعز الأصدقاء الجدد في حياتي والذي شعرت بأنه صديق من طراز خاص، صديق أستمع إليه فأرتاح وأتحدث إليه فأرتاح أكثر.

- أنا كمان مندهشة يا أدهم، فأنا سمعت عنك وقابلتك في بعض المناسبات العائلية ولكن لم أتحدث معك من قبل، وها هو القدر الذي يقرر أن نتحدث سويا ويحدد الزمان والمكان والأشخاص. أنا سعيدة جدا إنك أدهم صديق صلاح، وفعلا الأرواح جند مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. إيه رأيك يا صلاح في المفاجأة الكبيرة دي؟

- مفاجـأة مذهلـة فعـلا يـا ياسـمين، لـم يخطـر لـي علـى بـال أن أكون أنـا المتفـرج عليكمـا في هـذه اللحظـة التاريخيـة. وبابتسـامة محملـة بالغيـرة الخفيـة: واضـح بقـى إن أنـا الغريـب والمفـروض تقدمونـي لبعـض مـش أنـا اللـي أقدمكـم لبعـض.

- إيـه يـا صـلاح، إنـت هاتبتـدي تغيـر ولا إيـه، أدهـم زي أخويـا وأنـا سـعيدة بيـه جـدا لأنـه هايكـون في جانبنـا وهايسـاعدنا كتيـر علـى تخطـي كثيـر مـن المطبـات.

- معقـول برضـه صـلاح يغيـر عليـكِ!! بـس أكيـد مـش منـي، اعتبرونـي صديـق مخلـص قبـل مـا أكـون شـريك في مـا نحـن قادمـون عليـه اليـوم مـن أعمـال أتيـت لكمـا لنناقشـها سـويا ونسـتفيد منهـا أكبـر اسـتفادة.

- يـا جماعـة أنـا مـش غيـران ولا حاجـة، أنـا بـس متغـاظ منكـم إنتـم الاتنـين، يعنـي أنـا عمـال أفكـر قبـل مـا تيجـوا إزاي أقدمكـم لبعـض، أفاجـأ إنكـم عارفـين بعـض قبـل أنـا مـا اعرفكـم وتبوظـوا عليّ تفكيـري، عمومـا ريحتونـي، والقـدر ريحنـي ويـا رب يظـل يريحنـي كـده علـى طـول.

- إيـه رأيـك يـا صـلاح كـده كفايـة هنـا ونـروح كانـدليـه ونتقابـل أمـام المسـجد لإنـي أحببـت هـذا المـكان جـدا وأحببـت شـيخ المسـجد

جـدا، كيـف لا وهـو الوحيـد الـذي يحمـل سـرك الكبيـر، سـرك مـع عائلـة عزيـز بـك. فلنصلـي هنـاك العصـر سـويا ثـم نتحـدث مـع أدهـم لنـرى مـاذا لديـه ومـاذا يمكـن لنـا أن نعطيـه وكيـف لـك أن تشـاركه. ويارـيت يكـون الاجتمـاع في معيـة الشـيخ فهـو رجـل بشـوش وأتفـاءل بـه ويعلـم كل شـيء عـن كاندليـه ولـه رؤيـة في الحيـاة عامـة وفي حيـاة أهـل كاندليـه خاصـة.

- أوك يـا ياسـمين فكـرة رائعـة فلنتقابـل هنـاك يـا أدهـم.. ولا أيـه رأيـك؟ وفرصـة نصلـي العصـر سـويا لعـل اللّه يبـارك في أفكارنـا وفي طموحاتنا.

- موافـق أكيـد يـا صـلاح ولكـن إيـه حكايـة سـرك إللـي مـع شـيخ المسـجد! ومـين عزيـز بيـه إللـي قالـت عليـه ياسـمين؟! الظاهـر فيـه حاجـات كتيـر قلـت لياسـمين عليهـا وأنـا ماعرفهـاش. مـش تقولـي برضـه، مـش احنـا بقينـا أصدقـاء خـلاص ولا إيـه؟

- دي حكايـة طويلـة بطـول كاندليـه يـا صديقـي العزيـز.. أكيـد هاقولـك عليهـا بـس في الوقـت المناسـب علشـان مـا تتخضـش.

ضحـك الثلاثـة، وركـب صـلاح مـع ياسـمين، ووراءهـم أدهـم إلـى مسجدكاندليه.



المسجد مفتوح، فأذان صلاة العصر على وشك. وصل أدهم في الميعاد إلى مدخل كاندليه، وانتظرا ياسمين هناك والتي وصلت هي الأخرى بعد دقائق. وكانت مفاجأة كبرى أن يكتشف صلاح أن أدهم وياسمين يعرف كل منهما الآخر حق المعرفة، فهم جيران يسكنا الشارع نفسه الذي عرفه منذ أن أوصلها إلى بيتها.

لا يوجد في المسجد أحد إلا شيخه الذي خرج مسرعا عندما سمع صوت فرامل السيارات، ليرى من القادم من خارج كاندليه.

وبعض الانتهاء من أداء الصلاة وراء شيخ المسجد وعدد لا يزيد عن ثلاثة رجال من أهل كاندليه، أخرج أدهم الإعلان عن المسابقة من جيبه ليقرأه أمام صلاح وياسمين وشيخ المسجد الذي لا يفهم إلى الآن سر مجيء الثلاثة، فمؤكد أنهم لم يأتوا للصلاة فقط، ولكنه لم يشأ أن يسأل أيا منهم حتى يدرك ما يجري أولا.

نظر «أدهم» إلى صحن المسجد يتفحصه بتمعن، ثم نظر إلى الشيخ مبتسما ومتسائلا: ما هو حلمك لهذا المسجد يا عمنا الشيخ؟

- والله يا ابني حلمي الأكبر أن يُعمر بالمصلين عامة ومن أهل كاندليه خاصة. أنا أعلم جيدا كم هم طيبون أهل كاندليه ومقدار

محبتهـم لله ولرسـل الله ولكـن هــي الطبائـع التــي غلبـت الوقائـع. ولكـي تتغلـب الوقائـع علـى الطبائـع لا بـد مـن التعليـم والتثقيـف والتنويـر ولـن يتأتـي ذلـك إلا ببرنامـج تأهيلـي لهـذه المنطقـة ومثلهـا. حينئـذ سـوف نـرى تغيـرات ليسـت في المسـجد فقـط بـل في الشـارع والحـارة داخل وخـارج كاندليـه.

- كلامـك أعجبنــي جـدا عمنـا الشـيخ، هـل سـمعت عـن أي مجهـودات مـن قبـل لبرامـج مثـل هـذه بغـرض تطويـر المـكان. ولا ده مـن بنـات أحلامـك وأفـكارك؟

- والله يـا أدهـم يـا بنـي سـمعت كتيـر ولكـن بـلا فائـدة ولا نتيجـة وكلهـا فرقعـة في الهـواء وكلام جرائـد. فلـم أعـد أصـدق مسـئول ولكـن دعائـي إلـى الله بتغييـر الحـال لـم ولـن ينقطـع فالأمـل معقـود خاصـة أن حـال معيشـة النـاس هنـا تسـوء مـن يـوم إلـى يـوم. لكـن مـا سـر هـذا السؤال يا ترى؟!

- ولا سـر ولا حاجـة يـا عمنـا الشـيخ، هـاقولـك ليـه بسـأل.. ولكـن قبـل مـا أقولـك ياريـت تقولـي علـى حلمـك التانـي للمسـجد ده، مـا هـو مـش معقـول يكـون حلمـك هـو زيـادة عـدد المصلـين وبس.

ضحـك الشـيخ مطبطبـا علـى كتـف أدهـم: يـا بنـي الصـلاة هـي عمـاد الديـن مـن أقامهـا فقـد أقـام الديـن ومـن هدمهـا فقـد هـدم

الديـن. وأكيـد إنـت عـارف كـده. ولذلـك إذا أردت أن تصلـح فـردا أو مجتمعـا فعليـك بالدعـاء لـه وحثـه علـى الصـلاة، ولكـن لكـي يسـتفيد منهـا يجـب أن يكـون مـدركا ليـس فقـط قوانينهـا ولكـن الفلسـفة منهـا لكـي ينـال روحانياتهـا وتنعكـس علـى سـلوكه وطبعـا لا يتأتـى ذلـك إلا بالتوجيـه والتنويـر بغـض النظـر عـن الفقـر أو الغنـى. الصـلاة يـا أدهـم هـي المسـاحة الخضـراء في حيـاة الإنسـان التـي يسـتطيع أن يذهـب إليهـا في أي وقـت يشـاء ليتنفـس هـواء روحانيـا يجـدد نبضـات قلبـه ودقـات عقلـه. ومـع ابتسـامة هادئـة مطمأنـة سـأل الشـيخ أدهـم: أليـس لديـك مسـاحة خضـراء تذهـب إليهـا أم لا؟

- طبعـا يـا شـيخنا الجليـل لـديّ مسـاحة خضـراء كبيـرة ولكـن للأسـف لا أزورهـا باسـتمرار.. ولكـن أوعـدك أزورهـا كل يـوم خمـس مـرات. بـس برضـه قولـي مـا هـو حلمـك الثانـي لهـذا المسـجد؟

وهنـا تدخـل «صـلاح»: يـا عـم أدهـم الشـيخ وكمـان أنـا نتمنـى أن يتحـول هـذا المسـجد في يـوم مـا إلـى منـارة تعليميـة لأهـل المكان، فكمـا تـرى لا توجـد مـدارس ولا حضانـة ولا مكتبـة ولا أي أنشـطة للأطفـال أو الشـباب سـوى اللهـو في الشـارع وسـط أكـوام القمامـة والمخلفـات. فلـو تحـول هـذا المسـجد إلـى مجمـع مدرسـي ومكتبـة ونـادٍ اجتماعـي لتحقـق حلـم الشـيخ الـذي يتمنـاه منـذ أن حـكاه لـي في طفولتـي.. وأعتقـد أن هـذا سـوف يظـل حلمـا إلـى أن يشـاء اللّٰه.

وبابتسـامة فيهـا اسـتنكار للحـال وجـه صـلاح نظراتـه إلـى الشـيخ: ومـين عـارف يمكـن حـد مـن أغنيـاء البلـد يجـدد المسـجد ويحقـق الحلـم وياخـد ثـواب مـن الله وخصـم مـن الضرائـب.

وهنـا تدخلـت «ياسـمين» علـى اسـتحياء: والله عنـدك حـق يـا صـلاح، أنـا باسـتغرب ليـه رجـال الأعمـال مـا يصرفـوش ضرايبهـم وزكاتهـم علـى العشـوائيات زي مـا بيعملـوا في أماكـن تانيـة أساسـا مـش محتاجـة. وكمـان ليـه مـا يكونـش فيـه حملـة توعيـة للنـاس تحثهـم بالتبـرع لتطويـر المنطقـة ككل زي مـا بيعملـوا حمـلات تبـرع للمستشـفيات والمسـاجد في كل مكـان. أنـا فعـلا باسـتغرب ليـه الفكـر ده مـا يكونـش موجـود وهـا يكـون أسـرع حـل.. وليـه الطلبـة لمـا يتخرجـوا مـا يجـوش يقضـوا الخدمـة المدنيـة هنـا في تعليـم وتنويـر وتطويـر المـكان. حقيقـي أفـكار بسـيطة ولكـن ممكـن تغيـر المـكان تمامـا. بس بصراحـة النـاس معذورة فأنـا شـخصيا عمـري مـا فكـرت في هـذا الـكلام إلا بعـد مـا حكمـت الظـروف وجئـت المكان وكمـان لمـا ناقشـنا الموضـوع دلوقتـي مـع بعـض. أعتقـد الحـل في عقـد نـدوات هنـا في كاندليـه ودعـوة رجـال الأعمـال وأصحـاب القـرار والمهتمـين.

وبضحكـة فيهـا إعجـاب مخلـوط باسـتنكار تدخـل الشـيخ حتـى ينقـذ صـلاح مـن الـرد الـذي يعلمـه: يـا دكتـورة ياسـمين المفـروض ده دوركـم إنتـم في الجامعـة وخاصـة المتخصصـين في علـم الاجتمـاع، يـلا يـا سـتي شـيدي حيلـك واحنـا نسـاعدك ونجهـز كل حاجـة.

وبابتسامة سريعة تدخل أدهم موجها نظراته المبتسمة إلى يا سمين: عندك حق يا عمنا الشيخ خاصة إن ياسمين فوق إنها دكتورة في علم الاجتماع فهي كمان سليلة عائلة غنية ومعروفة يعني كده ممكن تعمل الدعم المعنوي والعلمي والمالي. مش كده ولا إيه يا ياسمين؟ أنا مش بحسد والله، أنا بغبط بس هاهاها.

- ماشي يا أدهم، ما الحال من بعضه، ما انت كمان يا باشمهندس سليل عائلة كبيرة وغنية وكمان إنت مهندس ديكور قد الدنيا وعمرك ما فكرت في المنطقة هنا مع إنك ممكن تكون عارفها كويس!!

- أنا لا ألوم نفسي فقط ولا ألومك يا ياسمين، أنا بس بنوه فكل من يستطيع هو مقصر في حق العشوائيات، وبالطبع أنتِ محقة، ولذلك طلبت صلاح علشان أقابله النهاردة علشان فكرة تطوير المنطقة، شفتِ بقى إنت ظالماني إزاي.

ضحكت ياسمين ومعها صلاح في نفس واحد: يا سيدي ما احنا جينا أهو وعايزين نعرف بقى إيه الحكاية شوقتنا.

وقبل أن يبدأ أدهم في قراءة ورقة الإعلان التي معه أسرع الشيخ بابتسامته الهادئة وكلماته الأهدأ: لا تتخيلوا يا ولاد كم سعادتي اليوم بهذه الجلسة بغض النظر عن اللي هايقوله أدهم.

كم كنت أفتقد لمثل هذه الحوارات والنقاش هنا في كاندليه ولكن مع شباب من خارج المنطقة لمناقشة أمور الحي، كم كنت أتمنى ذلك وها هو قد حدث دون موعد ولا ترتيب، بل هي إرادة الله الذي إذا أراد شيئا سيكون. من كان يدري منا أن نتقابل في هذه اللحظة، وهل كانت ياسمين أو أدهم يتوقعا أن يتقابلا هنا في هذا المكان، وهل كان يتوقع صلاح أن يتقابل مع ياسمين وبعدها أدهم وتتكون هذه العلاقة الجميلة بينكم وبيني، إنها إرادة السماء تهيئ الأسباب عندما تريد تحقيق الأشياء. حقا كم أنا سعيد باللقاء وسعيد بكم جميعا وكم التهب عندي الأمل الذي نام طويلا بداخلي.

- فعلا يا عم الشيخ، الأقدار فوق الأحلام والأسباب، دعوني أشرح الأسباب.. الموضوع ببساطة أنه تم طرح مسابقة أحسن ديكور أيا كان نوعه بشرط أن يتميز بالإبداع، وشريطة أن يكون في منطقة عشوائية وأن يؤدي إلى تطوير المنطقة بصورة غير تقليدية. وعندما قرأت المسابقة وشروطها خطر على بالي فورا منطقة كاندليه حسب ما سمعت من صلاح وبعد أن جمعت عنها معلومات وبعض الصور. وأعتقد أنني أستطيع دخول هذه المسابقة ولكن كفريق معكم. وجود صلاح بأفكاره غير التقليدية مع علمه جيدا بالمكان وكذلك عمنا الشيخ، ووجود ياسمين بدراستها في

علـم الاجتمـاع سـوف يـؤدي إلـى مـزج أفكارنـا بالواقـع والخبـرة.. وعنـدي إحسـاس كبيـر بقدرتنـا علـى الفـوز بالمسـابقة. إيه رأيكـم في المفاجـأة دي؟

– واللّه فيـك الخيـر يـا باشـمهندس أدهـم إنـك فكـرت فينـا -وخاصـة صـلاح- في الاشـتراك معـاك في المسـابقة، وأنـا جاهـز وعلـى اسـتعداد لأي أي مجهـود.

– وانـت يـا أبـو صـلاح، سـاكت ليـه، إيـه قولـك يـا بطـل، إيـه أفـكارك، إيـه رؤيتـك؟

– نسـمع منـك الأول يـا باشـمهندس وبعديـن هاقولـك رأيـي في الموضـوع.. وياريـت تقولنـا سـابق خبرتـك في مثـل هـذه المسـابقات أو مسـابقات فـاز بيهـا نـاس تانيـة. أكيـد ده هايسـاعدنا علـى التفكيـر والتطوير.

– يـا صـلاح أن عايـز أفـكار غيـر تقليديـة لكـي نفـوز بالمسـابقة، وعلشـان كـده مـش هـا قولـك عـن سـابق خبرتـي وخبـرة الآخريـن إلا بعـد مـا تقولـي رأيـك ورؤيتـك إنـت. ولا إيـه يـا ياسـمين؟

– أنـا موافقـاك يـا أدهـم بـس ممكـن تقولنـا معلومـات أكثـر عـن المسـابقة علشـان نفكـر مـع بعـض بصـوت عالـي؟ أنـا شـخصيا متحمسـة لفكـرة المسـابقة جـدا جـدا وهـاكون سـعيدة لـو كان لـي دور

تنويري تثقيفي اجتماعي. أنا دايما باحلم أعلم الأطفال عموما أصول الإتيكيت خصوصا في أدب التعامل وخاصة البنات في المجتمعات الفقيرة ولكن لم يخطر ببالي أبدا هذا الفقر الشنيع في كاندليه.

ضحك «صلاح» وهو يصوب نظرة إعجاب إلى ياسمين: بسرعة حددتِ هدفك ودورك يا ياسمين وبحماس، برافو عليكِ. هكذا تكون الأنوثة في ثوبها العلمي. طبعا أنا معاكِ إنه يكون فيه دور اجتماعي وتثقيفي كبير في الموضوع ولكن ده مش هايبان في الأول، هاياخد وقت لحد ما يبان تأثيره. علشان كده عايزين خطة آجلة وعاجلة.. منها طبعا الدور الاجتماعي والتنويري والتعليمي والفني وأهم حاجة البنية التحتية. وطبعا الدور الديني لعمنا الشيخ.

- أيوه كده يا عم صلاح، سخن أفكارك علشان تبخر المكنون عندك، عايزين إبداع غير مسبوق، إمال اسمها مسابقة ليه، ما هو علشان لازم الفكرة اللي تفوز تكون غير مسبوقة، مش كده ولا إيه يا عم الشيخ؟

- واللّه يا أدهم يابني برافو عليك، أنا أول مرة آخد بالي من علاقة لفظ المسابقة بلفظ مسبوق، فتح اللّه عليك منك نتعلم.

وبضحكة أراد بها أن يلهب أفكار صلاح: بس مش برضه قبل ما صلاح يقولك أفكاره تقوله المسابقة قيمتها إيه علشان يديك أفكار غير مسبوقة.. مش كده ولا إيه يا أبو صلاح؟

وبابتسامة مغلفة بدعابة مرحة: وماله يا عم الشيخ من حقي برضه، إمال يعني ببلاش، مش الأفكار دي برضه عايزة تتغذى علشان تكبر وتحلو. إمال لو أنا قلت أفكار حلوة وأنا مجرد صلاح، أفكار ياسمين بقى هاتكون إيه وهي صاحبة الجمال بل الجمال نفسه.. إذا كان عليّ أنا شايف إن كفاية نحط صورة ياسمين على صفحات فاضية ونقدمها للمسابقة، أكيد هانكسبها وبلا منافسة. تكفي ابتسامة ياسمين، ونظرة ياسمين التي تطل منها ومضات الراحة وإمضاءات الجمال. بصراحة ياسمين أكبر وأجمل وأحلى وأغلى مسابقة في الوجود، ياسمين هي..

- إيه يا صلاح، إنت نسيت المسابقة إللي أنا جاي بسببها وما نمتش بقالي تلات ليالي وهتعلن عن مسابقة ياسمين! يا سيدي أنا عارف مين ياسمين وكم من شباب حيِّنا تمناها وهي غير راغبة، ياسمين هي أميرة حينا يا فندم، وأنا بصراحة بحسدك يا أبو صلاح على حبكم لبعض وعلشان كده نفسي نكسب المسابقة دي علشانا كلنا. هاتبقى إضافة لي كبيرة وأحقق منها حلمي الكبير في تطوير تطبيق الديكور، والحلم الكبير لعمنا الشيخ

في المسجد، وحلمك إنت شخصيا في تغيير مسار حياتك المهني وتحقيق هواياتك وإبداعاتك على أرض الواقع، وحلم ياسمين في جعل علم الاجتماع ينزل من الكتب ويمشي متبختر في الشارع والطرقات، وحلم أهل كاندليه في تغيير حياتهم جذريا إلى حياة أفضل وأنظف وأجمل وأرقى. دي المسابقة يا عم صلاح، أما مسابقة ياسمين فليس هناك منافس يا حبيبي، هاتفوز بيها بالتزكية، بس بشرط تفوز بالمسابقة بتاعتنا الأول.

- فعلا يا أدهم، عندك حق، إنت رتبت الأفكار المبعثرة للمسابقة في دماغي، فعلا لا بد من الفوز بهذه المسابقة لأفوز بياسمين وأفوز لنفسي من أجل ياسمين. وأنا جاتلي فكرة من خلال كلامك، ليه ما نخليش أحلامنا إللي إنت قلتها لعمنا الشيخ وليك وليّ ولياسمين هي الأهداف الرئيسية للمسابقة ولكن من غير شخصنة، يعني مانربطهاش بأسماء ولكن بصورة عامة. أعتقد ممكن تكون البداية من هنا ومن خلال هذه الأهداف ممكن نحدد الآليات التي تحقق الأهداف بطرق غير تقليدية. بمعنى أن الأفكار غير المسبوقة تكون في كيفية تحقيق الأهداف وليست في الأهداف نفسها. مثلا بعد هدم العشوائيات ممكن الديكور يبدأ من الخارج إلى الداخل وليس فقط في الداخل بعد بناء المبنى كما هو معتاد. فمثلا تصميم البيوت نفسه ممكن يأخذ

البصمة الثنائية من الديكور العشوائي والديكور المنظم الحديث، مش علشان نُبقي على لمسة وبصمة كاندليه القديمة وبس، ولكن أيضا لتسويق البصمة الكاندلية في ثوبها الجديد. أو ممكن نصمم بيت واحد يمثل كاندليه القديمة وسط كل مجموعة من العمارات الجديدة لكي يمثل البصمة الديكورية الكاندلية. ومين عارف، يمكن تصبح طريقة الديكور دي هي الموضة.

- والله فكرة إدخال الديكور في تصميم المبنى ممتازة وكذلك فكرة مزج الكاندليه القديمة والجديدة أوريجينال. انا في زيارتي لليابان وجدت النموذج الديكوري ده في كل بيت بيتصمم بحيث يكون فيه جزء ولو حجرة واحدة معمول على الطراز الياباني القديم بكل ما فيه من طريقة المعيشة، وباقي البيت بيتم تصميمه على النظام الحديث. والهدف من ده طبعا إبقاء التاريخ حيا في ثوب الحاضر وممتدا إلى المستقبل على أرض الواقع لكي تتوارثه الأجيال حيا وهم أحياء. وفي دول أخرى زي إيطاليا وأمريكا على سبيل المثال بيُبقوا على شكل البيوت القديمة على نفس طرازها المعماري وديكوراتها التاريخية من الخارج مع إدخال الطابع الحديث في الداخل. وفيه بعض الدول مثل الصين نجدها حريصة على طرازها المعماري والديكوري في أحياء بأكملها في بلادها وكمان في البلاد الأخرى زي المدينة الصينية في معظم بلاد العالم.

علشـان كده أعتقـد إن فكرتـك يـا صـلاح في مـزج ديكـور كاندليـة قبـل وبعـد التطويـر سـوف يمثـل موديـل جديـد ورائـع لتعميمـه في مصـر في حالـة تطبيقـه ونجاحـه خاصـة إن النمـوذج ده غائـب بالرغـم مـن تميـز مصـر بطـراز معمـاري رائـع زي دوار العمـدة الـذي اندثـر وكان يجب أن يخصص له متحفا.

- واللّه يـا أدهـم مـع إنـي مـش بحـب الانعزاليـة في التصميـم إلا إنـي أقتـرح تصميـم سـور حوالـين كاندليـه بعـد التعديـل وياريـت لـو نسـيب السـور ده لتسـجيل الحيـاة اليوميـة في كاندليـه القديمـة كأنـه متحـف مفتـوح.. ويـا سـلام لـو تـم اكتشـاف بعـض أصحـاب المواهـب في الرسـم مـن أهـل كاندليـه ويتـم تدريبهـم علشـان يشـتركوا في إخـراج هـذا المتحـف المفتـوح. إيـه رأيـك يـا أدهـم إنـت وياسـمين في فكـرة السـور دي؟

- واللّه يـا صـلاح فكـرة جنـان ومـش انعزاليـة ولا حاجـة، دي فكـرة بمليـون جنيـه. وبعديـن السـور هايحافـظ علـى كاندليـه الجديـدة وهـا يديهـا الطابـع الأسـطوري والتاريخـي وكأنـه سـور العيـون، وكمـان بالطابـع الحديـث زي الأسـوار إللـي حوالـين المـدن السـكنية الحديثـة. حقيقـي فكـرة ممتـازة لـم تخطـر لـي علـى بـال، فكـرة بمليـون جنيـه. ولا إيـه رأيـك يـا ياسـمين إنـتِ وعـم الشـيخ؟

- هـي فعـلا فكـرة رائعـة يـا أدهـم، يكفـي إن صـلاح هـو اللـي فكـر فيهـا، تبقـى أكيـد حلـوة، الفكـرة دي لوحدهـا عايـزة جايـزة. وبضحكـة تملؤهـا أنوثـة المحبـين طلّـت ياسـمين في عينـي صـلاح تغازلـه: بس أهـم حاجـة تسـجلوا أحـداث الحادثـة بتاعتـي كلهـا مـن أول مـا اتخبطـت بالعربيـة في العمـود وصـلاح أنقذنـي لحـد مـا رحـت عنـده ولبسـت الجلابيـة ومشـيت في الشـارع. وأهـو كـده نبقـى دخلنـا التاريـخ أنـا وصـلاح وحطينـا النـاس بمـا فيهـم أهلـي قـدام الأمـر الواقـع هاهاها.

وهنـا تدخـل إمـام المسـجد بسـرعة لينقـذ حالـة الكسـوف التـي وقـع فيهـا صـلاح تحـت تأثيـر كلمـات ياسـمين الرقيقـة: يـا شـباب أفكاركـم كلهـا رائعـة، بـارك اللّه فيكـم وخاصـة أدهـم الـذي أحضـر هـذه الفرصـة لنـا هنـا نفكـر فيهـا سـويا لمصلحـة هـذا المكان المتهالك. جلسـتنا هـذه لا تقـل أبـدا عـن أي جلسـة مـن الجلسـات الدينيـة بـل تفوقهـا لأن النيـة هـي المصلحـة وكل فكـرة تخـرج مـن عقلنـا هـي للمصلحـة، ولذلـك فأنـا متأكـد أن الفـوز بالمسـابقة سـوف يكـون مـن نصيبكـم إن شـاء اللّه لأن يـد اللّه مـع الجماعـة، وهـا أنتـم جماعـة.

- طيـب ياريـت يـا عـم الشـيخ تدينـا فكـرة تنورنـا خاصـة لـو لهـا علاقـة بالمسـجد، أنـا كمهنـدس ديكـور أتمنـى عمـل شـيء جديـد للجامـع.

- بالنسبة للمسجد يا أدهم يكفي أن يبنى فوقه مجمع خدمي كما ذكرت في البداية، يشمل مستشفى، مدرسة، مكتبة، صالة ألعاب، كل شيء يخدم أهل المنطقة اجتماعيا. وهارجع تاني لسور كاندليه، لو يتعمل فيه منافذ شيك للبيع لصالح أهل كاندليه يبقى رائع لكي نفتح لهم أبواب رزق. كما إني أتمنى عمل سوبر ماركت كبير يقوم على إدارته والبيع فيه أهل كاندليه.. ويا سلام لو يكون في وسط المدينة. بكده ممكن نضمن فتح أبواب للعمل للناس هنا ولكن بطريقة مهنية ممكن يدربوا عليها، وبكده نكون حلينا أصل المشكلة. ده رأيي المتواضع.

- أنا معاك يا عمنا الشيخ في منافذ بيع في السور ولكن من الداخل وليس من خارج السور، لأن فكرة إن السور يمثل متحف مفتوح لكل من هو خارج كاندليه فكرة رائعة وأوريجينال وثقافية وتاريخية، ولذلك رأيي ألا تُقطع بنوافذ ممكن تؤدي إلى زحام وصخب فتقضي على فكرة السور الرائعة لصلاح. وعلى فكرة، كل واحد اقترح فكرة سوف تقدم باسمه في مشروع المسابقة لحفظ الحق.

- يا سلام، طيب أنا كده يا أدهم ماقترحتش حاجة لسه، يعني اسمي مش هايبقى مكتوب ولا إيه يا جماعة؟

ضحك «أدهم» ضحكة عالية لأول مرة تعكس مدى ارتياحه وسعادته حتى الآن بالأفكار المطروحة والطريقة السلسة التي يدار بها الحوار: يا ياسمين ما انتِ اقترحتِ يا فندم تسجيل الحادثة بتاعتك وأنا مش ها أخرلك طلب أبدا. وعموما يا ستي إنتِ دورك واضح جدا في التنوير الاجتماعي وهو من أهم الأدوار.

– كفاية كده دلوقتي يا ولاد لأن المغرب هايأذن، دعونا نصلي ثم نقرر ماذا نفعل.

– لأ كده كفاية النهاردة يا عم الشيخ، دي بداية رائعة حتى نتقابل غدا ونكمل أفكارنا سويا، على الأقل نعطي فرصة لنا لمزيد من التفكير، وأكون أنا جمعت الأفكار ورتبتها وكتبتها لأعرضها عليكم. دلوقتي نذهب إلى الساحة الخضراء كما قلت يا عم الشيخ لنتنفس هواء روحانيا.

●●●

الفصل الثالث والعشرون

«وهنا قررت ياسمين أن تواجه الموقف بدلا من أن تضع صلاح وأدهم والشيخ في موقف حرج. قررت أن تخرج من وراء الستار الذي كانت تصلي وراءه بحكم الشرع».

- أنا ملاحظ إن ياسمين مهتمة بالولد صلاح جدا، ومش كده وبس، دي بتتكلم معاه على التليفون كتير وبطريقة فيها بساطة شديدة.. وبدأت تخرج معاه لدرجة إنها راحت تقابله النهاردة على كافيه وبعدين هايروحه كاندليه. أنا مش فاهم اللي بيحصل ده. أنا قلقان جدا لتكون البنت فرحانة بالولد كحاجة جديدة مختلفة وبعدين الموضوع يتطور وتتعلق بيه.

- يا شوقي ماتقلقش، إنت عارف ياسمين اجتماعية وبعدين هي بتحاول ترد الجميل للولد بعد ما أنقذها ووقف جنبها بشهادة الكل. وبعدين الولد لما جه هنا لقيته مؤدب وبيستحي ومش زي بقيت الشباب الجريء في طيشه. صدقني الموضوع مش هايخرج عن كده وبعدين أقصى حاجة زي ما انت قلت هاتلاقيها فرحانة بيه كحاجة جديدة ومختلفة في حياتها، نموذج جديد من البشر متعاملتش معاه قبل كده. وبعدين أكيد يعني طبيعة دراستها مأثرة عليها في التعامل معاه، اجتماعيا يعني.

- لأ، أنـا قلبـي مـش مطمـن وحاسـس إن فيـه حاجـة كبيـرة هتحصـل، أنـا مـش هاسـتنى زيـك لحـد مـا الفـاس تقـع ـِفِ الـراس كالعـادة وبعديـن ننـدم علـى عـدم التدخـل. أنـا لازم أتدخـل وبسـرعة.

-يـا شـوقي مافيـش داعـي، مـا تعكننـش علـى البنـت وسـيبها فرحانـة، دي لسـة طالعـة مـن الحادثـة ومصدقنـا إننـا اطمنـا عليـه. وأنـا يـا سـيدي هابقـى أتكلـم معاهـا لمـا ترجـع.

- اوعـى تتكلمـي معاهـا خالـص، كلامـك معاهـا معنـاه إن احنـا أقررنـا بالوضـع، ده لـو كان يعنـي.. إللـي بيأكـد ظنونـي إنهـا رفضـت العريسـين إللـي تقدمـوا لهـا بعـد الحادثـة مـع إنهـا كانـت بترحـب بـأي حـد ييجـي علـى الأقـل كانـت بتوافـق علـى المقابلـة لكـن المرتـين دول موافقتـش أساسـا علـى مقابلـة العرسـان مـع إنهـم مـن أفضـل العائـلات وأي حـد يتمناهـم. عمومـا، أنـا هاخلـي المعلـم محمـود يراقبهـا هـي وصـلاح وأشـوف بعدهـا أعمـل إيـه.

- اوعـى تعمـل كـده يـا شـوقي، البنـت هاتزعـل جـدا لـو عرفـت وممكـن تعانـد كمـان وتحـط دماغهـا ـِفِ الموضـوع بجـد لمجـرد العنـاد. سـيبها براحتهـا طالمـا بتقولنـا علـى كل حاجـة وبالتفصيـل علشـان تثـق فينـا. أنـا رأيـي نخليهـا علـى طبيعتهـا ولـو هـي لمحـت بحاجـة نبتـدي نكلمهـا. مـا تنسـاش إنهـا لسـة طالعـة مـن أزمـة خطوبتهـا وعملـت

حادثة بسببها. وهي أكيد بتتصرف صح. وبعدين يا سيدي خليها تاخد خبرة في حياة مختلفة تتعلم منها حاجات جديدة مش ممكن تتعلمها من أي مكان.

- يا هانم أنا فاهم كل الكلام ده بس مش قادر أتخيل أبدا إنها ممكن تحب واحد زي صلاح. دي حتى ما اتكلمتش عن أدهم كثير، مجرد كلمتين وكل كلامها عن صلاح. مع إن في الواقع المفروض العكس. زي ما عرفت منها أدهم مهندس ديكور وابن ناس ومن المنطقة بتاعتنا يعني من توبنا. شيء محير، أنا حقيقي قلقان ولو عرفت حاجة هاكسر دماغها ودماغ صلاح لإني مش ممكن أبدا أسمح بمهزلة زي دي.

- يا شوقي إن شاء الله ما فيش حاجة، وبعدين يا سيدي ما انت ابتديت حياتك صغير.

-إنت عايزة تقارنيني باللي اسمه صلاح ولا إيه!! أنا ابتديت صغير صحيح ولكن كنت متعلم ومثقف وخريج جامعة، مهندس قد الدنيا. إنما هو مين، واحد غير متعلم، غير مثقف، فقير، وكمان تربية كاندليه، يعني على بعضه كده ما ينفعش هي تحبه، فروقات في كل شيء.

- عموما مش عايزين نسبق الأحداث. وبعدين يا سيدي ابقى دردش معاها، هي بتحبك ومتعلقة بيك وهاتقولك.

- عموما أنا ليّ صرفة معاها، مش ممكن الموضوع أسيبه يكبر قدامي، أنا عندي إحساس ومتأكد منه.

- المهم، إنت سمعت عن المسابقة المطروحة لتطوير العشوائيات. لازم تعمل حسابك إن مناقصاتها ترسى عليك قبل ما حد يفوز بيها وينفذ، أنا سمعت إن مبلغها كبير جدا، والمحافظة مهتمة جدا بهذا الموضوع المرة دي. ده بيزنيس كبير ولازم نطول منه حاجة يا بشمهندس.

- ما تقلقيش، هاترسي علينا زي كل مرة ونبني شوية مباني وخلاص. الموضوع متابعة ومش شاغلني قوي لأني مكلم ناس في المحافظة يظبطوا الأمور زي كل مرة. المهم عندي ياسمين إنها متقعش في حب الولد ده، وإلا تبقى مصيبة وحلت فوق دماغ العيلة. أنا هاتصل بمحمود حالا علشان يتصرف ويراقبهم من غير ياسمين ما تعرف.

- إذا كان كده، أنا لازم أقولك إن هي طلبت مني أقولك إن صلاح وأدهم جايين البيت بكرة، فانتظر ما تقولش لمحمود وما تعملش حاجة إلا لما ييجي ونشوف.

- هايجي يعمل إيه وعلشان إيه!! أنا أقابل أدهم آه خاصة إني عايزه علشان تجديد ديكور الفيللا، أما الواد صلاح ده هاقبله ليه؟! هو علشان وقف جنب بنتي عايز يبقى حد من العيلة. ما أنا عرضت عليه فلوس ورفض، خلاص هو حر. أنا مش هاقبله ولا هو ها ييجي، قوليله مشغول، أنا مش فاضي للكلام ده. وبعدين أنا نسيت أقولك إن فيه عريس جاي لياسمين بكرة، يعني هي لازم تلغي المواعيد علشان تبقى موجودة وتقابل الأسرة. أنا اديتهم ميعاد وهما جايين من مدينة تانية جنبنا بس ابنهم معيد مع ياسمين في الجامعة.

- يا خبر، ما قلتش ليه بس يا شوقي قبل كده، وبعدين اسمه إيه العريس؟

- اسمه برضه صلاح ولكن مختلف في كل حاجة، صلاح عزيز الوزير، من عيلة الوزير المعروفة ووالده إنسان ممتاز وأمه كذلك وعنده أملاك كتيرة، بالإضافة إلى مستقبله الكبير في الجامعة مع ياسمين. يعني لو رفضت يبقى أكيد فيه مشكلة ولازم أعرفها.

- عموما بالراحة على ياسمين يا شوقي، إنت عارف البنت هي الوحيدة، مش عايزين نعكنن عليها خاصة إنها عايشة حالة فرح من بعد الحادثة.. بالراحة.

- هو أنا ليّ غير ياسمين، أنا علشان بحبها بخاف عليها ولازم أكون جنبها خاصة في القرارات المصيرية زي الجواز. ربنا يهديها ويوفقها، وأنا هاعمل المطلوب مني لآخر لحظة علشان أكون مطمئن عليها.. بلغيها بزيارة بكرة.

●●●

صخب وضجيج يأتي من الشارع أثناء الصلاة -وعلى غير العادة- بصوت نساء وأطفال وشباب، وكأن معركة حربية ضروس تدور هناك في ساحة كاندليه. لم يتعجب الشيخ وارتسمت على شفتيه ابتسامة قلما تتكرر في مثل هذه المواقف. أكمل الشيخ الصلاة بأدهم وصلاح وثلاث من أهل كاندليه أتوا إلى المسجد ومنهم المعلم محمود، وكانت ياسمين تصلي هناك وراء ستار النساء.

وبعد انقضاء الصلاة، فوجئ الشيخ من وجود المعلم محمود للصلاة فاليوم ليس الجمعة! رحب الشيخ ومعه صلاح الذي تعجب هو الآخر من قدومه، وتملكتهم الدهشة خاصة أنه ترك المعركة التي تدور بالخارج وهو الذي لا يترك شجارا في كاندليه إلا وشارك في إشعال فتيله أو إطفائه.

- أهلا يا معلم محمود، رِجّل عزيزة على المسجد، ياريت نشوفك هنا كثير في بيت ربنا. ويا ترى إيه إللي بيجري برة في الحتِة؟

وهنا سمعت «ياسمين» صوت المعلم محمود المميز الذي ما زالت تحفظ حشرجته المميزة والتي أصابتها مع هيبته الصارمة بالخوف يوم أن زارها في حجرة صلاح. شعرت بخوف في قلبها وترددت أن تظهر نفسها لعله يصلي ويرحل، فجلست في مكانها وراء الستار وفي قلبها رجفة وتخوف من وجوده في هذا التوقيت، وتخوفت أكثر أن يكون جاء متعمدا وبسببها.

قطع أفكار «ياسمين» صوت المعلم محمود المتحشرج: كله تمام يا عمنا الشيخ، إنت عارف أنا بحب الجامع وبحب الصلاة قد إيه بس الظروف بقى، ويا سيدي بس مش تقولنا الأول مين الأستاذ إللي بيصلي هنا لأول مرة؟ وبعدين يا سيدي ما هو صلاح موجود أهه وهو برضه ما بيجيش الجامع كتير زيي إلا يوم الجمعة والنهاردة مش الجمعة! إيه الحكاية؟؟ متجمعين عند النبي.

- والله يا معلم محمود أنا نفسي كل أهل كاندليه يصلوا الخمس أوقات في المسجد، والبركة فيك لو جيت هاييجوا وراك

وهايسمعوا كلامك إنت مش أنا. هما بيجولي بس لما يكون فيه جواز أو طلاق علشان ما فيش غيري في الحتة.

- ربنا يخليك لينا يا عم الشيخ، ما قلتش مين الأستاذ؟؟

وعلى الفور رد صلاح حتى يزيل الحرج عن الشيخ، وحتى ينهي الموقف بطريقة لا يفهم منها المعلم محمود أي شيء عن المسابقة: ده الباشمهندس أدهم يا معلم محمود، اتعرفت عليه من كام أسبوع وكان جاي يزورني النهارد وكان نفسه يشوف كاندليه لأنه سمع عنها كثير برة، هو ضيفي.

- أهلا يا باشمهندس أدهم بيه في كاندليه، ويا ترى جاي لوحدك ولا معاك حد تاني؟

وما زالت أصوات الشجار تعلوا في الخارج، تساءل صلاح: حد زي مين يا معلم محمود.. إنت تقصد حد معين؟

وهنا ولأول مرة تشعر ياسمين بتحدٍ فكري وعاطفي لم تشعر به من قبل، تحدٍ تملكها وبث فيها قوة عجيبة وغريبة ومتفردة، قوة ذاتية لا تدري من أين هبطت عليها هذه اللحظة، نعم، فقط هذه اللحظة وليس في أي وقت أخر قبل الآن، قوة جعلتها تشعر وكأنها تستطيع مواجهة العالم كله وليس فقط والدها الذي لو علم بحبها لصلاح لغضب عليها غضبة قد تطيح بتاريخ حبه

وتدليله لها. ولكنها الآن تشعر بأنها ياسمين أخرى، ياسمين التي تعرف وتدرك ماذا تريد من هذه الحياة التي قدرت لها ما لم يكن أبدا في الحسبان. وهنا قررت «ياسمين» أن تواجه الموقف بدلا من أن تضع صلاح وأدهم والشيخ في موقف حرج. قررت أن تخرج من وراء الستار الذي كانت تصلي وراءه بحكم الشرع، وأن تخرج لتظهر نفسها وتواجه من ظهروا في حياتها أيضا بحكم الشرع. من المعلم محمود هذا الذي أخشاه أو أعمل له حساب، ولماذا لا أواجه الموقف وأقف بجوار صلاح الذي يحاول أن يفعل كل شيء من أجلي، صلاح الذي أحب ياسمين وليس عائلة ياسمين ولا ثروة ياسمين. صلاح الذي ولد فقيرا وتربى فقيرا حتى وهو في فيللا «عزيز» بك ليعود إلى فقره بسبب كرامته. صلاح الذي يفهم معنى الحب والذي كتب للحب وسوف يعيش بالحب وللحب. صلاح الذي اكتشفت فيه معنى الإنسانية المجردة والبعيدة عن كل زيف، صلاح الذي نمت في سريره دون أن يفكر في لمسي، صلاح الذي غير نفسه من أجلي، صلاح الذي يمتلئ قلبه بالحب لكل الناس، صلاح الذي يمتلئ عقله بالأفكار، صلاح الذي مهد اللّه له الطريق والآن لكي يبدأ مرحلة جديدة في الحياة، صلاح الذي أحببته. لن أخاف من أي مخلوق بعد الآن آيا كان هو. سوف أعلن عن حبي وبكل قوة ولو كره من حولي. سوف أمسك بيد صلاح

وأنشد له أغنية حبي التي كتبها عقلي ولحنها قلبي لترددها جوانحي ومهجتي. إني آتية يا صلاح، يا حبي الحقيقي.

فوجئ صلاح بقدوم ياسمين من وراء ستار الصلاة وهو يحاول أن يبعد ذهن المعلم محمود عن وجودها، ولكنه فوجئ بقدومها تجاه الجمع وهي متحفزة لشيء ما. لم يدرِ صلاح ماذا يفعل ولكنه استسلم للأمر الواقع عندما وجد ياسمين تقف بين يديه ناظرة إلى المعلم محمود بشذر غير عابئة بصوته الجهوري المتحشرج، ولا بملامحه التي تخاف منها الأطفال، ولا من نظراته التي يصوبها إليها والتي فهمت منها سبب وجوده هنا والآن بوصاية من والدها كمخبر سياسي أو مخبر اجتماعي.

- إزيك يا معلم محمود، إيه اللي جابك هنا دلوقتي بالذات وفي المسجد مع إنك مابتركعهاش، مش غريبة دي عليك، قولي فيه إيه وأنا أجاوبك وبقوة وبدون أي خوف. أنا أعرف من أرسلك إلى هنا، وسبب المعركة اللي في الشارع وسبب سؤالك لعمنا الشيخ ولصلاح عن اللي موجود تاني. أنا يا سيدي إللي موجودة هنا وجيت مع صلاح وأدهم وهامشي معاهم وهاخرج دلوقتي قدام أهل كاندليه وهسلم عليهم وأطبطب عليهم. تحب كمان أتصل ببابا وأقوله إني هنا وإنك جيت علشان تراقبني، وإنك أخلصت وعملت اللي عليك وزيادة.

قاطع المعلم «محمود» حديث ياسمين المتواصل مزمجرا: إنت مالك بس يا دكتورة ياسمين، هو حد زعلك في حاجة، هو أنا عملت حاجة لسمح الله.. هو أنا كل ماجي أنفذ حاجة شوقي بيه يقولي عليها تبوظيها عليّ. المرة إللي فاتت وإنتِ هنا عند صلاح، بوظتِ الجميل اللي كنت هاعمله لوالدك لما اتصلتِ عليه قبل أنا ما أقوله بعد ما عرفت وتأكدت إنك بنته إللي كان طلب مني أعرف أخبارها. والمرة دي كمان أهه إنت برضه بوظتيها وعايزه تتصلي وتقوليله. الفرق بين المرتين إني شايفك المرة دي مش خايفة مني زي المرة اللي فاتت. عموما ياستي، أنا هامشي بس ياريت ما تقوليش للوالد علشان ألاقي حاجة أقولهاله.

- خلاص، أنا موافقة بس بشرط..

- إيه هو الشرط يادكتورة؟ مع إن مافيش حد يشرط على المعلم محمود، بس علشان خاطر بابا إللي جمايله مغرقاني وعلشان خاطر داخلتك كانك كانلديه.

- ما تقلقش يا معلم، شرطي هو طلبك، و هايعجبك قوي.

- يا ترى إيه هو؟؟ شوقتيني وقلقتيني.

- شرطي إنك تقول لبابا كل حاجة بتشوفها بس من غير زيادة ولا نقصان. كل حاجة بتحصل بيني وبين صلاح أو أدهم

والشيخ سواء هنا في كاندليه أو أي مكان تاني. وما تنساش إني بقول لبابا كل حاجة وعلشان كده هو عارف بوجودي هنا دلوقتي وعلشان كده قالك مع إنه بيثق فيّ جدا، بس هو عايز يطمن إني في إيد أمينة وإني في أمان حتى وأنا في كاندليه.

- معلوم يا دكتورة، وما حدش يقدر يعملك حاجة وأنا في كاندليه، إنتِ في عيوننا.

تنحنح الشيخ بابتسامته الهادئة ناظرا إلى المعلم محمود: خلاص يا معلم إنت كلك رجولة، فياريت بقى تروح تخلص الخناقة إللي بره دي واللي حصلت قبل ما تيجي. أنا شايف لسة الصوت عالي وبيقربوا من الجامع. احنا مش عايزين احتكاك، عارفين إنك هاتحمي الدكتورة ياسمين وقت الشدة وتروحها وهي عارفة كده، بس طالما اتفقتم توكل على الله وفض الخناقة والشباب هايقعدوا معايا شوية وبعدين هايروحوا. وإنتِ يا ياسمين يابنتي اتصلي ببابا دلوقتي وطمنيه إنك بخير وإنك في وسط أهلك وكمان في الجامع.

- ماشي يا عم الشيخ، أنا هامشي بس هاستنى برة شوية لحد ما الناس كلها تروح، كويس إن ده حصل لأنها كانت هاتبقى عاركة كبيرة. ثم أردف مبتسما: وأبو صلاح مش بتاع معارك ولا الباشمهندس، مش كده ولا إيه يا أبو صلاح؟

- مين قال إن أنا مش بتاع معارك يا معلم؟ بس حسب المعركة.. معارك الفتونة والشجار ماليش فيها، أما معارك الحياة على العموم ومعارك المبادئ على وجه الخصوص فليّ فيها وبقوة. وبعدين هاتكلم معاك علشان ده مش وقته، وإنت أول واحد ها تستفيد من معارك الحياة التي سوف أخوضها عن قريب. فما فيش داعي للمعاني إللي ورا كلامك يا ريس. كلنا في مركب واحد اسمه كاندليه، ونفسنا يرسى على بر الحياة في يوم من الأيام.

- ماشي يا عم صلاح، مش عارف إيه إللي في دماغك بس ماشي..

وهنا تدخل «أدهم» الذي كان يراقب الموقف بقلق وتوجس، وفي الوقت نفسه يحلله ويحلل الأشخاص خاصة المعركة الدائرة بالخارج ودور المعلم محمود فيها: أنا عايز ابقى اقعد معاك شوية يا معلم.. وبعدين مين عارف يمكن نشتغل مع بعض ونستفيد إنت وأنا.

- تحت أمرك يا باشمهندس المهم نستفيد.. وليه لأه نقعد معاك، ده تليفوني.

- خليه، أنا هاخده من صلاح صديقك واللي دايما بيكلمني عنك وعن رجولتك وشجاعتك وحبك لكاندليه ولأهل كاندليه.

توكل إنت بس على الله علشان الخناقة إللي برة وأنا وزملائي هانستنى هنا في الجامع شوية لحد ما الخناقة تخلص ونمشي.

- ماشي يا باشمهندس، وعلى فكرة صلاح ده حبيبي، وزي أخويا الصغير ودايما في عنيا من أي حد برة ولا جوة. والشيخ بقى ده بركتنا بنيجي لحد عنده ونقف صفا وانتباه.

ضحك الشيخ وصاح في المعلم محمود: طيب يلا يا سيدي، صفا وانتباه وللخلف دُرّ وانصراف.

ضحك المعلم «محمود» وضحك معه الجميع، وانصرف ليفك الشجار ويهدئ الجو المصطنع الذي كاد أن ينفجر على هيئة فيلم هندي لولا تدخل ياسمين بشجاعتها وجرأتها وحكمتها في الحوار مع أحد أشداء كاندليه.

نظر «صلاح» إلى ياسمين بعيون يتحرك فيها الإعجاب والحب والحنين: لم أكن أعرف أنك رجل بألف رجل، لم أكن أعرف أنك عنوان لشجاعة الأنوثة يا ياسمين.

ضحكت «ياسمين» براحة كبيرة: الشجاعة موجودة يا فندم بس عايزة الظروف إللي تطلعها، وخلاص كاندليه طلعتها. أنا خلاص بقيت كاندلانية، واحدة من كاندليه يعني.

ضحك الجميع والتفوا حول الشيخ ليكملوا الحديث عن المسابقة بعد أن أنهت ياسمين مكالمتها السريعة مع والدها مع وعد بأن تعاود الاتصال به فور أن تنهي الكلام مع الشيخ.



الفصل الرابع والعشرون

«عجيب هذا القدر الذي يخطط ويدبر وينفذ أحداث ومواعيد الحياة على مستوى السنين والشهور والأيام واللحظات ليصنع الأحداث كيفما يشاء وما علينا إلا التنفيذ».

- كنتِ فين كل ده يا ياسمين، إنتِ بقيتِ تتأخري جدا برة، أنا بقيت أقلق عليكِ كتير.. حتى اهتماماتك اتغيرت جدا في الفترة الأخيرة وبالتحديد من يوم حادثة كانڤدليه ومعرفتك بصلاح. كانت اهتماماتك كلها منصبة على اللبس والموضة والصديقات والخروج معهم لكل مكان حتى وإنت مخطوبة. لكن دلوقتي أصبحت اهتماماتك كلها منصبة على القراءة وقلة الخروج ومكالمات مع صلاح وأدهم. ياريت أعرف إيه إللي في دماغك بالظبط علشان أرتاح. ما سبب كل هذا التغيير ولمصلحة من. بصراحة كده، هل هناك حب جديد مع أدهم. أنا شايفك بتكلمي معاه كتير وبتاخدي رأيه في أمور كتيرة. أنا شخصيا بحب الولد ده وباحترمه جدا خاصة إنه ناجح في عمله وابن ناس طيبين من الجيران. أنا بفكر بجدية أخليه يجدد ديكور الفيللا بتاعتنا هنا وأهي تكون فرصة كبيرة للتعارف أكثر. يارب يكون إللي بفكر فيه صح يا ياسمين؟

- يابابا أدهم بالنسبة لي أخ وصديق لا أكثر، أنا كمان حبيته وارتحت له من يوم ما عرفته ولكن بنعامل بعض زي الإخوات بالضبط وهو كمان بيعاملني كده خاصة لا أنا عندي أخ ولا هو عنده أخت. احنا كنا عارفين بعض من زمان ولكن عمرنا ما تعاملنا أي معاملة غير إننا إخوات. وبعدين ما تقلقش عليّ يا سي بابا، أنا اتغيرت للأحسن. أنا حياتي كانت تافهة وفاضية، مجرد موضة ولبس وخروج زي ما حضرتك قلت، وطبعا كانت حياة جميلة بالنسبة لي لحد ما اتعرفت على كاندليه وأهل كاندليه وخاصة صلاح.

وما إن سمع «شوقي» بك اسم صلاح حتى ظهرت على ملامح وجه علامات الغضب التي حاول كتمانها ولكن دون فائدة: هو أنا كل ما أكلمك يا ياسمين عن حاجة تجيبي سيرة صلاح. دا ما كانتش سيرة دي يا ياسمين!!

- يا بابا صلاح إنسان كويس ومكافح ومؤدب جدا وكمان مثقف ويكفي إني اتعلمت منه إزاي يعيش الحياة بأقل الإمكانات وهو سعيد وإزاي يتغلب على صعوبات الحياة بطريقة عملية وإزاي الإنسان يكون محترم حتى وهو فقير وبدون جاه ولا مال ولا سلطان. وبعدين هو حضرتك مش كنت دايما تتمنى إني أتغير للأحسن وكنت منتظر اليوم إللي أحس فيه بقيمة القرش والمجهود

والوقت والقراءة والثقافة. مش حضرتك كنت دايما بِتْحِثّني على إني أركز في دراستي في الماجستير علشان أكون أكبر دكتورة في علم الاجتماع.

- طبعا وما زلت لحد آخر يوم في حياتي، دا إنتِ بنتي الوحيدة وإللي حاطط عليها آمالي كلها. علشان كده عايز كل فكر وكل قرار تاخديه يكون بحساب وماتندميش عليه بعد كده لأن الحياة قصيرة ولا تتحمل الأخطاء الكبرى، والندم على ما فات. وأعتقد إنك فاهماني كويس.

وهنا تدخلت الأم لتنقذ فلذة كبدها من براثن كلمات والدها الذي يرى السعادة فيما هو مقتنع به من الارتباط بالمال والجاه والسلطان: يا شوقي سيب البنت بقى، هو كل يوم محاضرة، دي لسه جاية من برة وتعبانة. خليها تستريح شوية وبعدين اتكلم معاها. وبصراحة أنا شايفة ياسمين في أحسن حالاتها، همة ونشاط وذهن رايق واهتمام بالوقت والمواعيد والدراسة والسلوك العاقل جدا والبعد عن التفاهات. كل الصفات الجميلة دي كنا بنتمناها في بنتنا فلما تيجي تقوم إنت تلومها عليها!!

- يا ستي أنا مش بلومها ولا حاجة، بالعكس أنا سعيد جدا جدا بهذه التحولات ولكن ما يقلقني مصدر هذه التحولات وما

إذا كانت تحولات وقتية وستزول أم عن اقتناع وستدوم خاصة أن ياسمين لسة خارجة من مشكلة عاطفية بعد انفصالها من خطيبها، فبصراحة أنا خايف يكون التغيرات دي علشان فقط تتحدى نفسها ولكن لفترة وتعود المياه إلى مجاريها وده ممكن يؤثر على نفسية بنتي.

وهنا تدخلت «ياسمين» بابتسامة هادئة وبلطف وهي تتمسح في والدها وترتمي في صدره: يا بابا يا حبيبي أنا فعلا اتغيرت والسبب كاندليه. قد يستمر الإنسان كما هو طوال حياته ثم تأتي لحظة محورية فتؤثر فيه تأثير الدهر فيتحول من شخصية إلى شخصية وبالطبع هذا جائز جدا خاصة إذا كانت الشخصية الأولى لا تمثل الأبعاد السلوكية أو النفسية للشخصية الحقيقية. إنت ناسي يا بابا إن ده لب تخصصي. أنا فعلا اتغيرت ووجدت نفسي وسعدت بشخصي الجديد وأصدقائي الجدد.

- يعني يا ياسمين ما فيش علاقة بينك وبين أدهم، مع إن كان نفسي؟

- لأ يا بابا، ما فيش علاقة بيني وبينه سوى الصداقة.

- إمال فيه علاقة مع مين بقى يا ست الكل؟

ضحكت «ياسمين» بدلال وهي ما زالت ترتمي في صدر والدها: علاقة معاك إنت يا جميل، هو فيه أجمل وأحلى منك أعمل علاقة معاه.

- يا سلام، أهه ده إللي باخده منك كل مرة وتضحكي عليّ.

- يا بابا ياحبيبي أنا هاقولك كل حاجة لما ييجي وقتها، وبعدين بطل تبعت ورايا حد يراقبني، هو أنا مش باحكيلك على كل حاجة وبروح فين وباجي منين وبخرج مع معين.

- أيوة ياستي، كل خروجاتك اليومين دول مع صلاح وأدهم، وأهو أدهم طلع صديق ما بقاش إلا صلاح، أكيد صديق هو كمان؟

- هاهاها أنا عارفاك يا بابا قلقان عليّ بطريقتك، بس حضرتك نسيت صديقين تانيين، شيخ الجامع والمعلم محمود.

- نعم، هو كمان محمود بقى صديقك، إزاي بقى؟؟! وإمتى وحصل إزاي. ده أنا قلتله ياخد باله منك مش يصاحبك!

وبضحكة كلها دلال وثقة: أنا بقى يا بابا عقابا ليه وعلى تجسسه عليّ صاحبته. إيه رأيك في بنتك؟ المفروض تكون فخور بيّ، بنت بألف راجل.

- أنا ثقتي فيكِ مالهاش حدود يا ياسمين، أنا بس قلقان عليكِ من وسط كاندليه وناس كاندليه.. المهم بقى فيه ناس جايين بكرة يزورونا بالليل ولازم تكوني موجودة علشان تتعرفي على العيلة.

- بس أنا مش فاضية بكرة يا بابا، صلاح وأدهم وشيخ الجامع جايين لزيارتي هنا علشان هاناقش موضوع مهم هابقى أحكي لحضرتك عليه بس بعد ما نناقشه.

- لأ طبعا مستحيل، لازم تكوني موجودة والناس أكيد هايزورونا بكرة، فما فيش أعذار نهائي.

- خلاص يا بابا ممكن صلاح وأدهم والشيخ يزوروني برضه ونقضي الوقت كلنا مع بعض.

- المفروض لأ طبعا لأن دي زيارة عائلية وما ينفعش حد تاني يكون موجود غيرنا.

- علشات خاطري يا بابا أنا مرتبة الميعاد ده من زمان وحضرتك وماما عارفين وموافقين.. ماتحرجنيش معاهم.

-ماشي ياستي، هاعمل إيه فيك وفي إصرارك وعنادك، بس حاولي تخلصي معاهم على ما ييجوا الضيوف.

- هاحاول يا بابا بس ما وعدكش، هما من الضيوف صحيح؟؟

- ضيوف من مدينة تانية جنبنا، عزيز بيه والمدام وابنه وبنته.

خطف اسم عزيز سمع ياسمين وتذكرت عزيز بك الذي تبنى «صلاح» لفترة: طيب هو اسمه عزيز إيه بالضبط؟ وابنه عنده كام سنة؟ واسم المدينة إيه؟

- مالك اتخضيتِ كده! اسمه عزيز الوزير، وابنه عنده ٢٦ سنة والمدينة هي مدينة الشاطئ لأنها تقع على شط النيل مباشرة وكمان عزيز بيه عنده عوامة رائعة على النيل غير الفيللا بتاعته في وسط البلد.

وهنا أيقنت «ياسمين» أن القادم هو عزيز بيه الذي ربى «صلاح» لمدة سنوات، وها هي زوجته وأولاده قادمون، ومؤكد أن ابن عزيز بك هو العريس. لم تدرِ ياسمين ماذا تفعل، صمتت وهي لا تعلاف ماذا ستقول لصلاح. أتخبره بهذه الزيارة والصدفة العجيبة التي تجمع بين أسرة عزيز وصلاح بعد غياب سنوات فقد يفرح لرؤية عزيز بك، فكم تحدث عنه بكلمات كلها حنين وشوق إليه. أم من الأفضل أن تعتذر عن هذه الزيارة حتى لا تضع «صلاح» في موقف يحرجه أو موقف مقارنة على أرض الواقع بينه وبين ابن عزيز بك الذي مؤكد جاء شاحذا كل قواه الاجتماعية

والمالية. ولكن بالطبع هي وعدت والدها ولا يمكن الاعتذار. عجيب هذا القدر الذي يخطط ويدبر وينفذ أحداث ومواعيد الحياة على مستوى السنين والشهور والأيام واللحظات ليصنع الأحداث كيفما يشاء وما علينا إلا التنفيذ. ولكن ما أحلى وأجمل القدر عندما يفاجئنا ويلقي علينا بشباك الأفكار ليجعلنا نتشوق لكل لحظة في الحياة لنعرف ما يخبأه وراءها. وفي النهاية قررت ياسمين في نفسها أن تخبر صلاح بتفاصيل الزيارة وسوف تنصاع لرأيه أيا كان.

●●●

وبعد هجر متعمد منها دام أكثر من أسبوع، مرّ عليه كل يوم فيه كألف سنة من أيام اللقاءات الحلوة معها، رنّ جرس تليفونه لتضيء شاشته العالم كله باسمها. مبتسما، نظر إلى اسمها وهو يتلألأ راقصا على الشاشة وكأن حروفه كُتبت فيها رواية ألف ليلة وليلة. أنصت إلى جرِس رنين التليفون باشتياق وكأنه يستمع إلى عزف سيمفونية من العشق. التقط التليفون بحنان بالغ في لحظة سجلتها دقات قلبه بضربات تخفق عالية لتقوي مشاعره التي كانت منذ قليل تشتكي الهجر منها. ضحكت ملامحه العذراء عندما سمع صوتها يغني بأنشودة مطلعها «إزيك، عامل إيه». لم يصدق أذنيه عندما طلبت منه وبدلال أن تقابله بعد قليل.

جـرى مسـرعا وهـو يُعـدل مـن هندامـه إلـى المكان المتفـق عليـه وهـو يجُـر أنفاسـه المتلاحقـة وراءه وعذابـات اشـتياقه تسـبقه ومشـاعره الحانيـة تحملـه مـن فـوق الأرض علـى بسـاط مـن أمنيـات اللقـاء الـذي تمنـاه بعـد أسـبوع مـن الهجـر. استنشـق رحيـق أنفاسـها مـن علـى بعـد فتملكـه الحنـين مـن فرحـة لقائهـا بعـد أن بـدأ يقتـرب منهـا رويـدا رويـدا.

أخيـرا تحققـت أمنيـة دقـات قلبـه ليقـف أمـام وجههـا الملائكـي وصوتهـا الطفولـي ليسـلم عليهـا بيـده التـي تنتفـض فيهـا عـروق الشـوق في أناملـه. وبعـد إلقـاءه بدقـات قلبـه قصيـدة مـن الحـب لـم يقلهـا لهـا مـن قبـل، شـعر بخـوف هبـط في التـو علـى قلبـه ولا يعلـم مصـدره. ألقـت هـي علـى مسـامعه قصيـدة مـن رثـاء الحـب والهجـر والبعـد بصـوت متحشـرج أنهتهـا بعبـارة كان يتخـوف مـن سـماعها منهـا منـذ أن قابلهـا أول مـرة: «ورغـم كل مـا كان بيننـا مـن مشـاعر حـب، بـس لازم نفتـرق».

وقعـت كلماتهـا عليـه كخناجـر مُسـننة تُهتـك مسـامعه وتمـزق أضلعـه التـي تهـاوت تحـت ضربـات معاولهـا المتلاحقـة دون أن تـرأف بقلبـه وغيـر عابئـة بجـلال اللحظـة التـي كان يحلـم بهـا، فـإذ هـي تنقلـب عليـه بـلا رحمـة. تركتـه واقفـا غيـر مصـدق بحطـام اللحظـة الـذي مـلأت حلقومـه وخيالهـا يمشـي مبتعـدا رويـدا رويـدا حتـى

تـوارى طيـف ملامحهـا عـن الحجـب بـلا اسـتئذان. وبعـد لحظـات تاهـت فيهـا أنفاسـه، لملـم بقايـا نفسـه وجلـس مكانـه يتحسـس الزمـان والمـكان ليـدرك أيـن هـو. نظـر إلـى اللاشـيء لعلـه يـدرك مـا يجـري هنـا.

استيقظ «صـلاح» علـى أنفاسـه المتحشـرجة فقـد أدرك أنـه كان يعيـش في كابـوس يلعـب فيـه دور البطولـة. تنهـد وحمـد اللّٰه بعـد أن اكتشـف أن أحـداث الكابـوس نسـج مـن الخيـال كاد أن يصدقـه. ولكنـه توجـس خيفـة أن يكـون هـذا الحلـم لـه علاقـة بزيارتـه غـدا لمنـزل ياسـمين.



الفصل الخامس والعشرون

«ليس المهم من هو شهريار، ولكن المهم هو أني أنا شهرزاد».

أصبحت الكافيه التي التقى فيها بأدهم والتي هبط عليه فيها وحي شجاعة الاعتراف بحب ياسمين وفكرة النيولوك الذي يليق بها هي المكان المفضل لصلاح خاصة عندما يحتاج إلى الغوص في بحر مشاعره لياسمين أو أفكاره حول مسابقة تطوير كاندليه. حقا، هناك مواقف تحدث للكثير من الناس آلاف المرات وتمر عليهم مرور الكرام دون أن تترك أثرا يذكر، ولكن نفس المواقف قد تحدث مرة واحدة مع بعضهم فتغير من مسار الحياة شاءوا أم لم يشاءوا. وموقف واحد لصلاح على هذه الكافيه وجه حياة صلاح إلى مسار لم يكن أبدا يتوقعه.

– كالعادة يا أبو صلاح عمال تفكر وسرحان، ما فيش مرة أشوفك ما بتفكرش، يا بختك بعقلك يا أخي مع أني باشفق عليه. يا ترى بقى يا سيدي بتفكر في إيه دلوقتي؟ أعتقد يا في ياسمين يا في كاندليه وتطوير كاندليه.

- فعلا يا أدهم، ياسمين دائما في عقلي وقلبي ولا تبرح فكري، ومسابقة تطوير كاندليه أصبحت مسيطرة على فكري فعلا فهي السبيل إلى بيت ياسمين وإلى مستقبل كاندليه ومستقبلي وكذلك مستقبلك. فكيف لا أفكر فيها يا صديقي. ولكني الآن وقبل أن تأتي كنت أفكر في زيارة اليوم لمنزل ياسمين خاصة في وجود أسرة لم أتوقع أبدا أن أراهم ثانية فما بالك أن يقدر الله أن أراهم في منزل ياسمين.

- يا سيدي هون على نفسك وتعامل مع الأمر ببساطة كعادتك، ومن يدري لعل في ترتيب القدر هذا خيرا كبيرا لا تدركه. وبصراحة يا أبو صلاح أنا بثق في وقوف القدر بجوارك جدا حتى في أحلك الظروف، القدر معك يا عزيزي فلا تقلق.

- يا سلام عليك يا أدهم، حقيقي كنت محتاج كلماتك جدا خاصة الآن. فعلا، كم أصبحت أعشق القدر حتى ولو كان قاسيا عليّ طوال العمر الماضي، فيكفيني أنه قدر لي مقابلة ياسمين وحبي لياسمين وحب ياسمين لي. ما أجمل هذا القدر الذي يعلم عنا كل شيء ولا نعلم عنه أي شيء. وثقتي في القدر هي التي تطمئنني اليوم وهي التي تملأ قلبي بالثقة وهي التي تجعلني أشعر بالسعادة لمقابلة بابا عزيز وأسرته اليوم، فكم سعدت بالخبر من ياسمين مع أنها كانت قلقانة جدا إنها تكون مفاجأة

غير سارة. عموما مش هاوصيك تكون عضدا لي في أي موقف اليوم واحنا هناك.

- لا تقلق يا عزيزي، المهم نشرب حاجة دلوقتي ونراجع شروط المسابقة قبل ما نتوجه لمنزل ياسمين. الوقت الباقي على ميعاد التقدم المسابقة قرب ينتهي. وبعدين أنا ما ستبعدش إن ناس كثير من رجال الأعمال والمهندسين يقدموا لهذه المسابقة لاعتبارهم أنها تورتة كبيرة يجب الفوز بها. ومين عارف يمكن شوقي بيه نفسه يقدم، خاصة أن له سابق خبرات.

- واللّه يا أدهم احنا نعمل إللي علينا ونقدم مشروع ابتكاري ونترك الباقي على اللّه. وبعدين يا سيدي مش إنت لسه قايل إنك واثق في وقوف القدر بجانبي، خلاص اطمئن، هانفوز بيها، وكمان أنا وياسمين وشنا حلو عليك.

- طبعا، ومش وشكوا وبس وتفكيركم كمان. أنا متفائل جدا خاصة إني متأكد أن معظم المشروعات المقدمة هاتكون تقليدية وتحصيل حاصل نظرا لأن كل مرة يحصل فيها مناقصة لتطوير كاندليه ويرصد لها مبلغ كبير، وينسى الجميع الأمر وكأنه ما كان مما جعل الناس تعزف عن تلك المناقصات أو على الأقل عدم الاهتمام بها.

- فعـلا، دي حقيقـة يـا أدهـم. احنـا في كاندليـه سـمعنا كتيـر عـن أخبـار صحفيـة عـن تطويـر المنطقـة ولكـن بـلا جـدوى، مجـرد أخبـار إعلاميـة وقـت اللـزوم. ولكـن قلبـي حاسـس هـذه المـرة بـأن الموضـوع جـاد جـدا والدليـل علـى ذلـك إن تم عرضـه كمسـابقة وليـس مناقصة.

- أكيـد أكيـد، وعلشـان كـده أنـا مهتـم جـدا بهـذا المسـابقة وواثـق مـن وقـوف القـدر معنـا في الفـوز بهـا. فالقـدر الـذي يخطـط لثلاثتنـا أن نتقابـل وبهـذه الطريقـة مؤكـد يخطـط لشـيء أكبـر بكثيـر لنـا نحـن الثلاثة.

- أنـا سـعيد جـدا بحالـة التفـاؤل المحلقـة علينـا يـا أدهـم، يـارب دايمـا تفـاؤل. إيـه رأيـك نبتـدي الشـغل؟ قدامنـا سـاعتين قبـل ميعـاد زيارتنـا لبيـت ياسـمين. تعالـى علـى الطاولـة هنـاك في الركـن الهـادي ده علشـان نعـرف نركـز.

ومـرت سـاعتان كاملتـان شـحذ فيهـا كل مـن «صـلاح» و«أدهـم» أدوات التفكيـر دون توقـف لتنهـال الأفـكار الابتكاريـة مـن قنـوات عقـل كل منهمـا علـى الـورق المفـرود علـى الطاولـة حتـى امتـلأت بالأفـكار غيـر التقليديـة حـول كيفيـة تطويـر كاندليـة بأسـلوب يُبقـي علـى بصمـة كاندليـه ويضيـف بصمـة المدنيـة والتحضـر بأقـل الإمكانـات ولكـن

بأرقى الأفكار. وصلا إلى الصيغة الشبه نهائية للمقترح واتفقا أن يجتمعا مع ياسمين وشيخ الجامع في يوم آخر وليس اليوم كما كان مخططا. فاليوم ستكون ليلة ساخنة في منزل ياسمين.

- أعتقد الوقت يدوبك يا صلاح نشتري ورد ونطلع على طول على ياسمين، هانكتب الكارت إللي على الورد باسمنا احنا الاتنين ليكون أول ورد في شراكتنا وبداية كلها ورد إن شاء اللّه.

- ماشي يا صديقي الحبيب، وعقبال ورود افتتاح تطوير كاندلية بعد سنة من الآن.

- إن شاء اللّه يا صلاح، يالا بينا.

ترك «صلاح» الكافيه وركب السيارة مع «أدهم» وقلبه يرتجف من مقابلة -ليس فقط أسرة ياسمين وخاصة شوقي بك- ولكن أيضا أسرة عزيز. وكأن القدر يريد أن يختبر صلاح في كل خطوة يخطوها.

●●●

بهو الفيلا مليء بالورود رائعة الجمال والتي أضفت على المكان رونقا وبهاء جعل من أركان البهو قطعة من الجنة تتناثر على أرضها الناعمة أثاث فاخر ينتظر الضيوف المهمين كما

يسميهم «شوقي» بك، والذي ينادى زوجته من حين إلى حين لتتفقد الخادمات، وبأن كل شيء قد سبق التحضير له على أكمل وجه.

فوجئت «ياسمين» بهذا المنظر الخلاب للبهو، الذي بقدر ما أسعدها بقدر ما أوجس في قلبها خيفة بأن يشعر صلاح بعدم الراحة عندما يرى كل هذه البهرجة. تساءلت في نفسها: أهذه البهرجة مقصودة لكي تربك صلاح وتشعره بالدونية أم هي مجرد ترحيب زائد بالضيوف المهمين. لم تنتظر من نفسها أي إجابة، فلا يهم إذا كانت الإجابة لهذا أو ذاك، بل المهم هي أن تستقبل الضيوف مع والدها حتى يأتي صلاح لتكون عينها عليه تحيطه بحبها واهتمامها دون الآخرين حتى ولو تطلب الأمر أن تُظهر ذلك أمام الجميع خاصة في وجود عزيز بك الذي يجب أن يدرك الجرم الذي فعله في حق صلاح، مرة عندما ضمه إلى أسرته كابن يستمتع ببنوته دون أن يُعلِمَه مخاطر ذلك في المستقبل إذا حدث ما لا يُحمد عقباه من انفصال لأي سبب من الأسباب. ومرة أخرى عندما تركه يخرج من بيته عندما طالب «صلاح» بذلك فور شعوره بالمهانة والفرق في المعاملة، فقد أصبح ابنا احتياطيا ويجب أن يعتزل بعد أن أنهى مهمته في اللعب. بل كان على عزيز بك آنذاك أن يتمسك بصلاح أيما تمسك حتى لا يضيع وهو ما

زال في منتصف الطريق. أنانية عزيز بك وعدم اكتراثه بصلاح حينئذ جعل صلاح يعود إلى حيث أتى من فقر وجهل واحتياج بعد أن كان ملء السمع والبصر في مدرسته الإعدادية والثانوية في مدارس لغات وسط أولاد أرقى المجتمعات. يا تُرى فكر عزيز بك أو زوجته أو ابنه يوما ما في صلاح بعد أن هجر الفيللا، كيف يعيش، وأين يدرس، وماذا يفعل. لم يحدث ذلك أبدا خلال العشر سنوات التي مضت على ترك صلاح الفيللا والمدرسة الفخمة. يا ترى هل سوف يتعرف عزيز بك وأسرته على صلاح بعد كل هذه السنوات. أسئلة دارت بذهن ياسمين وهي تهبط درجات سلم البهو وعيناها تتنقل بين الورود.

بدعابة وحنان وحب الأم: رائعة يا ياسمين وإنتِ نازلة تتبختري من على السلالم وعيونك الحلوة على الورود والابتسامة إللي تجنن وتخطف القلب على شفايفك وخدودك، أميرة بنت أميرة. وبضحكة هادئة تمتلئ بحنان الأم: يا ترى الابتسامة والسعادة إللي في عيونك من فرحتك بالضيوف المهمين ولا الضيوف الحلوين؟

وبابتسامة كلها دلع وشقاوة بنات: بصراحة يا ماما أنا سعيدة جدا وطايرة من الفرح بالضيوف الحلوين وبرضه بالضيوف المهمين لأنهم لهم علاقة بالضيوف الحلوين.

- شوي يا ياسمين، أنا أمك وأفهم نظراتك وهمساتك وتعبيراتك وتغيراتك، أنا حاسة إن فيه حاجة بينك وبين صلاح، إما إعجاب أو حب. صحيح ولا إحساسي هايكذبني؟؟ قوليلي الحقيقة قبل بابا ما ينزل علشان الضيوف المهمين.

- بصراحة ياماما، أيوة أنا فعلا معجبة بصلاح وحبيته لأنه إنسان رائع بكل معنى الكلمة، إنسان يحمل الطيبة والإخلاص والذكاء والثقافة ولكن في ثوبها البسيط.

- بس ده تحول كبير في شخصيتك ونظرتك للحياة يا ياسمين وضد تطلعاتك! إيه إللي حصل ليكِ؟! وبعدين إنت عارفة موقف بابا. أنا عن نفسي أهم حاجة طريق سعادتك أيا كان ممهد أو كله مطبات.

- فعلا هو تغير كبير في شخصيتي وفي وقت قصير.. ولكن أنا سعيدة بهذا التحول جدا. عموما أنا هاحكيلك على كل حاجة بعدين، لكن النهاردة أنا متوقعة مفاجأة تحصل في وجود الضيوف المهمين والحلوين، مفاجأة ممكن تغير رأي بابا في الطرفين.

- إيه هي المفاجأة دي يا ياسمين؟! قلقتيني وشوقتيني. أنا مش عايزة مشاكل وشغل عيال قدام الناس.

وبضحكة كلها شقاوة: يا ماما مشاكل إيه بس، دي مفاجأة حلوة وها تبقى أمسية جميلة.

وقبل أن تنهض لكي تجلس بجوار ياسمين لتضغط عليها لتعرف المفاجأة، سمعت صوت شوقي بك وهو يهبط سلالم البهو: مالكم فرحانين كده، يارب أشوف الفرحة دي قدام الضيوف المهمين، هما على وصول حالا.

جرت «ياسمين» إلى والدها تغازله: إيه الحلاوة دي كلها يا أجمل أب في الدنيا.

– حلاوة إيه يا بكاشة، إنتى الحلاوة كلها وشمس وقمر ونجمة الليلة، أنت أحلى ما في الحياة. عايزك تتألق النهاردة يا جميل وأشوف الفرحة دي على وشك على طول.

– أكيد يا بابا. وبابتسامة كلها دلع وطفولة: هاتبقي ليلة ولا كل ليلة، ألف ليلة وليلة وأنا شهرزاد.

– طبعا إنت شهرزاد حتى وإنت في بطن أمك لسه، المهم مين شهريار؟

–مش مهم مين شهريار يا سي بابا، المهم إني أنا شهرزاد شوقي، وأي حد ها يرتبط بيّ أكيد هايكون شهريار. ما تقلقش يا بابا يا حبيبي.

– أنا مش قلقان، أنا خايف يا ياسمين.

●●●

الفصل السادس والعشرون

«السعادة مثل بخار الماءا الذي يتصاعد من البحار والأنهار للسماء ليكون سحابات مملوءة بالسعادة ولكن لا أحد يعلم سوي اللّه متي وأين وأي من عباد اللّه سوف تمطر السماء عليهم السعادة»

ومع أن الساعة السابعة مساء، والمتوقع وصول صلاح وأدهم وشيخ المسجد الساعة الثامنة، إلا أن قلب ياسمين خفق عندما سمعت جرس الفيلا يدق، وازدادت ضربات قلبها لكون مراسم اللقاء مع أسرة عزيز بيه وبعده أسرة كاندليه سوف تبدأ الآن بالتوقيت المحلي لبرنامج والدها. ظلت جالسة بجوار والدها ووالدتها وعيناها معلقة على الباب لترى من القادم. أسرعت الخادمة تفتح الباب وترحب بالقادم والذي كان كما توقع عزيز بك وأسرته التي جاءت في الميعاد وفي يد كل منهم صندوق مغلف بتصميم جميل، واضح أنه هدية.

وما إن فتحت الخادمة الباب وهلّ وجه عزيز بك حتى نهض شوقي بك بسرعة ليرحب بالضيوف المهمين: أهلا أهلا عزيز باشا، الفيلا نورت بيكم، أقدم لكم المدام وابنتي وأميرتي داليا وبناديها ياسمين، يعني كلها ورود وعطر، وحبيبة باباها.

- فرصة سعيدة جدا شوقي باشا وسعيد جدا بقبول طلبنا للزيارة، وأقدم لكم المدام.. وهذا ابني صلاح.

وما إن سمع شوقي بك اسم صلاح حتى امتعض، ولكنه حاول جاهدا أن يكتم ويداري هذا الامتعاض، وكانت ياسمين تتابعه وتحاول هي الأخرى أن تكتم وتداري ضحكتها وإشفاقها على والدها ووقع اسم صلاح على مسامعه، وكأنه يحدث نفسه: هو صلاح ورايا ورايا، يعني مالقتوش إلا الاسم ده بالذات!! وبالطبع كانت هذه أولى فقرات مفاجآت هذا المساء.

وفي ترحاب مد «شوقي» بك يده إلى عزيز وأسرته لتبادل السلامات: اتفضل عزيز باشا، دي فيلتنا المتواضعة، والديكور فيها على ذوق ياسمين، إيه رأيكم في هذا الذوق الراقي؟

- طبعا عزيز باشا، اللمسات النهائية للديكور تنم عن ذوق عالي ورفيع، تناسق في الألوان على الجدران والأنتيكات والأثاث.. كل شيء رائع ومبهر، أشعر وكأني في بهو حديقة. يسلم ذوقك ياسمين هانم، مؤكد علم الاجتماع له انعكاسات إيجابية على الفكر الراقي للإنسان.

- شكرا عزيز بيه على مجاملة حضرتك، هو بس بابا بيشوف أي حاجة أنا باعملها جميلة، والحقيقة إن ده مش ذوقي لوحدي هو مزيج من أفكار شاركني فيها أصدقاء لي منهم واحد مش متخصص ولكن أفكاره هايلة وبتعجبني جدا، والثاني مهندس

ديكور وهو إللي نفذ الأفكار بذوق عالي، فسعيدة جدا إن ذوقنا عجب حضرتك.

- والله ذوقك عالي جدا يا ياسمين إنت وأصدقائك وياريت أتعرف عليهم، ده أنا محتاج أجدد ديكور الفيلا والعوامة الأيام دي بس بعد ما تشرفونا بالزيارة طبعا عن قريب.

- أكيد يسعدني ويسعدهم عزيز بيه، ولحسن الحظ هما جايين النهاردة في زيارة، وأعتقد في هذا التوقيت وحضرتك والأسرة الكريمة موجودين. قالت «ياسمين» هذه العبارة وكأنها تمهد للجزء الثاني من فقرة مفاجآت اليوم كما أرادت وتوقعت وخاصة أن مسار الحوار يساعدها كثيرا، وكأن القدر يقف بجانبها ويعضدها بكل سهولة.

وهو يحاول أن يداري ويكتم غضبه للمرة الثانية، حاول «شوقي» بك أن يغير مسار الحديث وبسرعة قبل أن يرد عزيز بك على ياسمين، ويتطرق الحديث إلى أدهم وصلاح: أنا شايف يا عزيز باشا إنه ما فيش داعي للألقاب بيننا، ده احنا بقينا أصدقاء خلاص وعيلة واحدة.

- طبعا طبعا شوقي باشا وبكل سرور، أنا لا تهمني الألقاب على الإطلاق، فلتناديني عزيز، بس بشرط، وهو إن ياسمين تناديني بعمو عزيز بس..

- ده يسعدني جدا وأكيد ياسمين كمان، بس برضه بشرط، إن صلاح يناديني بعمو شوقي وكده نبقى خالصين. قالها «شوقي» بك وهو يتنفس الصعداء ناظرا بابتسامة إلى ياسمين، وكأنه يرد لها الصاع بصاع على ما نوهت به من أن صلاح وأدهم قد ساعدوها في تصميم الديكور مما يعكس نيتها على إقحامهم في المناقشة كلما تحين الفرصة.

ضحك «عزيز» ضحكة تعكس راحة اللقاء والود الكبير الذي يظهره شوقي بك تجاهه وتجاه أسرته خاصة صلاح مما يدل على نية طيبة وموافقة مبدئية على ارتباط ياسمين بصلاح، مما شجعه على البدء في التنويه على سبب الزيارة: إيه رأيك يا ياسمين في الشرط الحميد بتاعي؟

وبضحكة كلها ذكاء وثقة في النفس: طبعا طبعا عزيز بيه هو أنا أطول ده شرف ليا إني أقولك يا عمو، ولكن حضرتك تبان أصغر من سنك بكثير، فأنا هانكسف جدا أقول عمو، خليني على راحتي لحد ما تيجي لوحدها. وبذلك تكون ياسمين ردت إلى والدلها الصاع بضحكة طفولية وغمزة بالعين له دون أن يلحظ الضيوف. وهنا تأكد لشوقي بك أن ياسمين قد قررت عدم الارتباط بصلاح عزيز.

وهنـا تدخلـت سـيدة البيـت: مـش بـس ذوقهـا العالـي في الديكور، ياسـمين بنتـي ذوقهـا عالـي في كل حاجـة. يكفـي أنهـا قارئـة جيـدة وكاتبـة جيـدة وبتعـزف بيانـو وكمـان طباخـة ماهـرة.. ياسـمين صاحبـة ذوق في كل حاجـة، ياسـمين هـي الحيـاة لينـا يـا عزيـز بيـه، وأكيـد صـلاح ابننـا ذوقـه عالـي.

وبسـرعة التقـط صـلاح الخيـط مـن والـدة ياسـمين ليتدخـل في الحديـث لعلـه يسـتطيع بـدء حـوار مـع ياسـمين التـي زاد إعجابـه بهـا الآن أكثـر ممـا قبـل، وليـس يـدري لمـاذا: واضـح إنـك موسـوعة يـا ياسـمين، أنـا شـوفتك كتيـر في الكليـة ولكـن لـم يشـأ لـي الحـظ أن نتحـدث، ولكـن الآن أجـدك كمـا توقعـت عذبـة الحديـث وذوقـك عالـي جـدا. أنـا كمـان عاشـق للعـزف علـى البيانـو والقـراءات الأدبيـة. ممكـن أعـزف قطعـة موسـيقية بمناسـبة هـذا اللقـاء الجميـل الـذي أشـعر فيـه أنـي واحـد مـن العائلـة؟

ارتسـمت علـى شـفتي عزيـز بـك ابتسـامة كلهـا ثقـة بالنفـس وبابنـه الـذي يتحـدث بأناقـة تناسـب المناسـبة وهندامـه المتأنـق ووسـامته الأنيقـة، فظهـر كل شـيء في صـلاح متألقـا. وبالطبـع رد شـوقي بـك بابتسـامة كبيـرة فيهـا انشـراح، وكلـه أمـل أن تؤثـر كلمـات صـلاح الجميلـة في رأي ياسـمين، ولعلهـا تنجـذب إليـه.

- أنا سعيدة بمعرفتك جدا د. صلاح خاصة أننا في جامعة واحدة، وإن شاء الله تزداد العلاقة ونصير أصدقاء أهل وعمل. يا ترى بتقرأ أي نوعية في الأدب؟

- أنا عاشق للأدب المترجم وكذلك الأدب العربي القديم وبعض كتاب العصر الحديث وعلى رأسهم توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، إحسان عبد القدوس وأنيس منصور. ومن أكثر الروايات العالمية التي أثرتني رواية البؤساء لفكتور هوجو. هل قرأتِ البؤساء؟ إنها من أعظم وأشهر روايات القرن التاسع عشر.

- واو، لم أكن أتصور أبدا أن صلاح عزيز يقرأ روايات مثل البؤساء خاصة أنه يعيش عيشة الأغنياء. أنا صحيح لم أقرأها ولكن سمعت عنها وقرأت ملخصها منذ زمن.. شغلتني الحياة ولم أقرأها للأسف. أنا أعرف أن تعبير «البؤساء» تعبير فرنسي له معنيان، إنه يعني: «ناس يعيشون في بؤس»؛ ويعني أيضا: «ناس يعيشون خارج المجتمع وفي فقر مدقع». يا ترى ماذا دفعك إلى قراءة هذه الرواية؟

- فعلا يا ياسمين البؤساء تعد من أشهر روايات القرن التاسع عشر، يصف فكتور هوجو وينتقد في هذا الكتاب الظلم الاجتماعي في فرنسا بين سقوط نابليون في ١٨١٥ والثورة الفاشلة

ضد الملك لويس فيليب في ١٨٩٢. يصف فكتور فيها طبيعة الخير والشر والقانون وكيف يولد الفقير ويصبح سارقا ثم كيف يتحول صالحا إذا أنار له الطريق إنسان صالح. إنها الرواية التي تصف أن الخير والشر يتحركان في الإنسان ويتصارعان حتى يهدأ أحدهما ويسقط الآخر في النهاية. وحقيقة الأمر كان لي صديق بمثابة الأخ غير الشقيق هو الذي أحببني في القراءة جدا وخاصة هذا النوع الاجتماعي الذي فهمت منه الجانب الآخر من الحياة. وأنا أدين له بالفضل في هذا النوع من القراءة حتى الآن. وعلى فكرة، هو الآخر كان يكتب وأسلوبه رائع وحاولت أقلده ولكني فشلت. وعلى فكرة كان اسمه صلاح هو الآخر.

- وماذا حدث له إذا كان مثل أخيك؟ لماذا تتحدث عنه بزمن الماضي؟ واضح إنكم كنتم مرتبطين ببعض.

وهنا تدخل «شوقي» بك وزوجته في الوقت نفسه حتى لا يستفيض صلاح عن هذا الصديق ويفسد الجلسة والهدف منها، خاصة أن هذا ليس وقته تماما: يا صلاح، ممكن تعزف قطعة موسيقية على البيانو، أكيد هاتعجب ياسمين والأسرة، وأهِي فرصة كمان نسمعك لإن بقالك كتير ما عزفتش. إيه رأيك يا عزيز بك ورأيك يا هانم؟

- طبعا يسعدنا جدا، كلنا بنحب العزف على البيانو. وأهي فرصة نسمع ياسمين هي كمان. ولا أقولكم، احنا نقترح على ياسمين وصلاح يعزفوا قطعة واحدة سوا. إيه رأيكم يا ولاد؟

وعلى الفور رد «صلاح» بالإيجاب، وتمني أن تأخذه يا سمين من يديه وتصطحبه ليعزفا مقطوعة لبيتهوفن سويا، قطعة من العشق الصارخ، أو قطعة لعمر خيرت من العشق الناعم الذي يرقص على أهداب من حب وخمائل من عشق.

وافقت «ياسمين» بالإيجاب بلمحة من رأسها، ولكنها تمنت أن يكون معها الآن صلاح كاندليه لتعزف له قصيدة حب أفلاطونية على دقات قلبها وصوت أنفاس شهيقها. تمنت لو تعزف معه فطالما أخبرها بأنه تعلم العزف في بيت عزيز بك، وتعلم الرسم وتعلم الكثير من الأشياء التي تاهت أو نامت أو احتضرت بداخله. كم تتمنى أن تشاركه العزف لعله يعود إلى خيالاته وأحسن حالاته في الأدب والموسيقي واللغة والرسم. تمنت أن يكون هنا الآن، ولكنها سوف تعزف مع صلاح عزيز وكأنه صلاح كاندليه. على الرغم من الامكانات العائلية والوظيفية والشخصية الهائلة التي يمتلكها صلاح عزيز إلا أن صلاح كاندليه هو العاشق وهو المعشوق، هو الحبيب وهو المحبوب. هو الرجل الذي تحمل عنفوان بؤس الحياة وتقلباتها وبلا اشمئزاز. صحيح أنه لم يحاول تكملة تعليمه في

العام الأخير من الثانوية العامة ولكنه معذور فقد كان وقتها مثل الماء الذي يجري في نهر الحياة ثم تجمد فجأة بلا حراك نتيجة لصقيع الحياة المفاجئ.

- إيه يا ياسمين، رحتي فين بأفكارك، يلا بينا نعزف على البيانو.

- أوك، اتفضل.. تحب نعزف إيه سوا.

- لو حافظة مقطع النهر الخالد للموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب، أنا بحبها جدا.

- طبعا طبعا، دي من التراث الجميل وبحبها جدا جدا لأني كنت باعزفها وأنا في المدرسة. واضح إن ذوقك حلو يا دكتور صلاح.

- ياريت ما فيش داعي للرسميات، احنا زملاء، والآن ياريت تقبليني صديق.

- بلاش استعجال يا دكتور، احنا لسه عارفين بعض، كل شيء بأوان. يلاَّ نعزف النهر الخالد، ففي الحياة كثير من الأنهار الخالدة التي تمدها بالماء والحياة بلا توقف وبلا ثمن.

امتلأ البهو بأنغام النهر الخالد التي رقصت معها أنامل الأسرتين في نشوة وفرحة كبيرة، وصلاح وياسمين يستمتعان بهذا الجو الموسيقي الرائع الذي جعل من اللقاء تعارف حنيني سعد به شوقي بك أيما سعادة وتمنى من كل قلبه أن يُتوج هذا الحوار وهذا العزف بتفاهم حميم بين ياسمين وصلاح، ولكن قلبه ورغم كل هذا الانبساط والانسجام ما زال يتوجس خيفة من ياسمين وميولها تجاه صلاح كاندليه، ومخافة أن هذا الانسجام الذي يراه هو مجرد ثقة بالنفس أو بعمد منها للتأكيد على الفصل بين الحب والإعجاب.

صفق الجميع بإعجاب كبير لهذا الثنائي الرائع الذي جعل من الموسيقي أداة ربط بين العقول، وليتها أيضا أداة جزم لتوطيد هذا الانسجام والتواصل إلى ارتباط وخطوبة وزواج، فقلما يحدث حوار راق وفعال مثل هذا بين شاب وفتاة. ثم دعا «عزيز» بك الجميع في النفس ومن القلب أن يُتوج هذا اللقاء بقراءة الفاتحة بل القرآن كله لخطوبة سوف يباركونها.

- رائع يا ياسمين، عزفك ونظراتك أثناء العزف وانفعلاتك الموسيقية رائعة، تخطف القلب وتحرك الوجدان، هنيئا بمن سوف ينال شرف القرب منك والارتباط بهذا القلب الجميل والعقل المستنير. وبضحكة عالية أراد أن يمهد بها دعابة مقصودة تمهد

للموضوع الذي أتى له اليوم: يا ليتني كنت صغيرا مثلك، كنت تمنيت وهرولت لطلب يدك من شوقي بيه لأنال شرف القرب. ولكن صلاح ابني..

فهمت «ياسمين» ما وراء هذه المقدمة التي صدرت من عزيز بك. أسرعت وقبل أن يسترسل في الحديث عن صلاح ابنه ورغبته في الارتباط بها في تغيير مسار الحوار برشاقة وذكاء حتى لاتضطر أن تجيب فيدخل الحوار رغما عنها إلى طريق يهدم المفاجأة الكبرى عند لقاء عزيز بك بصلاح كاندليه بعد نصف ساعة من الآن. فلتمر هذه النصف ساعة في هدوء من خلال الحديث في مواضيع عامة حتى يأتي أدهم وصلاح والشيخ. ومع أنها تتمنى أن يأتوا الآن إلا أنها تريد أن تمهد للقاء أكثر وأكثر. ومع أنها وجدت صلاح عزيز شخصية مثقفة وسهل المراس إلا أنها لم تشعر تجاهه بأي مشاعر تخطف قلبها الذي أغلق بابه بالضبة والمفتاح بعد أن دخله صلاح كاندليه. وقررت أن تستأذن لدقائق إلى التواليت لكي تتصل بأدهم وتخبره عن علاقة صلاح القديمة بالأسرة الموجودة حاليا بالفيللا ونيتهم وطبيعة المفاجآت المتوقع حدوثها عند لقاء السحاب هذا. أرادت أن تخبر أدهم بهذا قبل أن يأتوا حتى يكون على علم هو والشيخ ليعضدوا موقف صلاح، مع أنه يعلم بمجيء عزيز بك وأسرته. ولكنها غيرت رأيها

وقـررت ألا تتـرك هـذا اللقـاء ولـو لدقائـق حتـى تسـتطيع التدخـل في أي لحظـة يحـاول فيهـا عزيـز بـك أو والدهـا إلـى فتـح موضـوع الارتبـاط. وعمومـا، مؤكـد أن صـلاح سـوف يخبـر أدهـم والشـيخ وهـم في الطريـق عـن حياتـه السـابقة مـع عزيـز بـك.

ردت ياسـمين بسـرعة وبضحكـة: أي بنـت تتمنـى الارتبـاط بـك يـا عزيـز بيـه، إللـي يشـوف حضرتـك وصـلاح يقـول إن إنتـم أشـقاء. أنـا العـزف الموسـيقي للنهـر الخالـد مـع صـلاح حـرّك في دوافـع لقـراءة روايـة البؤسـاء التـي أشـار إليهـا صـلاح. يـا تـرى إيـه رأيـك يـا بابـا في الروايـة دي؟ إزاي لـم أقرأهـا حتـى الآن!

اغتـاظ «شـوقي» بـك كثيـرا مـن ياسـمين وهـي تديـر وتتحكـم في حـوار واتجـاه اللقـاء كمـا تشـاء لتبعـد الحـوار عـن الهـدف الأساسـي مـن الزيـارة. كـم أنـتِ ذكيـة ورائعـة يـا ياسـمين ومـع أنـي حانـق عليـكِ الآن إلا أنـك تجعلينـي فخـورا بـك، آه منـك يـا ابنتـي الحبيبـة، أتعبـتِ قلبـي وعقلـي: الروايـة رائعـة يـا ياسـمين بالتأكيـد وتعلمنـا أن كل إنسـان يجـب ألا يعيـش في جلبـاب غيـر جلبابـه الـذي فُصِّـل لـه حتـى لا يتعـرى في النهايـة. فالبطـل في هـذه الروايـة سـجن لاتهامـه بالسـرقة ولكنـه هـرب وسـرق ثـم تنكـر في شـخص جديـد حتـى أصبـح عمـدة المدينـة، ثـم تطـورت الأحـداث ليعـود إلـى السـجن مـرة أخـرى، وبهـذا يكـون قـد قضـى علـى نفسـه مرتـين. هـذا هـو رأيـي يـا ياسـمين،

فأحيانا تحلو الحياة في أعيننا كما نريد ولكن ليس كل ما نريد يحقق لنا السعادة المستديمة بل من الممكن أن يؤدي إلى الشقاء في النهاية.

- أتصور يا بابا إن الأحداث في هذا الرواية وكما سمعت كانت كلها تشير إلى الظلم البين الذي وقع على البطل قبل أن يسجن وبعد أن خرج وكيف أن الظروف الاجتماعية والمالية التي يعيشها الفقراء ويصنعها الأغنياء هي التي تظلم كثيرا من الناس مثل بطل الرواية، فمع أنه سرق مجرد رغيف عيش ليأكله إلا انه سُجن تسع سنوات!! وهناك الكثير من الروايات التي تعيش حوالينا هي ذاتها أحداث رواية البؤساء. ولا يخفى على أحد، المناطق العشوائية الفقيرة مثل كانديليه التي فيها ألاف البؤساء.

فوجئ «عزيز» بك بياسمين تتحدث عن كاندليه فتذكر صلاح، ارتعشت يداه وشعر فجأة بغصة في قلبه وتمنى لو أن ياسمين لم تطرق إلى هذا الحديث الآن، وحاول أن يرد ويغلقه ولكنه توقف، ولم تعلق زوجته هي الأخرى طالما لم يرد هو. لاحظ «عزيز» بك احمرار وجه شوقي بك وعلامات الانفعال التي يحاول كتمانها وهو ينظر إلى ياسمين باندهاش، ولكن لا يعرف ما سر هذا الانفعال المكتوم لشوقي بك، ولكن قد يكون عدم رضاه أن تتحدث ياسمين عن منطقة لا تليق بمقامها، فتفهم موقفه وأشفق عليه

وتدخل بسرعة لكي يغير مجرى الحديث: ويا ترى ماذا عن كتاباتك أنت وقراءاتك يا ياسمين، ممكن نسمع منك حاجة؟

تدخلت الأم بعفوية: طبعا ياسمين قارئة ممتازة خاصة في الفترة الأخيرة، ياريت تقرئي حاجة يا ياسمين بصوتك الرقيق كما عودتيني عندما نخلوا سويا.

- طبعا طبعا، من عيوني ماما حبيبتي. وكأن والدتها قد أهدتها لحظة تاريخية لم تكن تتوقعها، فقررت على الفور أن تستجيب لها بقراءة قطعة من الرواية التي كتبها صلاح والتي لم تكتمل نهايتها بعد: أنا هاقرأ ليكم نصا صغيرا من رواية قرأتها وياريت تقولولي رأيكم: «دون أن يدري خلع الطفل نعليه من الفرحة التي هبطت عليه من السماء عندما أخبرته أمه التي تمشي بجواره أنها وجدت الطريقة التي سوف تستطيع بها أن تلحقه بالمدرسة كباقي أقرانه. خلع الطفل نعليه تعبيرا عن الفرحة وأطلق سيقانه تسابق الريح في عفوية وطفولة بريئة حتى ابتعد عن أمه وأيضا دون أن يدري. نادته الأم ليعود، ولكنه استمر في الجري تعبيرا عن فرحته الكبرى ولكي يفاجئ أقرانه بهذا الحدث. جرت وراءه الأم خوفا عليه، ولكنها وقعت على الأرض الوحلة ولم تستطع النهوض. وبعد ساعتين قضاها الطفل مع أقرانه في حالة من الزهو بخبر إمكانية التحاقة بالمدرسة على

الرغم من أن أقرانه قد سبقوه بعامين، عاد إلى البيت ليجد أمه ممدة على حصيرة وضعت سلفا على أرض الغرفة الوحيدة والتي لا تقوى على النهوض ولا على الحديث؛ فقد أصيبت بكسر في إحدى ساقيها التي تستخدمها في العمل في البيوت من أجل استمرار الحياة. بكى الطفل واحتضن أمه التي ذرفت دموع الحزن على خديها تحسرا على فرحة في قلب ابنها، فسوف تؤجل إلى عام آخر أو تموت إلى الأبد ...». إيه رأيكم في هذا النص والحوار والمعاني التي وراء النص؟

ابتسمت والدة ياسمين ابتسامة حاولت إخفائها ولكنها لم تستطع، وتمنت لو لم تسأل ياسمين أن تقرأ شيئا، فلم تكن تقصد بالطبع أن تقرأ رواية صلاح التي لم تكتمل بعدما أخبرتها ياسمين. مؤكد أن شوقي سيغضب عليها لو علم أن هذه القطعة من رواية صلاح. ياليتهم لا يسألوا عن الكاتب. آآه منك يا ياسمين تستفيدين من كل موقف لإظهار إمكانات صلاح كاندليه.

وفي مجاملة لياسمين ردت والدة صلاح عزيز التي لم تتحدث كثيرا منذ وصولها بل آثرت الصمت ومعاينة كل شيء في البهو، من الباب إلى السلم، تتنقل عيناها من الأثاث إلى التحف إلى السجاد إلى اللوحات وكأنها تُعين وتثمن كل قطعة، أو كأنها تريد أن تكتشف ثراء الأسرة، أو تريد أن تقارن بين ما لديها وما لديهم:

هـي قطعـة جميلـة فعـلا. وبابتسـامة باهتـة وخافتـة قالـت: بـس أنـا مـش فاهمـة الولـد خلـع حـذاءه ليـه وجـري ليـه؟؟!!

ضحكت «ياسمين» وضحك معها عزيز بك الذي لم يستطع أن يقضم أو يخفي ضحكته، ولكنه رد بسرعة حتى لا تظهر ضحالة ثقافة زوجته: طبعا إنت كنت عايزاه ما يقلعاش أبدا.. بس دول يا زوجتي العزيزة ناس بسطاء فكويس أساسا إنه كان لابس حذاء، وكويس إنه خلعه علشان ما يتقطعش؛ لأنه لو انقطع مش هايعرف يجيب واحد تاني.

- اللّه عليك يا عزيز بيه، هذا ما أراده الكاتب وهذا ما أردت أن أقوله من هذه القطعة، بالذات لإن الكاتب أراد أن يبين للقارئ أن هناك ظروف قدرية يولد بها المرء تقف حائلا بينه وبين تحقيق ما يتمناه مثله مثل الآخرين حوله ممن يراهم كل يوم ولا يستطيع مجاراتهم ببساطة لأنهم ولدوا في ظروف قدرية مختلفة. ولا أيه رأيك يا صلاح؟

- القطعة أعجبتني فعلا يا ياسمين وأتمنى قراءة الرواية كاملة لأن الكاتب واضح إنه مثقف جدا وواعي لتوظيف الكلمات وما وراءها من معانٍ فهذه القطعة الصغيرة لوحدها تكفيى لأن تكون قصة قصيرة تحمل معاني كبيرة كالتي في البؤساء. ولكن يا ترى من كاتب هذه الرواية؟

- هـذه روايـة أحببتهـا جـدا يـا صـلاح بـل عشـقت كل كلمـة فيهـا لإحساسـي بكلمـات الكاتـب. روايـة لكاتـب مغمـور يكتـب لنفسـه وليـس للآخريـن ولكنـي أقنعتـه حديثـا أن ينشـر مـا يكتـب ليسـتفيد النـاس مـن كتاباتـه الجميلـة والنابعـة مـن أحـداث الحيـاة. هـو صديـق تعرفـت عليـه حديثـا ومؤكـد أننـي سـوف أعرفـك عليـه لتصيـرا أصدقـاء ومؤكـد أنـه سـوف يسـعد جـدا بصداقتـك وروحـك الطيبـة وعقلـك المثقـف وحسـك العالـي. ومـن يـدري لعلـه يصـل وأنتـم هنـا لتكـون فرصـة جميلـة للتحـدث معـه.

تعجـب «شـوقي» بـك مـن كلام ابنتـه، مـن تعنـي بهـذا الـكلام، هـل يعقـل أنهـا تعنـي صـلاح!! هـل يكتـب صـلاح؟! لا يمكـن، مؤكـد أنهـا تتحـدث عـن أحـد آخـر في الكليـة معهـا أو عـن أدهـم. وهَـمَّ أن يسـألها، مـن تقصديـن يـا ياسـمين بهـذا الشـخص ليطمئـن قلبـه بأنـه ليـس هـو صـلاح كاندليـه، ولكنـه آثـر السـكوت حتـى لا يكـون شـكه في محلـه ويتحـول الحديـث مـن صـلاح عزيـز إلـى صـلاح كاندليـه: آه منـك يـا ياسـمين، مـا زلـتِ تمتلكيـن ناصيـة الحـوار، لسـت أدري هـل أغضـب عليـك أم يـزداد فخـري بـك. هكـذا كان يفكـر في نفسـه وهـو ناقـم أشـد النقمـة علـى ابنتـه ياسـمين.

وهنـا أدركـت «ياسـمين» الصراعـات التـي تـدور في عقـل شـوقي بـك، فبـادرت بسـؤالها: إيـه رأيـك يـا بابـا في القطعـة دي؟ أنـا عارفـة إنـك مثقـف وذواق لـلأدب.

- والله يا ياسمين هي قطعة جميلة بتظهر واقع لن يتغير حتى يوم القيامة إلا من رحم ربي. وبعدين هو احنا قاعدين في صالون ثقافي النهاردة ولا إيه؟! احنا عايزين نتكلم عن بعض شوية وكمان عايزين نشرب حاجة يا ياسمين وفين حلوياتك الشرقية الجميلة. وتمنى «شوقي» بك أن تطاوعه ياسمين وتذهب لإحضار المشروبات والحلويات، ولكنها قطعت تمنياته بندائها الخادمات ليحضروها من المطبخ مع أنها لا تفعل ذلك في الأوقات العادية؛ فهي حريصة ألا تترك المكان حتى لا يتغير مسار الحديث.

- يا عمو شوقي، الحديث رائع وأنا سعيد جدا بحديث اليوم وخاصة حوار ياسمين.. كم هو رائع وثري ومفيد، كم هو ألذ من المشروبات والحلويات الشرقية بكل أنواعها. يا ليتنا نتحدث عن المزيد.

اشتاط غضب «شوقي» الدفين وكتمه وتمنى لو يسكت هذا الشاب الكئيب الذي لا يعرف ما وراء ياسمين وكيف هو واضح أنها تريد إفساد سبب الزيارة ولكن بطريقة حليمة وذكية، بل هي تستخدم كل فرصة لتمهد لقدوم صلاح الذي قد يأتي الآن في أي لحظة، وهم بالطبع لا يعرفون أن ابنتي قد جنت ووقعت في حب صلاح آخر، صلاح كاندليه. إنه جنون أن تترك صلاح عزيز بكل فتوته العائلية والمالية والوظيفية والثقافية، بوسامته وأدبه الجم،

وتتمسك بصلاح كاندليه، الشاب الصعلوق الذي ليس لديه أي شيء سوى جميل قدمه لها وانتهى الأمر! عذرا أيها القدر، لم أعد أفهم شيئا من أحداث الحياة المتناقضة.

فوجئت ياسمين برسالة من صلاح يخبرها بأنه على وشك الوصول إلى باب الفيللا، وبأنه حكى لأدهم والشيخ كل تفاصيل حياته السابقة مع عزيز بك، وهم متفهمون موقفه، وعضدوه مجيئة ليقابل أسرة عزيز بك بلا حرج. شعرت ياسمين بأن ساعة الصفر قد حانت. وبالفعل لم تمضي دقائق حتى دق جرس الفيللا فاتجهت أنظار الجميع ناحية الباب ما عدا ياسمين التي كان عقلها وقلبها معلقين هناك مع يديها وهي تجري نحو دقات الباب على أنغام دقات قلبها.

●●●

الفصل السابع والعشرون

«وراء كل لقاء أسباب يصنعها ويخرجها القدر ...»

- أهلا بأصدقائي الأعزاء، تفضلوا، فالجميع ينتظر قدومكم على أحر من الجمر. دخل شيخ المسجد أولا وتلاه أدهم، وبقي صلاح في الخارج ولم يدخل حسب اتفاق ياسمين معه ومع الشيخ وأدهم. قدمت ياسمين كلا منهما، الشيخ «أحمد» إمام المسجد في منطقة بجوارنا اسمها كاندليه وقد تعرفت عليه منذ شهر تقريبا ولكن كم أحترمه وأجله لإخلاصه وتفانيه في عمله والثقة الكبيرة التي تستطيع بسهولة أن تشعر بها وأنت تتعامل معه. وهذا الصديق العزيز «أدهم» الذي تعرفت عليه أيضا منذ شهر عن طريق صديق آخر، وكم أثق في أدهم وفي أفكاره وإنسانيته وعمله كمهندس ديكور رائع.

وهنا تنفس «شوقي» بك الصعداء، فصلاح كاندليه لم يأت مما يمثل تحولا كبيرا، ولعله قد استوعب مدى الفارق المذهل في كل شيء بين ياسمين وبينه وأن الارتباط بينهما كلقاء السماء والأرض. ونهض يسلم عليهما ويرحب بهما بعد أن تأكد من عدم وجود صلاح: أهلا ياعم الشيخ، أهلا يا باشمهندس أدهم، ياسمين كلمتني عنكم كتير، أهلا بيكم. ولم يتطرق شوقي بك إلى كاندليه

فقد تحاشى هذا الاسم تماما خوفا من أن يتساءل عزيز بك عن علاقة ياسمين بكاندليه، وكيف تعرفت على الشيخ الذي يسكن كاندليه. شعر بحرج شديد تمنى ألا يزيد بمزيد من الأسئلة أو التعليقات من عزيز بك، فتنفس الصعداء بعدم طرح أي أسئلة من أسرة عزيز، ولكنه اندهش كثيرا من عدم سؤالهم، وبالطبع فسره على أنه غضب مكتوم منهم تجاه هذا الارتباط الوثيق بين كاندليه وياسمين، ولكن ما زال لديه أمل في إزالة هذا الغضب وبأي وسيلة.

- ياسمين، اقفلي الباب وتعالي علشان نرحب بالضيوف ونتحدث، ولا إنتِ عجبتك الوقفة عند الباب!! قالها شوقي بك بتوجس وخيفه، وكأنه يتوقع أن هناك مفاجأة ما وراء هذا الباب، ما هي؟ لا يدري ولكن بالطبع يتمنى من كل قلبه ألا يكون صلاح كاندليه حتى لا يخسر هذه الأسرة وهذا العريس الرائع ابن الأصول.

- يا بابا أنا واقفة عند الباب لأن فيه حد لسه بره، والحد ده إنت عارفه كويس وعارف إنه جاي النهاردة، بس أنا حبيت أعملها مفاجأة للجميع وهو واقف أهو. أدخل يا صديقي العزيز.

دخل «صلاح» على استحياء شديد رغم أن هذه هي المرة الثالثة يدخل الفيللا، كانت المرة الأولى عندما أوصل ياسمين بسيارتها، والمرة الثانية عند أخذ رأيه في ديكور البهو، والمرة

الثالثة الآن. دلف صلاح من باب الفيلا بطوله الفارع وبهندام شيك اشتراه اليوم مع أدهم، وبين يديه صحبة ورد البنفسج والتي قدمها إلى والدة ياسمين: اتفضلي يا طنط وأتمنى ذوقي ينال إعجابك، فهذه الورود رمز مني لأنال شرف صداقتي لأسرتكم.. فأتمنى لو يقبلني شوقي بيه صديقا للعيلة.

وقبل أن يتفوه «شوقي» بك بكلمة واحدة ردا على صلاح، شهق «عزيز» بك وكذلك زوجته وابنه ودون أن يدروا وقفوا وقفة واحدة في آن واحد، فقد تعرفوا على صلاح كاندليه بسهولة رغم مرور حوالي عشر سنوات منذ أن فارقهم. وجدوه يقف أمامهم شابا فارع الطول مهندم ولبق الحديث ومذواق. وتسمرت عائلة عزيز بك أمام صلاح غير مصدقين أنفسهم: مين؟ صلاح!! معقول يا صلاح!! إنت واقف قدامنا بشحمك ولحمك!! ثم هرول عزيز بك نحو صلاح وضمه إلى صدره، فكم كان يحبه بل يعشقه ولكن شاءت الظروف تحت تأثير زوجته أن يفترقا وألا يبحث عنه بعد أن ترك الفيلا وهو في الفصل الثاني الثانوي العام. احتضنه صلاح هو الآخر وذرفت من عينيه دموع الفرحة الممزوجة بدموع الذكريات، وسلمت عليه زوجة عزيز بك بانفعال واضح: إزيك يا صلاح، أخبارك إيه ويا ترى طول المدة دي كنت فين، شكلك كنت لسة في كاندليه. ووقف «صلاح» أخيرا غير مصدق أن هذا صلاح

الـذي تـرك الأسـرة والـذي كـم كان يحبـه ويعاملـه كأخ رغـم فـارق الثمـان سـنوات بينهمـا . ارتمـى «صـلاح» في أحضـان صـلاح ليمتزجـا في مشـاعر ذكريات الأخوة التي كانت.

ظـل «شـوقي» بـك جالسـا مكانـه مـن هـول المفاجـأة تـارة ينظـر إلـى عزيـز وتـارة إلـى صـلاح وتـارة إلـى ياسـمين وهـو غيـر مصـدق لمـا يحـدث. أنـا لا أفهـم شـيئا ممـا يجـري فقـد أربكتنـي ياسـمين منـذ بدء هـذا اللقـاء وشـعرت أن هنـاك مفاجـأة كبـرى، مـا هـي؟ لا أدري. ولكـن كان لـدي شـبه يقـين أن المفاجـأة خاصـة بصـلاح كاندليـه، فقد أعياني التفكيـر في إدراك أو تخمـين مـاذا لـدى صـلاح كاندليـه لكـي تصـل درجـة المفاجـأة إلـى مـا أرى أمـام عينـاي وفي بيتـي وفي لقـاء كنـت لا أرى فيـه سـوى ابنتـي وابـن عزيـز لأعـزز ارتباطهمـا، ولكـن أجدنـي فجـأة أكاد أفقـد عقلـي، واقفـا فـارغ الفـاه أمـام أحـداث سـريعة ومتلاحقـة أخرجتهـا ياسـمين ابنتـي في منتهـى الـذكاء والروعـة. والآن أسـتطيع أن أفهـم لمـاذا لـم يندهـش عزيـز عندمـا سـمع كلمـة كاندليـه مـن ياسـمين، مؤكـد أنـه كان خجـولا هـو الآخـر مـن معرفـة صـلاح. ولكنـي أراه يحتضـن صـلاح وبحنـان بالـغ مـا عـدا زوجتـه التـي تتعامـل معـه بفتـور. مـاذا يجـري هنـا بحـق الله، هـل صـلاح هـو ابـن آخـر لعزيـز مـن زوجـة أخـرى، هـل كان يعمـل لديهـم، هـل، وهـل..؟؟ رأسـي تـكاد أن تنفجـر.

وتوجه «شوقي» بك إلى ياسمين ليسألها وبنبرة حادة: ممكن أعرف إيه الحكاية بالضبط؟؟ من هو صلاح، وما هي علاقته بأسرة عزيز بيه. واضح إنك كنتِ تعلمي ورتبتِ كل شيء ولذلك كنت مُصرة على مجيء صلاح في نفس اليوم لزيارة عزيز بيه. أنا عايز أعرف كل حاجة والآن، أنا مش هاظل واقف كده كتير أتفرج على فيلم هندي غير مترجم.

- حاضر يا بابا، هاقول لحضرتك كل حاجة، ولكن لا يوجد هناك أحداث مرتبة، ما جعلها تبدو مرتبة لحضرتك أن زيارة صلاح كاندلية وصلاح عزيز جاءت في نفس اليوم وأنا نوهت لحضرتك على زيارة صلاح وأدهم وعمنا الشيخ من قبل ولكن حضرتك نسيت واستأذنتك أن يأتي أصدقائي في زيارتهم حتى لا أعتذر لهم وبصراحة شديدة أنا وجدتها فرصة للم شمل من تفرقوا وشعرت أن القدر هو الذي رتب لهذا اللقاء الرائع الذي أرى حضرتك فيه المنظم والراعي، وهذا شيء عند الله كبير، وأنا شخصيا تعلمت أن أسعد جدا عندما يخصني القدر بأحداث ما حينئذ أفعل ما بوسعي لأنال الشرف فأكون سببا من أسباب تنفيذ قرارات القدر. أما عن العلاقة بين صلاح كاندليه وعزيز بيه لا أستطيع أن أخوض فيها وأطرافها موجودون، فهم أولى بذلك خاصة أنا لا أعرف الكثير من التفاصيل.

حـاول «شـوقي» بـك أن يهـدأ مـن نفسـه أثنـاء حديـث ياسـمين، وبالفعـل هـدأ تحـت تأثيـر كلماتهـا المقنعـة خاصـة وهـي تتحـدث عـن القـدر، فعندمـا يأتـي القـدر في الحديـث تنصـاع النفـس لمـا يقـال وتتجاهـل الأسـباب والحسـابات لأن كل مـا هـو متعلـق بالقـدر مقبـول فـوق الأسـباب حتـى يرتـاح العقـل والقلـب وحتـى لا ينقلـب عليـه القـدر الـذي يصنـع الأحـداث فـوق الزمـان والمكان والأسـباب: عمومـا أنـا يـا ياسـمين أتفهـم كلامـك وأصدقـك القـول وأُدرك أننـا في لقـاء قـدري في بيتـي وفي هـذه اللحظـة القدريـة ولكنـي بالفعـل أريـد أن أفهـم مثلكم أنـا ووالدتـك مـاذا يجـري هنـا حتـى أسـتطيع أن أدرك قـرارات القـدر. فليتفضـل أحـد هنـا للإجابـة علـى سـؤالي عـن طبيعـة العلاقـة التـي فاجأتنـي بـين عزيـز بـك وصـلاح والتـي فجرهـا القـدر مـن لحظـة حادثـة ياسـمين في كاندليـه حتـى زيـارة عزيـز بـك اليـوم.

كل هـذا الحديـث السـاخن في بهـو الفيـلا، وكلا مـن أدهـم وشـيخ المسـجد يراقبـان الحديـث بشـغف ولكـن بـلا تدخـل؛ لأن الحديـث اجتماعـي جـدا وخـاص جـدا. ولكـن عندمـا سـأل «شـوقي» بـك هـذا السـؤال الخـاص جـدا ولاحظـوا همهمـة مـن عزيـز بـك ليـرد علـى السـؤال، طلـب الشـيخ الاسـتئذان ومعـه أدهـم للانصـراف.

وعلـى الفـور وقبـل أن يوافـق والدهـا، تدخلـت «ياسـمين» موجهـة حديثهـا إلـى الشـيخ: بالعكـس وجـود حضرتـك مهـم جـدا فقـد علمـت

من صلاح أن حضرتك طرف في الموضوع. أما أدهم فهو صديق مخلص لصلاح وأعتقد أنه عرف بعضا من هذه العلاقة اليوم. ثم أن هذه العلاقة مؤكد كانت رائعة في كثير من المواقف لكي يفتخر بها كل طرف، وأنا أشعر الآن أننا جميعا أصبحنا أصدقاء أو أسرة واحدة، خاصة كلا من صلاح عزيز وصلاح كاندليه. مش كده ولا إيه حضرتك يا عزيز بيه؟

- والله يا ياسمين يابنتي إنت انسانة رائعة، والآن أسعد وأتشرف أنك تكوني زي بنتي وطبعا يسعدني جدا نكون أسرة واحدة بس بشروط.

- وما هي هذه الشروط التي تمنع المشاعر الأسرية يا عزيز بيه؟!

- الشرط الأول إنك تناديني عمو عزيز إللي تهربتِ منه قبل كده، والشرط الثاني أن يأتي صلاح جنبي هنا دلوقتي ويسامحني فيما فعلت، والشرط الثالث أن يقبل أبوتي المعنوية له مرة أخرى قبل أن يحكي عن أي شيء منذ تركنا وحتى هذه اللحظة.

- أما الشرط الأول أنا موافقة عليه تماما وبكل سعادة يا عمو عزيز، أما الشرط الثاني والثالث فهما في يد صلاح.. قلت إيه يا صلاح؟

وهنا ازداد تعجب «شوقي» بك مما يجري، هل تتحول الأحداث في أقل من ساعة بهذه السرعة. أأجمد موقفي العدائي تجاه صلاح كاندليه وهو في بيتي وأتركه يقرر أن يحقق الشروط أم لا، ومع من، مع الرجل الذي جاء بكل هيبته وماله وجاهه وسلطانه ليخطب ابنتي فيتحول الأمر برمته إلى صلاح كاندليه الذي كنت أخشى من حب ابنتي له وكنت أقف له بالمرصاد. حقا، هو القدر الذي يساوي بين كاندليه وغيرها، القدر الذي يستطيع أن يقلب كافة الموازين في لحظة واحدة ولو على عكس العرف والقوانين وناموس الحياة، إنه القدر الذي ينظر إلينا مبتسما وهو يخاطبنا ونحن لا نسمع، فيما تخططون وفيما تعادون وفيما تتآمرون وفيما تتنافسون وتمكرون وكل شيء مقدر ومكتوب وينفذ في الوقت والمكان المعلوم!! نعم، نجتهد ونحاول فقط ليرضى عنا القدر الذي يصنع هو الأحداث. وقرر «شوقي» بك ألا يتدخل في الحوار الذي تديره ابنته بذكاء بارع يحسدها عليه ويفتخر بها، ويجب أن يعبر عن فخره هذا لاحقا وأمام العالم لكي يفي بحقها، بل عليه هو أن يفتخر أن يكون هو والدا لياسمين وعليه أن يُقر أن جزءا من التحول في شخصية ابنته جاء بفعل من كاندليه، فشكرا كاندليه ومعذرة أيها القدر سأستمع جيدا لأتعلم وأستفيد من ترتيباتك التي هي فوق كل الحسابات.

- بالطبع، أنا لايمكن أن أنسى أفضالك يا عزيز بيه عليّ ويسعدني أن أناديك بعمو عزيز مثل ياسمين. أنا لا أنسى أبدا اليوم الذي استقبلتني فيه أول مرة أنا وجدتي التي كانت تنزف الدم من رأسها على أثر حجر رميته أنت في الماء فأصابها خطأ ونحن بالقرب من العوامة نحاول أن نلتقط رزقنا من البحر من خلال اصطياد بعض السمك، فإذ بك تحطم المحاولة بحجرك الذي ما زلت أحتفظ به للذكرى معي في كانديليه. الحجر الذي بقدر ما كان السبب في نزيف جدتي بقدر ما كان السبب في التعرف على قلبك الطيب وروحك السمحاء وكلماتك المذيبة لكل الآهات. أتذكر كيف استقبلتني أنا وجدتي وأختي في العوامة، وكيف قدمت لنا من كرم أنت وزوجتك لم نكن نتوقعه بل زادت الأحلام عندما قررت أن تنزل القارب لتصطاد معنا السمك وقد كان يوما جميلا عوضني عن فقد والدي في حادثة السيارة والذي تسبب في خروجي من المدرسة آنذاك.

- آه يا صلاح، كم أتذكر هذا اليوم الذي كنت أشعر ساعتها بضيق وزهق من الحياة فخاطبت البحر ليسمعني والأمواج لتفهمني، فلم يلق البحر بالا بأحزاني ولا توقفت الأمواج لتسمعني. كانت الأحزان تطوقني من كل جانب بالرغم من امتلاكي كل شيء ما عدا الولد الذي لم يشأ الله لي ولزوجتي حينها أن يرزقنا من فضله بالأولاد، فشعرت أن كل ما لدي ليس لي وفقدت الدافع

في البقاء في الحياة خاصة بعد تفاقم المعارك بيني وبين زوجتي. ثم شاء القدر أن أقف في بلكونة العوامة وأخاطب البحر وألقيه بحجر انتقاما منه ومن نفسي فإذ بي أفاجأ بآهات جدتك التي حركت الذنب في نفسي وقطعت حبال طاقتي السلبية لتتبدل بكل هذه الانطلاقة في الحياة وأنزل البحر معكم وأجدف القارب وأعمل بنفسي كفرس النهر وأصطاد هذا الكم من السمك يومها لنعود به إلى جدتك لنطهيه في العوامة، كم كان يوما في العمر جميلا يا صلاح وقد كنت أنت طفلا رائع الذكاء تمنيت يومها أن يكون لي ولد مثلك.

- أتذكر هذا اليوم جيدا، وما زلت أتذكر لون الماء وعدد تيارات الماء التي غازلت القارب، وأتذكر بسماتك وأنت تتغلب على تيارات الماء الجارفة، أتذكرك وحبات العرق على جبينك فتبدوا كحبات اللؤلؤ تحت ضوء الشمس. حبات العرق التي انسابت على جبينك ضاحكة من عناد عضلاتك وهي تضرب تيارات الماء التي تسير عكس القارب ثم قهقهة ضحكتك وأنت ترى الأسماك تتلألأ في ضي النهار محاولة الفكاك من شبكة الصيد. أتذكر هذا اليوم وكأنها لوحة رسمت بأحبار الذكريات التي لا يمحوها تقلبات الزمن. كنت أنا الطفل الذي لا حول له ولا قوة وأنت لي البطل، ولكنك حاورتني لتخرج مني البطل الذي لا يقهر.

وهنا تتحنح «شوقي» بك وهو ينصت غير مصدق لما يسمع، أحدث كل هذا بين صلاح وعزيز بك؟!! ثم ما كل هذا الجمال الحواري لصلاح بكلمات عذبة جميلة ومؤثرة تنساب من شفتيه كنهر من الألحان المتدفقة من علٍ فينظر إليها الجميع بإعجاب. ما كل هذا الحنين الذي يختبئ ويسكن في نبرات صوت صلاح، ما كل هذا الأدب وما كل هذا الإبداع. يا تُرى من علمه هذا، مستحيل أن يتعلم ذلك في كاندلية الشعبية. مؤكد هناك سر أتمنى أن أعرفه: واضح يا عزيز بيه أن هناك قصة كبيرة مع صلاح.. كم أنا مشتاق لمعرفتها.

- بالفعل شوقي بيه، لي مع صلاح قصة حياة لم ولن أنساها.. وكما ترى فقد سميت ابني الوحيد على اسم صلاح لحبي الشديد له واحترامي لمشواره في الحياة التي عاندت كل خطوة كان يخطوها فيها قبل وبعد وفاة والديه في حادثة وهو ما زال طفلا في مقتبل العمر. القدر يا شوقي بيه مثل الأرجوحة، تارة ترتفع بنا وبقوة إلى السماء وتارة تهبط بنا إلى سطح الأرض. حتى ونحن نرتفع بكل قوانا قد لا نستطيع التحكم في قوانا وننقلب من شدة الارتفاع فيرسل لنا القدر من يصرخ فينا لنقلل من ارتفاعاتنا لنسلم. وصلاح كان هذا الإنسان الذي أرسله لي القدر لكي أحافظ على اتزاني في الارتفاع فرأيت فيه رغم بساطته

ما لم استطع أن أراه في كل ما حولي حينئذ رغم كل ارتفاعاتهم. ولذلك تمنيت أن أساعد صلاح كما ساعدني، فطلبت من جدته أن يعيش معي كالابن لأكون له كالأب في الحنان والاهتمام. وقَبِلت جدته وقبل صلاح بعد تفكير ومحاولات، وكم كنت سعيدا ولم أنم ليلتي عندما قبلا أبوتي والتي استمرت عن حب طيلة سبع سنوات حتى وصل صلاح إلى الثانوية.

– قصة غريبة فعلا عزيز بيه وتعكس كم أنت إنسان رائع ونبيل، ولهذا حكمت أنا على صلاح عزيز في تربيته التي أراها الآن نابعة من والده البطل كما لقبك صلاح منذ قليل. وأنت يا صلاح، كم ظلمتك وظلمت إنسانيتك التي تأرجحت مع موجات القدر لتأخذك تارة إلى الأرض وتارة إلى السماء وأنت ممسك بأحبال القدر لتحافظ على توازنك. ليتني أسمع منك يا صلاح قصتك الكبرى مع عزيز البطل. وبابتسامة تعكس بعض الراحة التي بدأت تتسلل إلى قلبه: وياريت تخبرني بماذا أناديك فمعنا أيضا صلاح آخر؟

وعلي الفور رد «صلاح عزيز» وبضحكة كلها مرح وحب: طبعا هو صلاح الأول يا عمو شوقي وأنا صلاح الثاني. ولا إيه يا ماما؟

وهنا نطقت والدة صلاح التي كانت قد قررت منذ مجيء صلاح وأصدقائه ألا تتحدث وتتدخل في الحديث خاصة أنها السبب الرئيسي في خروج صلاح من العائلة بعد سبع سنوات؛ بسبب الغيرة القاتلة على صلاح ابنها والتفرقة الواضحة التي وصلت إلى الإهانة المتعمدة التي وجهتها إلى صلاح: طبعا يا صلاح يا حبيبي، صلاح زي أخوك بالضبط وإنت اسمك على اسمه حبا فيه.. صلاح كان وما زال واحدا من الأسرة، هو صلاح الأول.

- أنا لم أترك بيت عمو عزيز إلا بعد أن تأكد لي أني أصبحت قادرا على الاعتماد على نفسي، فقد أنهيت حينئذ عامي الدراسي الثاني في الثانوية العامة وقررت أن أحصل على الثانوية وأنا في كانداليه حتى تكون ثانوية مميزة وذكرى تبقى طوال العمر، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وأراد القدر لي أن أترك المدرسة نهائيا في قصة درامية لا وقت لأحكيها ولكني ندمت ساعتها على تركي بيت عمو عزيز قبل أنهي الثانوية خاصة أني كنت من المتفوقين وكنت في مدرسة لغات وكنت أكتب الشعر وأكتب القصص وهي الهواية التي ولدت بها ونميتها وأنا عند عمو عزيز. وفي نفس الوقت لم أستطع العودة إلى عمو عزيز مرة أخرى وتغير الحال إلى صلاح كانداليه كما تحب ياسمين أن

تلقبني دائما منذ عرفتني. كانديله بالنسبة لي هي الفرن الحراري الذي يصهر الأيام والرجال فإما تُلقى كالنفايات من شدة الصهر ولا أحد يهتم بها ويعالجها ببساطة لأنها من كانديله، أو تُنقى من الشوائب لتصير أكثر قوة وتحملا، ولكن لا أحد يشتريها ببساطة لأنها من كانديله. أما الحياة خارج كانديله فهي مثل قاعة جميلة ومكيفة تنعم بها وتحبها أول الأمر ثم تزهدها وتشتاق إلى هواء حُر طليق تتنفسه بعمق، أو مع الوقت قد لا تتحمل هواء التكييف بالقاعة فإما أن تهرب أو تقبل بالأمر الواقع وتتكيف معه. وفي كل الحالات لا أحد يرتاح إلى ما هو فيه ودائما يبحث عن مزيد من الراحة، وكل بطريقته وتوقيته.. أما بالنسبة لي فقد كانت حياتي الأولى في الفرن الحراري لكانديله الذي صهرني ونقاني فأصبحت أعشق القراءة ولو خلسة، والرسم ولو صدفة، والتأمل ولو خفِية، تعلمت من أُصادق من كانديله وخارج كانديله وقد منحني القدر الكثير من الفرص البسيطة لعله كان يختبرني أو يؤهلني لما لا أدركه حتى رَتب القدر لي لقائي وأنا طفل مع عمو عزيز لأستمتع بالقاعة المكيفة معه ومع طنط زوجته فتعرفت على حياة جديدة لها عالمها الخاص من تعليم وأدب ولغة وأخلاق، عالم يشبه كانديله تماما ولكنه مُمَنتج، ويُجَمل ويُنمق قبل أن يخرجه ناس إلى لناس، عالم تستطيع فيه وبكل سهولة أن تكون إنسانا في

المظهر والمخبر، تستطيع بسهولة أن تحقق ما تتمناه ويُشار إليك بالبنان.. واستفدت كثيرا من هذه الحياة المنعمة بفضل أسرة عمو عزيز خاصة بعد أن أراد الله ورزقه بصلاح حقيقي، صلاح من صلبه إكراما له برعايته صلاح كاندليه. وأصبحت ماهرا في اللغة العربية والآداب والتاريخ وملما باللغة الإنجليزية والفرنسية وصاحب ستايل في الذوق والهندام وتنبأ الجميع لي بأن يُشار إليّ بالبنان ولو بعد حين، آجلا أو عاجلا. ولكني وفي لحظة كنت فيها إما مسيرا وأرادها القدر أو مخيرا فيها وطاوعني القدر، لحظة قررت فيها ولأسباب كثيرة أن أترك القاعات المكيفة وأعود إلى الفرن الحراري الذي ظننت أني لن أدخله مرة أخرى ولكني وجدته فاغرا فاهه هناك لألُقي فيه فور عودتي. ثم مرت الأعوام في كاندليه، وبالفعل أشار الناس إليّ بالبَنان ولكن كانت بَنان متسخة، بنان ضاعت بصماتها تحت التراب الذي أصرّ ألا يفارق تلك البنان، بنان أهل كاندليه.. ثم رتب ليَ القدر لقاء ياسمين على أبواب كاندليه. اللقاء الذي نقل القاعة المكيفة من خارج كاندليه إلى حجرتي في كاندليه لأراها قصرا منيفا لأن فيها ياسمين، الإنسانة التي ذكرتني بحياتي مع عمو عزيز، بل نقلتني فجأة إلى مفردات اللغة والفكر والحوار الذي كنت قد افتقدتها تماما في كاندليه، حياة راقية لأن أُناسها تعلموا كيف يكون رُقي الحديث،

حياة نظيفة لأن أُناسها يملكون أسباب النظافة، حياة مختلفة في الرؤية والأسباب والأهداف عن الحياة في كاندليه. جعلتني ياسمين وهي في شبه غيبوبة من آثار الحادثة أعود إلى روايتي التي كنت قد بدأت كتابتها منذ فترة ولكني دائم الانشغال عنها بحياة كاندليه، جعلتني أعود إليها وأعود إلى نفسي وأحاورها في شخص ياسمين عندما أفاقت، خاصة عندما وجدتها غير آنفة من سيدات كاندليه بل صاحبتهن فرأيت في شخص وروح وكلمات ونظرات ياسمين وهي في كاندليه وفي عباءة سيدات كانديه وفي فطار أهل كاندليه الحياة رغم التناقض البين، رأيت كيف ينصهر التناقض ويعيش جنبا إلى جنب إذا قَبِل كل جانب تناقض الآخر. رأيت كل هذا في ياسمين التي أحبت الناس في كاندليه ورأيته في أهل كاندليه الذين أحبوا وبصدق ياسمين وخافوا عليها كواحدة منهم ساعَتها، شعرت أن كاندليه قدر، وما خارج كاندليه قدر، تماما كالقدر الذي خلق الخنفساء والطاووس، والقدر الذي خلق الذكر والأنثى، والذي رفع السماء وبسط الأرض، القدر الذي أراد أن نرى الأشياء متناقضة أمامنا لعلنا نستوعب الدرس ونقبل الآخر ولو كان ملأه التناقض، الذي لم يخلقه القدر إلا ليختبرنا ويعلمنا أن الجميل لن يدرك أنه جميل إلا إذا رأى دميما، وهكذا العلاقات الإنسانية والمادية في كل حالاتها. هكذا تعلمت من

ياسمين حتى أحببت الحياة في كاندليه بفضل ياسمين. ثم رتب لي القدر وبسبب ياسمين لأقابل أدهم الذي رأيت فيه كل الفرص الجميلة لأكتشف ما توارى في نفسي تحت عباءة كاندليه، تعلمت منه كيف يستطيع الآخر أن يُخرج أحلى ما فيك لو أراد، تعلمت منه كيف تكون الصداقة على أرض الواقع، وكيف أن الصداقة ليست بعدد الأعوام ولكن بصدق المواقف ولو قلّت.. هذه هي قصتي مع الحياة حتى الآن وباختصار شديد، حياة لو عادت لي منذ البداية لاخترت أن أعيشها كما عشتها حتى الآن وبدون أي ندم.

●●●

الفصل الثامن والعشرون

«الفارق بين ترتيبات البشر وترتيبات القدر أن ترتيبات البشر قد لا تحدث حتي ولو خططنا لها ، أما ترتيبات القدر فهي نافذة حتي ولو لم نخطط لها»

بعد أن سمعت «جيهان» هانم كل هذا الإطراء من الجميع على صلاح كاندليه حتى من ابنها وزوجها وهي التي جاءت اليوم لتخطب ياسمين جميلة الجميلات وسليلة العائلات لتكون زوجة ابنها المستقبلية، تملكها الغيظ الذي حاولت كتمانه ولكنها لم تستطع فقد طفح غيظها على وجهها وفي طريقه إلى لسانها.

نظر إليها زوجها بقلق شديد ليس عليها ولكن على هذه الجلسة التي من الممكن أن تنفجر بين الفينة والأخرى إذا انفجر غيظ زوجته الذي بدا على وجهها، فهو يعرفها حق المعرفة. فكم من مرة حدثت انفجارات كلامية مدوية منها على أمور قد تكون تافهة بسبب عصبيتها رغم الطيبة الكبيرة التي تسكن قلبها. وبالإضافة إلى العصبية والتي زادت جدا منذ لحظة قدوم صلاح ابنها للحياة خوفا وغيرة شديدة عليه وحرصا على إرضائه بكل السبل وعدم تحمل أي موقف ضده. جعل ذلك عزيز ينزعج لتوقعه حدوث أي رد فعل الآن من زوجته فبادر ونظر إليها برقة

مبتسما: إيه رأيك يا جيهان تحاولي تقنعي شوقي بيه والهانم وياسمين بقضاء يوم عائلي جميل الخميس القادم في القاهرة وقضاء أمسية رائعة في حفلة الأوبرا وننتهز الفرصة ونعرفهم على بيت العائلة في القاهرة وأملاكها هناك؟

وبالفعل نزلت هذه الكلمات على سهير كالماء لحظة فوران النار، فلملمت ثورة غضبها التي كادت أن تنفجر وحبستها داخلها حتى ترى نتيجة هذه الجلسة التي تحولت من تعارف عائلي إلى تعارف على صلاح وحياة صلاح. صلاح الذي ترك بيتها بسبب غيرتها القاتلة على ابنها الحقيقي صلاح عزيز. أومأت إلى عزيز بابتسامة هادئة تخفي وراءها غضبا ما زال مختفيا، ثم نظرت إلى شوقي بك بعيون مبتسمة، وبفرحة تحول الحديث إلى منحنى آخر أتت من أجله: طبعا أنا يسعدني جدا بالنيابة عن أسرة عزيز توجيه الدعوة لشوقي بيه وأسرته لقضاء ليس يوما بل أكثر من يوم في الفيلا وفي العوامة وفي المزرعة وطبعا الاستمتاع بأمسية غنائية بالأوبرا. أرجو أن تقبل دعوتي يا شوقي بيه.

وبفرحة سكنت كل ملامحه رد شوقي بك بالإيجاب وهو ينظر إلى ياسمين وكأنه يتودد إليها ألا تفسد عليه هذا الترتيب والعرض الذي أنقذه في الوقت المناسب من سيل الإطراء على صلاح كاندليه،

فصحيح هو أصبح معجبا ومقتنعا جدا به، وصحيح تربى وتعلم في فترة طويلة عند عزيز بيه، ولكن لماذا الارتباط به ولدينا صلاح آخر أصلي في كل شيء. - أظن أنك ليس لديك مانع يا ياسمين.. هاتكون فرصة طيبة لتعارف العائلتين عن قرب.

وبذكاء شديد وسرعة بديهة: طبعا طبعا يا بابا، موافقة أنا أحببت أسرة عزيز بيه جدا ونفسي أتعرف عليها أكثر.

وهنا تنفس شوقي وعزيز بك الصعداء، وارتسمت على ملامح سهير هانم علامات فرحة الانتظار بتوجيه الدفة إلى عائلتها والموافقة الضمنية على صلاح ابنها. وعلى الجانب الآخر انكمش صلاح كاندليه في نفسه وتقوقعت أنفاسه، وبجواره أدهم الذي شعر بحشرجة أنفاس صديقه صلاح المكتومة. نظر الشيخ إلى صلاح كاندليه بابتسامة كلها ثقة في ترتيبات القدر، ابتسامة جعلت صلاح كاندليه يبتسم هو الآخر وكأنهم يتحدثان بلغة العيون والقلوب.

وقبل أن يتمكن الاطمئنان من قلب شوقي بك أكملت ياسمين: ولكن يا بابا لي طلب بسيط.

وهنا تكهرب شعور الاطمئنان لدى شوقي بك وأسرة عزيز بك مرة أخرى، وتقريبا الكلمات التي سوف تنطقها شفاه هذه

الفتاة التي لا يعرف أحد في كل مرة ما يدور خلف أسوار هذه الشفاه المبتسمة وهذه الملامح الطفولية من ذكاء ودهاء وسرعة بديهة بأسلوب رقيق عذب. الوحيد الذي فهم ياسمين تماما منذ لقائهما اليوم هو صلاح عزيز فقد أدرك بقلب الشاب وعقل المشاهد والمحلل لما يجري أن ياسمين وصلاح يعيشان في حالة حب أو على الأقل حالة إعجاب وعليه أن يكون عزولا إلا إذا كان مخطئا، أو إذا تبدلت المواقف لتبدل الرؤى والقناعات. ولذلك ظل يشاهد ما يجري وعيونه تتنقل بين عيون كل الجالسين وهو مبتسما ابتسامة المعجب بهذه اللحظات الفريدة التي تسجلها هذه اللحظة المتفردة التي جمعته مع آخيه صلاح كاندليه.

وبتوجس وبابتسامة مضطربة: إيه طلبك يا ياسمين؟

- أنا سعيدة جدا يا عمو عزيز بالتعرف على صلاح فقد شعرت فعلا أنه صديق بل أخ أعتمد عليه وسوف يسعدني قضاء اليوم معكم كأسرتي الثانية، ولكن طلبي هو أن يأتي صلاح كاندليه معنا ليلتئم شمل أسرة عزيز بيه وتكتمل فرحتي بهذا اليوم.

وهنا نظر «شوقي» بك إلى عزيز بك بتعجب: ونظر أدهم والشيخ إلى صلاح بود، وهنا نهضت «سهير» هانم ونظرت ناحية الباب وفي عينيها كرات الغضب التي كانت قد سكنت: ياللا بينا يا عزيز وإن شاء الله نكون على اتصال بشوقي بيه.

لم يملك «عزيز» إلا أن يستجيب لزوجته، فنهض ونهض معه ابنه صلاح، ونهض شوقي بك وزوجته ونهض وراءهم الجميع ليستأذن عزيز ويسلم على الجميع ويخرج من باب الفيللا دون أن يجاوب على سؤال ياسمين التي وجهته إلى والدها.

وخرج الجميع من الفيللا، ولم يعلق شوقي سوى بانسحابه إلى غرفته ووراء زوجته لكي تهدئ من غضبه وهي تنظر خلفها ناحية ياسمين معاتبة.

خرج الجميع من الفيللا، وبقيت كلمات صلاح كانديليه ونظراته في قلب ياسمين التي ظلت جالسة في صالة الفيللا تنظر إلى سقف الغرفة لا تدري ماذا تقول لوالدها بعد أن يهدأ وماذا تخبئ لها الأيام.

●●●

- صلاح، زي ما شفت الموقف عند ياسمين قد إيه هي كانت شجاعة جدا في إظهار اهتمامها بيك فبدت كالأسد اللطيف الذي يكشر عن أنياب الحب دون إراقة أي قطرة دماء بينها وبين والدها وأسرة عزيز بيه. أنا حقيقي منبهر بياسمين ولم أتخيل أبدا أن تناقش وتراوغ من أجل علاقتكم بكل هذا الذكاء الاجتماعي بل ذكاء الحب. حقيقي اتعلمت منها كيف نحافظ وندافع عن من نحبهم وبقوة. ولذلك يا صلاح، يجب أن نفوز بهذه المسابقة وبجدارة لنكون جميعا أهلا بثقة ليس فقط أسرة شوقي بيه ولكن أيضا بأسرة عزيز بيه. أريد أن نثبت لهم وعمليا وبالدليل القاطع كيف أن القلوب المحبة عندما تجتمع وعن حب تصنع المعجزات، نريد أن نثبت لهم كيف أن التربة الواحدة يخرج منها الزرع صنوان وغير صنوان، كيف أن تربة كاندليه تستطيع أن تخرج كغيرها أفضل الزروع فقط لو توفر لها الماء والغذاء والهواء كغيرها. قلت إيه يا صديقي؟

- ياسمين يا أدهم جعلتني أتمنى تعطير العالم كله لأضعه تحت قدميها، جعلتني أحب العالم أجمع حتى من هم ضدي، خلقت بداخلي قوة كامنة ومتفجرة لألون جدران وأرض وأفكار العالم ليستحق نظراتها وحنانها واهتمامها وحبها، ياسمين هي لي سر الحياة، وسر البقاء، وسر التطور وسر الطموح وسر النجاح.

هيا إلى النجاح يا صديقي ليس لأهل ياسمين أو أسرة عزيز بيه ولكن من أجل ياسمين، يكفيني فقط أن تبتسم ياسمين وترضى ياسمين وتسعد ياسمين، يكفيني في هذه الحياة أن أكون ولو حرفا واحدا في كتاب السعادة لياسمين. لو كان هناك تعبير آخر غير الحب والعشق والهيام لسطرته مجلدات لياسمين، مشاعري تجاه ياسمين يا أدهم فوق الحب وفوق الهيام. مشاعر تسري في قلبي وعقلي وكل خلية في جسدي تجعل من قلبي الذي يعشق ياسمين ألف قلب وقلب، ومن عقلي الذي يهيم بياسمين ألف عقل وعقل. ياسمين لي يا أدهم هي الحبيبة والصديقة والأخت والعمة والخالة والأم. كل العلاقات في الحياة يحتويها اسم ياسمين. ولو عاندني القدر وفرق بيني وبين ياسمين فلن أكره القدر لأنه هو نفسه الذي واعدني بياسمين وجعل حياتي كلها ياسمين، ولكن سوف يشهد القدر أن ياسمين هي الحياة ولو أبعدتها عني الحياة. هيا يا صديقي إلى النجاح فقط من أجل ياسمين.

- إيه البلاغة دي كلها يا صلاح يا ابني، بارك الله فيك وجمعك بياسمين حبيبة القلب ورفيقة العقل. والله يا صلاح ياسمين دي بألف راجل وألف بنت، ومع إني رجل دين إلا أني وجدتها تتكلم بالدين وبسلوك الدين وعقل وقلب الدين، رأيت ذلك في حديثها إلى والدها وإلى عمها عزيز، في حديثها الأدب

الجم والذكاء المنظم والحجة البالغة والمنطق الراقي بدون تجريح من قريب أو بعيد. وبصراحة شديدة لست أدري هل طابع ياسمين هكذا أم أنه الحب الذي يحرك المكنون في العقل فيجعله يتزاوج مع توجهات العقل وأحاسيسها ومشاعرها فتتكلم بلغة واحدة يفهمها الجميع المتفق والمعارض. بارك الله فيها فقد تحدثت كخطيب مفوه يُرضي جميع السامعين وبطلاقة. هيا إلى النجاح يا صلاح لنكون عند حس ظن ياسمين. هيا يا أدهم إلى النجاح وندعوا اللّه أن يوفقنا إلى أفضل مقترح وأفكار لنفوز بمسابقة تطوير كاندليه.

- احنا تقريبا أنهينا المقترح يا عمنا الشيخ في جلساتنا السابقة ولم يبق سوى نقاط بسيطة ونراجعه سويا بدقة قبل تقديمه غدا. هو معايا حاليا وأنا جبت في العربية البروجيتكور والمقترح علشان نشوفه في الجامع مع بعض النهاردة.

- رائع يا أدهم، هاتصل بياسمين دلوقتي لو أمكن تيجي علشان نراجعه كلنا مع بعض. أنا كلمتها امبارح بعد زيارتنا ليهم علشان أطمئن عليها وقولتلها على ميعادنا النهاردة وهي ما عندهاش مشكلة مع إن شوقي بيه عمل معاها حوار كبير بعد مامشينا كلنا.

- طيب هايل يا صلاح، أنا هاروح أجيب الداتا شو وهاظبطه على حائط المسجد ومعايا الشيخ لحد ما تتصل على ياسمين وتروح تجيبها من أول كاندليه، وربنا معانا النهاردة ونوصل لأعلى مستوي فكري في المقترح قبل صلاة المغرب.

وفجأة رن هاتف صلاح، وإذ بياسمين تخبره أنها خارج المسجد.

- ليه يا ياسمين تيجي كاندليه لوحدك، مش احنا متفقين أقابلك على الأقل أمام الحي.

- ما تقلقش يا صلاح، أنا حبيت أتعود آجي لوحدي علشان ما حسش إني غريبة عن المنطقة وبعدين إزاي انفصل عن حي أنا بتمنى نطوره.

وفجأة وجد صلاح وأدهم ياسمين تدخل المسجد وابتسامتها تسبقها بإشراقة وحضور دائما يضفي على المكان فرحة تتناثر هنا وهناك.

- رايح فين يا أدهم، هو إذا جاءت ياسمين ذهب أدهم ولا إيه؟!!

- هاهاها لا طبعا يا ياسمين أنا كنت رايح أجيب عدة الشغل من العربية، الداتا شو والأوراق والأقلام.

- ولا تتعب نفسك، أنا جاهزة ومعايا كل حاجة، كل إللي إنت عايزه.

- برافوا والله يا ياسمين، إيه النشاط والهمة والالتزام ده، بس قوليلي صحيح، وبابتسامة تطل منها دعابة: ماذا عن شوقي بيه، يا ترى كانت العلقة سخنة ولا شوية كدمات بس.

وهنا تدخل صلاح والذي كانت عينه ما زالت على ياسمين يطمئن عليها بنظراته وهمساته، ويحمل عنها الداتا شو والأشياء الأخرى التي جاءت بها تحملها من سيارتها: إيه رأيك يا أدهم، جات لي فكرة لسة حالا ممكن نناقشها، وكأنه أراد أن يغير مجرى الحديث حتى لا يحرج ياسمين.

وبضحكة هادئة: الكدمات كانت كتير يا باشمهندس.. ولكن ماما عملتلي كمادات وبقيت زي الفل، وبعدين أن بحب كمادات بابا الكلامية جدا، لإن بعدها لازم يكون فيه هدية علشان يصالحني. كمادات بابا الكلامية اتعودت عليها خلاص في الفترة الأخيرة وبعدين بقيت أستفيد منها جدا وأكتسب خبرات كبيرة. عموما الموضوع شرحه يطول فخلينا في الشغل لأن ما فيش وقت كافي، آخر ميعاد للتقديم في المسابقة بكرة فلازم ننهيها النهاردة خاصة إني عرفت إن بابا قدم من يومين خلاص.. خلينا نبتدي الشغل ونسمع اقتراح صلاح.

- تعالـوا يـا شـباب، أنـا حضـرت لكـم حجـرة الإمـام بالمسـجد، هـي صغيـرة بس مناسـبة جـدا لعددنـا وكمـان علشـان نكون لوحدنـا، ماحـدش عـارف مـين إللـي ممكـن يجـي المسـجد دلوقتـي علشـان الصـلاة ولا حاجـة تانيـة زي المـرة إللـي فاتـت.

- فكـرة ممتـازة يـا عـم الشـيخ وإن كانـت عربيـة ياسـمين بـرة، وبضحكة بهـا دعابـة: يعنـي بتقـول إللـي ماشفشـي يشـوف.

- يـا أدهـم إللـي ييجـي ييجـي، بابـا عـارف إنـي هنـا وأكيـد المعلم محمـود وغيـره إللـي يعرفـوا بابـا زمانهـم عرفـوا إنـي هنـا مـن غيـر العربيـة، وأنـا قلـت لبابـا إنـه مايبعتـش حـد ورايـا، أنـا في أمـان مـع أصدقائـي الشـيخ وأدهـم وصـلاح. فالمراقبـة هاتكـون خارجيـة مـش من الجامع.

جلس الجميـع في حجـرة الإمـام والتـي كانـت لأول مـرة تدخلهـا ياسـمين وكذلـك أدهـم، ولـم يكـن فيهـا شـيء يشـد الانتبـاه سـوى بعض اللوحـات القرآنيـة ومجموعـة مـن المصاحـف والكتـب الدينيـة علـى منضـدة صغيـرة، وصـورة للإمـام محمـد متولـي الشـعرواي الـذي يحبـه الشـيخ كثيـرا ويسـتند إلـى كثيـر مـن مقولاتـه في خطبـة الجمعة.

- قبـل أن نناقـش مـا أنجزنـاه، دعونـا نناقـش فكـرة صـلاح الأول لنـرى إذا كان مـن الممكـن إضافتهـا إلـى المشـروع لـو يسـمح الوقـت. إيـه يـا صـلاح فكرتـك؟

- والله يا أدهم، مش معقول نكون عايزين نطور حي كاندليه وما نسألش ناس كاندليه هما عايزين إيه أو على الأقل هما موافقين على إللي احنا هانعمله ليهم، لازم نشوف طلباتهم.

- فعلا يا صلاح، إزاي فاتت علينا دي، ده احنا فعلا لو كنا عملنا استبيانات ولو محدودة ووزعناها على أهل كاندليه بطريقة تتناسب مع فكرهم وثقافتهم ومعلوماتهم وطموحاتهم مؤكد كنا ضربنا عصفورين بحجر واحد، فمن ناحية حصلنا على توجهاتهم وطموحاتهم في المكان لتكون حلولنا وأفكارنا عملية، ومن ناحية أخرى تحسب لنا أمام محكمي المسابقة نهجا علميا اتبعناه في الوصول إلى أفكارنا دون الآخرين.

- فكرة رائعة جدا فعلا ياصلاح بس الوقت الباقي لا يسمح لنا بتطبيق هذه الفكرة فهي تحتاج تجهيز الاستبيان وطباعته وتوزيعه ثم تحليله وإخراج بياناته.

- يا سلام عليك ياصلاح، مش كنت قلت من أسبوع.

- يا جماعة، دعونا نفكر إزاي فعلا نحقق هذه الفكرة الرائعة لصلاح لأنها سوف تكون لصالحنا جدا أمام المحكمين لو فعلا هناك تحكيم حقيقي وليس ككل مرة. بالنسبة للاستبيان سهل تنفيذه مع بعض لأني متخصصة في تصميم الاستبيانات حسب

تخصصي، فقط أحتاج الأسئلة وأنا أصيغها بالطريقة العلمية التي تتناسب مع سكان الحي. ساعة واحدة وأخلصه قبل صلاة المغرب.

- ممتاز يا ياسمين، بكرة الجمعة والناس مابتجيش تصلي في الجامع إلا يوم الجمعة، فممكن توزيع الاستبيان عليهم بعد الصلاة لضمان عدد كبير ونوعيات مختلفة من الناس، وأنا كإمام للمسجد ممكن أنوه عن هذا الاستبيان وأهميته في الخطبة الثانية للجمعة أو بعد الصلاة مباشرة.

- يا جماعة مافيش وقت لده، لازم نقدم المقترح بتاعنا للمسابقة يوم السبت، وبعدين أتوقع إن مافيش حد من الناس هاهيتم بالموضوع بعد الصلاة وهايمشوا، أولا لأنهم سمعوا عن ده أكثر من مرة قبل كدة ولم يتم عمل أي شيء، ثانيا معظم الناس غير متعلمة ومحتاجين حد يقرأ لهم الاستبيان وكمان يساعدهم على فهم المطلوب، ثالثا بقى فيهم ناس ممكن بيعتبروا ده استخفاف بيهم. الموضوع فكرته ممتازة ولكن تطبيقه كان يحتاج مننا وقت أطول، أعتقد صعب تنفيذ الفكرة ولكن ممكن إدراجها في أحد أهداف المقترح كآلية من ضمن آليات تنفيذ التطوير إذا حصلنا على المشروع.

- فعلا يا أدهم، أعتقد هذا أوقع جدا وأضمن لنا في هذا الوقت المحدود، ولكن إيه رأيكم إذا صممنا بنود الاستبيان فعلا مع ياسمين وطبقناها على مجموعة محدودة من الناس ندعوهم هنا بعد صلاة العشا بالاسم وبعدين نقدم الاستبيان نفسه كوثيقة مع أوراق المشروع لإثبات الجدية ومعه نتائج أولية تعطي مؤشرات لما نقترحه على العينة إللي هاندعوها هنا بعد صلاة العشاء.

- واللّه يا صلاح برضه فكرة معقولة وبكده نكون مسكنا العصايا من النص، يبقى عملنا الاستبيان ويبقى عندنا نتائج أولية، بس مين الناس وهاتجيبهم هنا إزاي، أعتقد هي دي المشكلة الحقيقية.

- لا مشكلة ولا حاجة يا أدهم، الشيخ له أحبابه وأنا لي أحبابي ممكن نتصل بيهم ونجيبهم والباقي نجيبه بالفلوس. ندي بس لكل واحد من اللي نعرفهم مبلغ مقابل إن كل واحد يجيب لينا على الأقل خمسة بأعمار مختلفة. ولا ده حرام يا عم الشيخ؟

- مش حرام ولا حاجة يا صلاح طالما مقابل مجهود وبعدين الناس هنا محتاجة اللضا، دي طريقة للمساعدة المقننة. فكرتك كويسة جدا يا صلاح، وأنا هشارك في دفع جزء من المبلغ المطلوب وهاتصل دلوقتي بأحبائي لعمل اللازم لو وافقتم.

وهنـا تدخلـت «ياسـمين» وبضحكـة كلهـا صفـاء وثقـة: وأنـا بقـى علشـان الفكـرة الجميلـة والذكيـة دي مـن صـلاح أنـا هاتكفـل بـكل المصاريـف وكمـان هاتصـل بأصدقائـي السـيدات هنـا، ومـش عايـزة ولا تعليـق مـن أي حـد منكـم علـى قـراري ده.

- لأ طبعـا يـا ياسـمين، لا إنـت ولا أدهـم، إنـتِ بـس نفـذي الاسـتبيان مـع أدهـم علـى مـا أعمـل اتصالاتـي أنـا والشـيخ وهـا صـرف أنـا وهـو، احنـا عارفـين هانراضـي النـاس دول إزاي ماتقلقـوش.

- لا ياصلاح، أنا فعلا هادفع كل المصاريف وبمقابل يا سيدي.

- وإيه هو المقابل؟؟

- تسـمحولي اعتبـار هـذا الاسـتبيان ونتائجـه بحثـا اجتماعيـا أنفـذه هنـا في كاندليـة حتى لـو المشـروع لا قـدر الله لـم يقبـل، ولـو اتقبـل برضـه يكـون بحـث الماجيسـتير لـيّ، إيـه رأيكـم؟ وعلـى فكـرة بقـى يـا صـلاح أنـا عنـدي مفاجـأة مدويـة لـك.. فكـر فيهـا بقـى مـن هنـا لحـد بكـرة. وبضحكـة كلهـا دلال وثقـة لعـدم رفـض طلبهـا مـن صـلاح: ومـش هاقولـك عليهـا إلا لمـا توافـق علـى طلبـي.

- خـلاص يـا صـلاح، فكـرة ممتـازة من ياسـمين وخلينـا نسـاعدها في تنفيـذ رغبتهـا وأبحاثهـا، وبعديـن إنـت زعـلان ليـه يـا سـيدي، هـو إنـت دافـع حاجـة مـن جيبـك، سـيبها تدفـع هـي حـرة. وبدعابـة وحـب

استطلاع مهندسي الديكور: بس إيه هي المفاجأة المدوية دي لصلاح يا ياسمين.. أتجنن وأعرف إيه هي!!

- مش هاقولها إلا لما نخلص الاستبيان والمشروع بصورته النهائية النهاردة، ده شرطي.

ضحك الجميع على دعابة أدهم، وتحولت الحجرة الصغيرة إلى خلية نحل، كل يقوم بدوره وكأنها عملية حربية سرية وفي غاية الأهمية من ناحية لإنهاء المشروع ومن ناحية أخرى لمعرفة المفاجأة المدوية لصلاح من قبل ياسمين.



الفصل التاسع والعشرون

« تباشير حلو الحياة تأتي إلينا ضاحكة عندما يتوافق ويلتئم شمل القلب والعقل»

– مالك يا شوقي، شكلك مهموم، قد كده موضوع ياسمين وصلاح مأثر فيك. ولا إنت قلقان من موضوع المسابقة بتاع تطوير كاندليه علشان كل مره كانت بتنطرح مناقصة؟

– صلاح مين فيهم ياستي، صلاح الأصلي أم صلاح التقليد. ومسابقة إيه، أنا متأكد إني هافوز بيها وأنا عملت اتصالاتي خلاص.

– هي الناس فيها أصلي وتقليد يا شوقي، هو إنت بتتكلم على عربيات ياباني وتايواني!! الناس هي الناس هنا ولا هناك، أبيض ولا أسود، غني ولا فقير، ربنا بيعامل الناس بنياتهم وأخلاقهم مش بفلوسهم ومناصبهم، وكل ده في القرآن والسنة.. وإنت راجل مؤمن وكمان عصامي ولازم تشوف الدنيا بطريقة مختلفة علشان ربنا يكرمنا في ياسمين، على الأقل اعقد نيتك على الخير أيا كان موضعه وأرضه.

– واضح إنك موافقة على تصرفاتها وأفكارها، وواضح إن الكلمتين دول علشان تقفي جنبها، واضح إنكوا اتفقتوا عليَّ، بس أنا مش هاغير موقفي أبدا عن صلاح الأصلي وصلاح التقليد.

- يا سيدي أبدا، أنا مش متفقة معاها ولا حاجة، بالعكس أنا كان نفسي ياسمين تقبل صلاح عزيز كخطيب وصلاح كاندليه كصديق على الأقل علشان إنت تكون راضي عنها وتقف جنبها والبنت تشعر بالسعادة خاصة إن إنت إللي رشحتلها العريس الأول وكانت هاتموت في حادثة بسببه. وبعدين سيبها تعمل إللي هي عايزاه، مين عارف يمكن هي نفسها لما تجرب تكتشف فروقات وترجع في كلامها، خليها تخوض التجربة بنفسها وتقرر. إنت نَفسك لما اتخطبنا كنت لسه بتبتدي حياتك ودلوقتي الحمد للّه إنت من رجال الأعمال الكبار. القدر يخبئ لنا تغيرات كبرى لا نعلمها إلا في حينها، ولا يحتاج القدر منا إلا أن نبذل قصارى جهدنا وهو يرتب ما يريد، وفي كل أمور القدر خير.

- هو إحنا كل ما بنتكلم في الموضوع ده تفكريني ببداية حياتي، أنا راجل كنت متعلم واتخرجت مهندس وطموح وشاب ذكي ومتحرك حتى ولو كنت فقير.

- يا شوقي كل الصفات دي موجودة في صلاح ما عدا التعليم، هو متعلم ولكن ماكملش تعليمه بسبب ظروفه وممكن جدا يكمل إذا كان عنده إرادة قوية، وواضح إن عنده.

- حتى ولو كمل، وأشك طبعا، فهو مختلف ويكفي أنه من سكان كاندليه وبلا عائلة ولا وظيفة ولا مال بعد أن اقترب من

عمر الثلاثين. لماذا أربط نفسي بشاب مثل صلاح هذا وأنا أمامي صلاح الذي يملك التعليم والمال والجاه والعائلة والوظيفة وفوق كل ذلك الأخلاق وفوق الأخلاق أنه يحب ابنتي.

- عموما أنا وضحت وجهة نظري يا شوقي، وإنت حر مع ياسمين بس بقلب الأم بقولك سيبها تخوض التجربة بنفسها وماتكسرش فرحتها خاصة إنت عارف حبها ليك قد إيه.

وفجأة رن هاتف شوقي بك:

- إزيك يا بابا..

- أهلا ياسمين.

- مال صوتك هادي كده النهاردة، إنت لسة زعلان مني برضه من موقفي؟؟

- أنا زعلان منك وزعلان عليكِ، وبقيت قلقان عليكِ أكتر وأنا ما زلت عند رأيي ومش هاغيره حبا ليكِ وخوفا عليكِ، ومش هاعيد إللي اتكلمنا فيه تاني.. إنتِ فين دلوقتي؟

- أنا لسة في المسجد مع الشيخ وأدهم وصلاح بس باتصل لأن هاتأخر ساعتين كمان لأن فيه حاجة خاصة بشغلي محتاجة أخلصها ضروري.

- وإيه الحاجة دي، طمنيني، أبعتلك المعلم محمود لو عايزة مساعدة من أهل المنطقة؟؟

- لأ يا بابا، أنا بس محتاجة دعواتك ورضاك عني وماتكنش زعلان مني. وبابتسامة من قلبها المرهف: ده أنا ياسمينة حبيبتك الوحيدة.

- ما هو ده إللي تاعبني ومجنن عقلي يا ياسمين، إنك عصفورتي إللي بخاف عليها من الهوا اللي بطير فيه. عموما، ما تتأخريش عن ساعتين وإلا هاجي أخدك.

- حاضر يا بابا، ولما آجي هاقول لحضرتك على الشغل إللي عملته.

- ربنا يحميكِ من نفسك ومن الناس.

●●●

- إيه الأخبار يا ياسمين، شوقي بيه زعلان منك؟!! ياريت تقوليلي الحقيقة لإن الطريقة التي أنهت بها اللقاء سهير هانم زوجة عزيز بيه مؤكد أحرجت بابا وطبعا أنا السبب وراء هذا الموقف لإني كنت محور الحديث وبدون قصد. مهم جدا ليّ يا ياسمين ألا أكون سببا في وقوع أي مشكلة بينك وبين بابا خاصة أن العلاقة بينكم علاقة أكثر من أب وبنت.

- يا صلاح بابا بيخاف عليّ بطريقته، وبابا أساسا رجل عصامي فأنا مش قلقانة منه لأنه مؤكد عند نقطة معينة سوف يلين للرأي الآخر ليس بسبب تمسكي برأيي ولكن بسبب اقتناعه رويدا رويدا بالموضوع ولأسباب محددة وواقعية سوف تأتي مع الوقت. أنا طبعا مقدرة وجهة نظر بابا وموقفه مني ومنك مع إني لم أُصرح إلى الآن بمشاعري منك لأنك ببساطة لم تتقدم لي ولم تفتح موضوعنا مع بابا أو ماما.

- فعلا، وده عن رغبة منك بالإضافة إني أُفضل أن أكون في حال أفضل بكثير عما أنا فيه الآن، وظهور عزيز بيه وابنه صلاح ونيتهم في الارتباط بيك جعلني أتوقف لخصوصية العلاقة التي كانت في الماضي والتي ما زالت تحفر ذكرياتها الجميلة والتي سكنت قلبي ولن تنسى أبدا. أنا يا ياسمين بقدر حبي ليك بملء قلوب العالم المُحب إلا إنني أشعر وأنا أعيش حالة مشاعر من أحلام اليقظة، اختلطت عليّ الأمور فلم أعد أدرك هل أنا على قيد الحياة أم في حلم كبير. أن تكوني في قلبي هذا أجمل ما في واقعي، أما أن أكون في قلبك في هذا حلم وخيال كبير. كم كنت أتمنى ألا أترك بيت عزيز بيه وأكمل دراستي في الثانوية وألتحق بالكلية التي أعشقها وهي الآداب وخاصة قسم الاجتماع وأقابلك هناك ومعي كل هذا الحب الذي يحمله قلبي لأضعه بين يديك

شبكة مني وأنا صلاح الحي الراقي، صلاح الشهادة العليا، صلاح الوجاهة الاجتماعية ولو كانت تقليد، صلاح كاندليه الأنيق حتى أليق بحبك وبأسرتك العريقة وحتى لا أتسبب كما تسببت في اللقاء الأخير في بيتكم من مواقف بين شوقي بيه وأسرة عزيز بيه وبينك وبين بابا، هذا الإحساس يقتلني، لأني أخاف عليك من نفسي. ولكن القدر أراد أن أقابلك وأحبك وأنا هنا في كاندليه بلا ثانوية عامة وبلا مال وبلا وجاهة وبلا وظيفة، أحبك وأنا مجرد من كل شيء سوى حبي وإخلاصي وبقايا أشلاء من تعليم. أنا أقدر موقف بابا ولكني أعشق ياسمين ولا أدري ماذا أفعل.

- وبعدين بقى يا صلاح إنت وياسمين، هو احنا بنتقابل النهاردة علشان نعبر عن مشاعرنا ونغوص في ماضينا ونستدعي ذكريات ماضينا ونطبطب على أنفسنا مرة ونجلدها مرة أخرى، احنا هنا النهاردة علشان حاجة واحدة فقط وهي الانتهاء من المشروع الذي سوف يحقق لنا كل ما نريده من مال واجتماعيات وشهرة وعمل ليصبح نموذجا في الحياة.. يا أصدقاء، الحياة مريرة وأحداثها متقلبة ونواتجها معلقة بين السماء والأرض، الحياة عند كثير من الناس مجرد ديكور وباقي الناس عندهم مجرد مواد وأدوات لزوم الديكور. وأنت يا صلاح طالما في كاندليه فأنت للآخرين مادة من مواد وأداة من أدوات الديكور. فعليك الآن،

والآن فقط أن تحسم أمرك وتنتقل من خلال مشروعنا وعملنا سويا إلى حياة أخرى لتكون من أصحاب الديكور. يجب أن تقفز في السماء بكل قوتك مرات ومرات من أجل ياسمين، تقفز لأعلى ليس فقط ليراك الناس ولكن لتثبت لهم أنك متميز ومختلف وقوي وقادر على مغازلة الهواء، حينئذ سوف يعجب بك الناس وحينئذ لن يسأل أحد من أنت بل سوف يحاولون التقرب منك ليتعلموا سياسة القفز والتميز، حتى ولو جذبك إلى الأرض ولو عن عمد آخرون. الآن دعونا نُكمل المشروع فهو القفزة التي يجب أن نقفزها جميعا كفريق واحد.

- فعلا يا ولاد، أمامنا جميعا الآن فرصة تاريخية بمعنى الكلمة وأنا سألت أمس بعض المعارف عن مدى جدية الحكومة في تمويل هذا المشروع لتطوير كاندليه، والجميع أكد لي أن المحافظة فعلا جادة جدا ومصممة على تطوير هذا الحي ولكن بصورة مختلفة تنبع من المجتمع والمتخصصين وليس من رجال الأعمال فدورهم سوف يأتي لاحقا من خلال طرح المناقصات من المشروع الفائز ليتم تطوير الحي بطريقة علمية. وسمعت أيضا أن هناك مؤسسات دولية مثل اليونيسكو مشاركة ليس فقط في تمويل هذا المشروع الكبير ولكن أيضا في تحكيمه والإشراف عليه أثناء تنفيذه مما يضمن الحيادية في نجاح جميع مراحل المشروع. ولم يحدث

كل هـذا التغييـر الآن مـن قبـل الحكومـة تجـاه كاندليـه وغيرهـا مـن الأحيـاء العشـوائية إلا لأسـباب عديـدة منهـا خاصـة بشـخص رئيـس الحكومـة نفسـه، ومنهـا مـا هـو خـاص بنتيجـة أحـداث الثـورة والرغبـة في التغييـر مـن القـاع إلـى لقمـة ومـن القمـة إلـى القـاع، ومنهـا مـا هـو نتيجـة تدنـي اقتصـاد الدولـة ولجوئهـا إلـى المؤسسـات الدوليـة. يعنـي ببسـاطة يـا ولاد، أراد القـدر في لحظـة محـددة وظـروف محـددة وبأشـخاص محـددة وبآليـة محـددة أن يجمعنـا في هـذا التوقيـت لكـي نشـارك في هـذا الحـدث بغـض النظـر عـن فوزنـا بالمشـروع أم لا وأيضـا لكـي يصنـع علاقتنـا هـذه كمـا أراد. وأمـور القـدر كلهـا خيـر، فدعونـا ننهـي المشـروع ليقدمـه أدهـم غـدا بـإذن اللّٰه.

- أوك يـا عمنـا الشـيخ، خلينـا نبتـدي بتطبيـق الاسـتبيانات التـي صممتهـا ياسـمين علـى بعـض أصدقائـك وأصدقـاء صـلاح ممـن تثقـون فيهـم مـن أهـل كاندليـه، بـس ياريـت بـلاش المعلـم محمـود.

وبضحكـة عاليـة نسـي فيهـا وقـار الإمامـة، أجـاب الشـيخ مـع إيمـاءة متحمسـة برأسـه: حاضـر يـا عـم أدهـم، هاجيبلـك مجموعـة محترمـة في خـلال ربـع سـاعة.

- وأنـا يـا عـم الشـيخ كمـا اتفقنـا سـوف أتولـى موضـوع مكافأتهـم علشـان هايكـون جـزء مـن رسـالة الماجسـتير بتاعتـي خاصـة إنـي أخـذت رأي أسـتاذي ووافـق علـى الفكـرة ومتحمـس لهـا جـدا.

- اتفقنا يا ياسمين يا بنتي وربنا يوفقك.

- بس قبل ما نبتدي يا جماعة، ياسمين قالت قبل كده إن عندها مفاجأة كبيرة لصلاح، عايزين نعرف إيه المفاجأة وده شرط قبل ما نبتدي. وبضحكة كلها ود أكمل «أدهم»: وإلا هاسحب المشروع يا ياسمين.

- يا أدهم خليها لما نخلص كتابة المشروع. وبابتسامتها الهادئة التي تعود عليها الجميع: هو إنت ما بتنساش حاجة أبدا.

- أنا مصمم، ولا إيه رأيك يا أبو صلاح، ولا إنت كنت نسيت موضوع المفاجأة، معقول تكون نسيت، ولا هي قالتلك عليها من ورانا يا سيدي. كده تبقى خيانة.

- والله أبدا، أنا زيكم نفسي أعرف إيه المفاجأة ولكن خايف من طبيعة المفاجأة من ناحية، ومن ناحية أخرى مابحبش أضغط على ياسمين، إنت عارف بقى يا أدهم.

- بس أنا مصمم فعلا، عايز أعرف إيه المفاجأة، مين عارف يمكن لي نصيب فيها أو لها علاقة غير مباشرة بالمشروع.

ضحك الشيخ بصفاء وهو ينظر إلى ياسمين بحنان أبوي: خلاص بقى يا بنتي قوليلنا إيه المفاجأة أحسن أدهم يعملها وياخد المشروع ويمشي.

- يا جماعة دي حاجة خاصة بصلاح بس ولكن أنا بحب أشرككم في كل حاجة كفريق عمل وكأصدقاء.

- بس أنا كمان يا ياسمين نفسي جدا أعرف إيه هي المفاجأة، وبصراحة قلقان من ساعة ما عرفت إن هناك مفاجأة.

- خلاص، طالما كلكم اتفقتم عليّ، المفاجأة يا صلاح هي إني سحبت ملفك من المدرسة إللي كنت فيها وقدمته لمدرسة ثانوية ووافقوا من خلال وساطة على التحاقك في السنة الثالثة بس منازل وكده.. يا أستاذ قدامك ثلاثة شهور من الآن وتورينا شطارتك ومجموعك في الثانوية العامة.

صاح الجميع بصوت الفرحة من المفاجأة الجميلة وغير المتوقعة على الإطلاق حتى لصلاح. وانهالوا في تقبيل صلاح الذي دمعت عيناه من المفاجأة الكبيرة، وظلت تنظر ياسمين إليه بحنان وهو ينظر إليها بحب وود وامتنان: ربنا يخليكِ ليّ يا ياسمين. أوعدك أكون طالب مجتهد ومتفوق.

- ربنا يوفقك يا صلاح وتكون أحسن الناس، إنت تستاهل كل خير. وفجأة نهضت ياسمين وهمت بالخروج من المسجد.

نهض الجميع وراءها: خير يا ياسمين على فين؟!!

- أبدا، ما تقلقوش، أنا راحة أجيب باقي المفاجأة من

العربية، راحة أجيب التورتة، النهاردة عيد ميلاد صلاح، كل سنة وانت طيب يا صلاح.

ازداد توارد الدمعات على مقلتي صلاح، ولم يستطع الرد إلا بنظرات عينيه التي حملت معهما كل معاني الكلمات الجميلة، فأحيانا تتوالد المشاعر عندما تصمت الكلمات وتتحدث النظرات.

– كل سنة وانت طيب ياصلاح، النهاردة يومك يا عم، وكلنا بنهنيك على البرينسيس ياسمين.

توسط «صلاح» الجميع كما أرادت ياسمين وجلس أمام التورتة عاجزا ولأول مرة في حياته عن التعبير عن مشاعره إلى أعز الناس، جلس محلقا في الفضاء ظنا مه أنه ما زال في حلم كبير، ولم يتأكد له أنه في واقع الحياة إلا ويد أدهم تضرب على ظهره: رحت فين يا أبو صلاح، أطفئ الشمع يا حبيبي كل سنة وحياتك كلها طيبة. يلا قلنا أمنيتك إيه في السنة الجديدة؟

نظر صلاح إلى ياسمين نظرة تجمعت فيها مشاعر حب عجز عن التعبير عنها، مشاعر أذاب فيها نفسه: أمنيتي أن يكون حظي في الحياة سعادة ياسمين.

●●●

- ينفع كده يا عزيز أكون في هذا الموقف السيئ، نذهب كأسرة من أجل خطبة ياسمين لابننا تهاجمنا العروسة نفسها بنت الأصول، أنا مستاءة جدا مما حدث ولن أنساه. ذهبنا لنتحدث عن صلاح عزيز فأفاجأ ليس فقط بوجود صلاح كاندليه بل أفاجأ أيضا أن حديث الزيارة كله يتحول إلى تاريخه وكأننا ذهبنا لنتحدث عنه هو ونرفع من شأنه هو وليس ابني.

- يا سهير ما حصلش حاجة، هي البنت طلبت بعفوية إن صلاح كاندليه يدعى للعزومة معنا بعد ما عرفت إنه كان واحد من أسرتنا ولكن إنتِ تعاملتِ مع الموضوع بحساسية وقررتي تنهي الجلسة وتمشي. ومع إني كنت في غاية الإحراج إلا أني لم أملك إلا أن أستجيب لرغبتك احتراما لقرارك. لكن أعتقد أن الموقف كان من الممكن علاجه دون أن نغادر الجلسة ونفضها مرة واحدة هكذا، ولكن أنا في نفس الوقت مقدر الموقف.

- معقول! يعني أنا كنت ساكتة معظم الوقت علشان ما فقدش أعصابي بعد ما ياسمين حولت الحوار بكل السبل للحديث عن صلاح ولا تلقي بالا بوجود ابني ولا بسبب الزيارة التي كانت لابني.. يا عزيز كان واضح جدا قدرتها الفائقة على تغيير دفة الحديث وعن عمد تجاه حبيب القلب صلاح كاندليه حتى تسد الطريق أمام صلاح ابني، والطريقة دي زعلتني جدا خاصة إننا

كنـا ضيوفهـم ولأول مـرة ﷺ بيتهـم. وطبعـا القـدرة دي لا يمكـن تمتلكها مـن فـراغ، مؤكـد وراءهـا حـب جـارف للولـد صـلاح وعلشـان كـده طلبـت مننـا نعزمـه معاهـا كتأكيـد نهائـي علـى رغبتهـا فيـه وعـدم رغبتهـا ﷺ ابنـك. كل الشـواهد تؤكـد رأيـي ده. وحتـى شـوقي بيـه نفسـه كان واضـح عليـه الضيـق جـدا مـن تصرفاتهـا بسـبب تركيزهـا عليـه صـلاح كاندليـه. إنـت مـش شـفت ده بنفسـك يـا صـلاح ولا أنـا بتجنـى عليهـا؟

- يـا مامـا، الـزواج قسـمة ونصيـب، وبعديـن صـلاح زي أخويـا واتربينـا سـوا فتـرة طويلـة ولـي ذكريـات كتيـرة معـاه، وإذا كان فيـه علاقـة جميلـة بينهـم ربنـا يسـعدهم، وصـلاح طيـب ويسـتاهل كل خيـر، كفايـة إن احنـا مـا سـألناش عليـه نهائيـا بعـد مـا تـرك بيتنـا وواضـح إنـه تـرك المدرسـة ولـم يكمـل تعليمـه، ومؤكـد ده كان صعـب علـيَّ جـدا خاصـة إنـه كان متفـوق جـدا وكنـا بنتوقـع لـه مسـتقبل كبيـر.. أرجـوكِ يـا مامـا مـا تخديـش موقـف منـه ولا مـن ياسـمين، هـي بنـت واضـح إنهـا مؤدبـة جـدا وأنـا يسـعدني تكونـي زي أختـي، ويـاريـت حضرتـك وبابـا تدونـي الفرصـة أن أقـف بجانبهـم، خاصـة حضرتـك عارفـة إن صـلاح عايـش لوحـده ومحتـاج مـن يقـف بجانبـه. وأنـا مـع حضرتـك إن موقـف ياسـمين كان فعـلا واضـح تجـاه صـلاح ولكـن دا شـيء يحسـب ليهـا خاصـة أنهـا أدارت الحـوار بطريقـة مهذبـة وذكيـة

جدا وبعدين المشاعر بين المحبين تحتم عليها الدفاع عن صلاح والإخلاص له مما يدل على أنها بنت أصل ويا بخت صلاح بيها فعلا لو حصل نصيب.. ما تقول حاجة يا بابا.

- طبعا يا صلاح، كل ما قلته صحيح وأنا فخور جدا برأيك وموقفك مما حدث ومن موقف ياسمين ومن دوافعك الطيبة والنبيلة تجاه صلاح كاندليه. ومع ذلك أنا مع مامتك في غضبها مما حدث فكل إنسان ينظر إلى الموضوع من وجهة نظره الشخصية وأوليات حبه للآخرين. مامتك، حبك على رأس أولوياتها، وياسمين، صلاح على رأس أولوياتها ولذلك فكلاهما محق ولكن حسب أولوياته. عموما ما حدث أسعدني جدا جدا لأسباب كثيرة أهمها أني رأيت صلاح بعد كل هذه السنين الطوال وأطمأننت أنه على الأقل بخير، وبأنني تعرفت على أسرة شوقي بيه وفوق كل ذلك بالطبع تعرفي الحقيقي عليك إنت يا صلاح.

- تقصد بإيه تعرفت عليّ يا بابا؟ وبابتسامة مغلفة بود ودلال، داعب صلاح والده: هو حضرتك كنت نسيتني ولا إيه، ولا لما شفت صلاح اتلخبطت فينا، ده حتى هو أطول وأحلى مني.

- هاهاها لأ طبعا يا حبيبي أنا بعرفك من أنفاسك الطيبة ولو على بعد آلاف الأميال. ولكن فعلا ما حدث كان اختبار غير مقصود رتبه القدر لأتعرف على قرة عيني ابني، فقد تخوفت

كثيـرا مـن اللحظـة التـي تقابـل فيهـا صـلاح في أي وقـت بعـد أن تـرك بيتنـا منـذ سـنين. تخوفـت مـن تعاليـك عليـه أو إهمالـك أو تجاهلـك لـه خاصـة أنـه الآن في ظـروف أقـل بكتيـر. ولكنـي وجدتـك إنسـانا رائعـا بـكل مـا تحملـه الكلمـة مـن معنـى، إنسـانا يؤثـر الآخـر ولـو كان بـه خصاصـة. أنـا فخـور بـك جـدا يـا صـلاح أنـك تعاملـت مـع الموقـف والحـوار والأحـداث بقلـب كبيـر وعقـل أكبـر، تعاملـت مـع صـلاح كأنـه بالفعـل أخـوك. فقـد أكـد لـي هـذا الاختبـار غيـر المقصـود أنـك سـليل عائلـة الأصـول التـي تضـع العلاقـات الإنسـانية فـوق كل الاعتبـارات. لقـد تفوقـت يابنـي علـيّ أنـا ومامتـك. هنيئـا لنـا يـا سـهير علـى صـلاح ابننـا بأخلاقـه العاليـة هـذه وحكمتـه، فقـد كنـت أراقـب نظراتـه وهمسـاته وكلماتـه أثنـاء تدخلـه في الحديـث وكلـي فخـر بـردود أفعالـه وإن كنـت حبسـت فخـري بـه بداخلـي.. وإنـتِ يـا سـهير، يـا تـرى موقفـك إيـه مـن رد فعـل صـلاح ابنـك؟

- مؤكـد يـا عزيـز أنـا كمـان فخـورة بصـلاح تمامـا مثلـك وإن كنـت لـم أكتشـف مشـاعري هـذه تجـاه ابنـي إلا بعـد عودتنـا مـن فيلـة شـوقي بيـه عندمـا بـدأت أسـتعيد وأسـترجع موقـف كل منـا فاكتشـفت أن ابننـا صـلاح بالفعـل كان رائعـا في تصرفاتـه فلـم يغضـب كمـا غضبـت أنـا، ولـم يحنـق علـى مشـاعر ياسـمين التـي كانـت واضحـة تجـاه صـلاح كاندليـه كمـا غضبـت أنـا، ولكـن مؤكـد إنـت عـارف برضـه مشـاعر الأم تجـاه أبنائهـا خاصـة في مواقـف حساسـة مثـل مـا حـدث.

وبضحكة بملء وجهه أراد بها أن يداعب زوجته ويخفف من توترها كلما عاودوا الحديث في هذا الموضوع: يا سهير هانم أنا كنت متوقع منك رد فعل أكبر من ذلك، أنا عارف العِرق التركي إللي جواكِ، بصراحة أنا اكتشفتك إنتِ كمان، يكفي إني عرفت إنك ممكن تداري وتكتمي غضبك في الوقت المناسب وبرضه تتخذي قرارا في الوقت المناسب وبشياكة وبأناقة وعزة نفس، بصراحة كنت فخور بيكِ يا سهير.

- يا سلام يا عزيز، بتقول كنت فخور بيّ، طيب ودلوقتي؟!!

وبابتسامة دافئة من قلبه، مال «عزيز» ناحية سهير والتي تجلس بجوار ابنها صلاح وذراعها تلف وسطه بحنان: يا سهير أنا فخور بيكِ على طول، وبحبك، وهاحبك على طول، وحبي ليك بيزداد على طول، فخور بيك وإنت فرحانة، وإنت زعلانة، وإنت غضبانة، وإنت ندمانة.. إنت زهرتنا يا أجمل النساء وأروع الأمهات وأطيب الزوجات، ربنا يخليك لينا ودايما تِغِيري علينا.

تورد وجه سهير هانم جراء تأثرها من هذه الكلمات الرقيقة التي لم تسمعها من زوجها عزيز منذ فترة طويلة، وتمنت لو يستمر في الإطراء عليها ومغازلتها ولو مجاملة، فكم تلذذت كل خلية في جسدها بهذه الكلمات التي كان لها أثر السحر على وجدانها كزوجة وحبيبة. تورد وجهها وشعرت ببعض الخجل الذي

جعلها تبدو طفلة تداعب عروستها بعفوية وفرحة طفوليه: كلامك حلو يا عزيز، بقالك كثير ما قلتليش كلام رقيق كده.

- إحم إحم، إيه يا بابا، كفايا كده ما تزودش العيار أحسن ماما حبيبتي تدوب في إيديك، وبعدين يا ماما بابا حنين ودايما بيقول، وبعدين ياستي لو مقالش قولي إنت، ده إنت أجمل النساء على الإطلاق، ده إنت لو مش مامتي كنت طلبت إيدك من بابا.

- أيوة يا بكاش، ما إنت زي أبوك طالع ليه، هو أنا مصبرني على عزيز إلا قلبه الطيب وكلامه الجميل وروحه الحلوة، ربنا يخليكوا لي ودايما تطبطبوا عليّ. الست يا صلاح ست في أي عمر وأي زمان وأي مكان، دائما في حاجة للرجل بجوارها وأمامها ووراءها، الست لا تظهر أنوثتها إلا بجوار رجولة الرجل.

- طبعا يا ماما، وكمان الرجل لا تظهر رجولته إلا بجوار أنوثة المرأة.

- طيب إيه رأيكوا طالما طلعنا عيلة بنت أصول كده ومش معقدة، وطالما إن احنا اتفقنا على النصيب، وعلى حق الغير في تقرير مصيره، وعلى حق صلاح المعنوي والأدبي والمالي والاجتماعي فينا، أقترح عليكم يا عائلة عزيز أن نتقدم بدعوة رسمية على ورق من البردي المعطر بأغلى العطور العالمية بدعوة

معالـي صـلاح كاندليـه ومعالـي أسـرة شـوقي بيـه علـى العشـاء نهايـة هـذا الأسـبوع لنثبـت حسـن النوايـا وتعضيدنـا لموقـف ياسـمين مـع السـيد والدهـا، إيـه رأيكـم يـا أسـرة عزيـز بيـه الكريمـة؟

- هاهاهـا حلـوة الخطبـة دي ياسـي بابـا، وبالنيابـة عـن أسـرة عزيـز بيـه موافقـون سـيادتك علـى هـذا الفرمـان، توكلـوا علـى الله ونحـن معكـم بـس ياريـت ندعـوا أدهـم وشـيخ المسـجد مـن ناحيـة لكي نثبـت حبنـا وتقديرنـا لصـلاح بالاهتمـام بأصدقائـه، ومـن ناحيـة أخـرى تكـون فرصـة كويسـة للحديـث مـع أدهـم عـن تجديـد الديكـور بفيلتنـا وتصميـم الديكـور لشـقتي الجديـدة. وأعتقـد إن شـوقي بيـه لـن يعتـرض علـى دعوتهـم حتـى بعـد إللـي حصـل لأنـه لـم يعتـرض علـى وجودهـم يـوم زيارتنـا لهـم.

- والله فكـرة ممتـازة يـا صـلاح وفرصـة فعـلا لإثبـات النوايـا الحسـنة وفرصـة للاتفـاق المبدئـي مـع أدهـم في العمـل خاصـة أنـي سـمعت عنـه إنـه مهنـدس ديكـور شـاطر جـدا وشـوقي بيـه نفسـه يكلمـه لكـي يجـدد ديكـور فيلتـه. إيـه رأيـك يـا سـهير في فكـرة صـلاح؟

لـم تملـك سـهير هـانم إلا أن تضحـك ضحكـة طفوليـة لـم تضحكهـا منـذ زمـن، وأمالـت علـى صـلاح وقبلتـه علـى جبينـه وهـي تمسـك بيـد عزيـز بحنـان بالـغ وفخـر بأنـه أدار هـذه الأزمـة بحكمـة

وحنان وشهامة ورجولة. حقا يا سهير، الرجال أسرع حكمة من مكر السيدات.

- أعتبر ابتسامتك دي موافقة يا سهير؟ أنا أستطيع قراءة ابتساماتك في كل الظروف.

- طبعا عزيز حبيبي، لك ما تشاء فأنا فخورة بيك يا أعز الناس وأعز وأكرم الرجال.

- يا صلاح، بسرعة سَجل هذه الاعترافات للبرينسيسة مامتك صوت وصورة علشان نستخدمها وقت الخناقات الكبيرة.

ضحك الجميع ضحكات ملأت البيت فرحة كبيرة. وعلى الفور اتصل «صلاح» بصلاح كاندليه، واتصل «عزيز» بشوقي لدعوتهما على عزومة العشاء.

فرح صلاح كاندليه جدا بهذه الدعوة وكأنه وُلد من جديد، يكفي أن الدعوة سوف تخفف ضغط شوقي بك النفسي على حبيبة القلب ياسمين.

●●●

- إيه إللي أخرك كده يا ياسمين أنا منتظرك من بدري وكنت خلاص هابعت حد يجيبك من كاندليه، أنا خلاص زهقت من اسم

كاندليـه، لا أتصـور أبـدا أن ياسـمين شـوقي تغيـرت حياتهـا إلـى هـذا الحـد وأصبحـت وكأنهـا مـن أهـل كاندليـه ولـم يبـق إلا أن تسـكن في كاندليـه وتعمـل في كاندليـه. مـاذا حـدث ليتـم كل هـذا التغييـر، مـا هـذه العاصفـة الاجتماعيـة التـي هبـت عليـك مـن كاندليـه لتغيـر طريقتـك في الحيـاة التـي نشـأتِ عليهـا ولـم تتغيـر حتـى شـهور قليلـة.

- يا بابا أرجوك اسمعني..

- لأ يـا ياسـمين، اسـمعيني إنـت ولا تقاطعينـي في الحديـث، أنـا منتظـرك لكـي أتحـدث معـك في هـذا الأمـر لإنـه بقـى خـارج احتمـال طاقتي. أنـا مـا زلـت غيـر قـادر علـى الاسـتيعاب، أن تتزلـزل شـخصية الإنسـان في يـوم وليلـة إلـى هـذا الحـد وبأسـباب تافهـة وبأشـخاص تافهـة وحـوارات تافهـة..

- يا بابا ليه بس الكلام الجارح ده، ليه تقول تافه..

- مـرة تانيـة لا تقاطعينـي يـا ياسـمين وإلا سـوف أتخـذ موقفـا صارمـا تجـاه هـذا الأمـر، أنـا مـا زلـت بتعامـل معـكِ بخصـوص هـذا الموضـوع كأصدقـاء وبعقليـة أب يحـاور ابنتـه. أنـا لـن أتـركك ترتـدي ثيابـا اجتماعيـة مهلهلـة فـوق ثيابـك الاجتماعيـة الغاليـة، لـن يحـدث هـذا وإلا فمعنـاه أن تربيتـي لكـي كانـت هشـة. أنـا لا أتصـور كيـف يحـدث هـذا التحـول لصالـح شـخص خـارج إطـار العيلـة، شـخص

قد نراه على ناصية شارع أو في محل صغير أو أي مكان آخر ولا يسترعي انتباهنا ثم يصير هذا الشخص هو محور اهتمامك وحياتك!! كيف يكون هذا خاصة أن كل ما حدث ضد رغبتي، لا أستطيع إيجاد أي تفسير سوى إما تأثير صدمة السيارة عليك يوم الحادثة، أو سحر من هؤلاء الناس، أو نزوة ونشوة اجتماعية طارئة هبت عليكِ بفعل الإعجاب بشيء لم تره عينيكِ من قبل ولكنها سوف تتلاشى وهذا هو ما يصبرني.

- يا بابا ياحبيبي بالراحة عليا شوية..

- حبيبك فين وبأمارة إيه، أنا لو حبيبك فعلا كنتِ سمعتِ كلامي أو على الأقل فكرتِ فيه وعقلتيه ولكن أنت مندفعة كتيار ماء من شلال مندفعا من أعلى إلى أسفل ليصير كالزبد يتحول مع الوقت إلى رغاوي ليس لها قيمة. لو بتحبيني فعلا وحاملة على أكتافك تربية السنين وبتقدري انتمائك لأسرتك كُنتِ توقفتِ عن هذا الهراء وهذا اللعب وهذه الغواية، واستمعت إلى صوت العقل وصوت أسرتك ولكنك اندفعت وقررت وماشية في طريقك لوحدك دون أدنى اعتبار لأراء أسرتك وعائلتك الكبيرة التي أجمعت كلها على أن هذا هراء. فلا تحدثيني عن الحب وأنت لا تلقي بالا بحب أقرب الناس إليك، من كرسوا حياتهم فقط لإسعادك. فلا تحدثيني عن الحب..

حاولت «ياسمين» أن تقاطع والدها أو على الأقل تخفف حدة نبرته التي بدأت تتصاعد وتحتد بغضب ثائر بداخله يحاول أن يخفيه، ولكنها ترى هذا الغضب في كلماته ونظرات عيونه وملامحه وهو لا يدري، ولكن لم تستطع؛ فقد تملك الغضب «شوقي» بك وسيطرت عليه فكرة نزوتها الطائشة وشكه في دوافع صلاح كاندليه السيئة تجاه ياسمين.

- يا بابا أرجوك تسمعني، دعني أوضح لك الأمور وما عند صلاح وماذا ينتظر صلاح.

- صلاح صلاح صلاح، من صلاح وماذا يمتلك صلاح، وماذا يستطيع أن يقدمه صلاح. كيف نقدمه للناس وهو بلا شهادة وبلا عمل وبلا مسكن وبلا عائلة وبلا مستقبل، ماذا لديه سوى اسم وحفنة من الأعوام التي قضاها مع عائلة عزيز كطفيل، ماذا لديه سوى غرفة قذرة في حي قذر، حجرة ليس بها أي شيء حتى أساسيات الحياة، ماذا لديه سوى طاقم ملابس وحيد اشتراه ثاني يوم من مقابلتك لكي يبدو لكِ الفارس المغوار بعد أن كانت هيئته مذرية لا تتغير، ملابس رثة عفنة وملامح وأيدي متربة، وعيون لا يستطيع أحد تمييزها عن الخرقة المهلهلة التي يرتديها كعامل تافه لا يأبه له أحد. ماذا لديه سوى بعض أشلاء الكلمات التي يحفظها عن ظهر قلب من الأيام الخوالي عند عزيز بيه

ويتشدق بها كلما حانت الفرصة له ليقنعك بأن لديه شيء. ماذا لدى صلاح هذا سوى الفقر من أمامه وكاندليه من وراءه.

- وليه ما يكونش صادق، وليه ما يكونش عنده طموحات زينا والزمن هو الذي أحال بينه وبين طموحاته. ومن يدري لعله يحقق كل ما فاته طالما لديه الإمكانات النفسية والعقلية والطموح والأمل وهذا ما لمسته فيه.

- فليكن ما تقولي، فما علاقتنا نحن بذلك، هل يجب أن نتحول إلى مصلحين اجتماعيين، نبحث عن اليتامى واللقطاء والفقراء وعابري السبيل لكي نصلح من شأنهم على حساب شأننا، هل هذا هو العقل، هل هذا ما تعلمتيه في تخصصك في علم الاجتماع، هل يتحول العلم إلى حالة مذرية تمشي على الأرض، يجب أن يبقى العلم علما مجردا لكي يستطيع الحكم، يجب أن تظل الفوارق الاجتماعية شامخة حتى نستطيع التمييز بين طبقات الناس وتستمر الحياة كما جبلت على الطبقية والاختلاف..

ولكن لماذا لا يكون هناك استثناء في قوانين الحياة كما أوجد الله استثناءات وبأسباب لكل شيء حتى يتعلم منها الناس وحتى تصير هذه الاستثناءات وقفة يستعيد فيها الناس أنفاسهم في

طريق الحياة الذي يلهث فيه الغني والفقير والصغير والكبير والأمير والغفير، وقفة يفكر ويتدبر فيها الناس مشوار حياتهم ويعيدوا الحسابات فتتولد لديهم قوة أمل دافعة في الحياة ويصدقوا على أن كل شيء جائز حدوثه طالما شاء القدر.

- حتى ولو كان ما تقوليه صحيحا، وحتى لو انطبق ذلك على صلاح هذا، فلن أجعل من ابنتي الوحيدة طرفا في هذا الاستثناء، فليبحث هو عن طرف آخر غيرك، وليحقق نظرية الاستثناء هذا بعيدا عن عائلة شوقي التي كافحت وتفوقت وأخذت بالأسباب حتى تصبح على ما هي عليه. فلن أسمح أبدا أن يأتي طفيل ويتغذى على جسد العائلة ثم يرحل ليلعق جسدا آخر ليعيش حياته كلها طفيل كما تطفل من قبل على جسد عائلة عزيز بيه وتركها بعد أن أخذ ما أراد، والآن حانت له الفرصة التي جاءت له على طبق من فضة ليتطفل على جسد عائلتي، وعلى أعز قطعة في الجسد وهو أنتِ يا دكتورة ياسمين والتي لم أتصور أبدا أن تنزلقي بين يوم وليلة إلى هذا المنزلق الخطير الذي سوف تندمين عليه لمجرد انزلاقك فقط مدى الحياة.

- يا بابا هون على نفسك، الأمر ليس كما تظن أنه علاقة طفيل بجسد، ولا مرتب بهذا الأمر..

- أنا لا أبالي يا ياسمين بما وكيف تظنين، الأمر تعدى الحدود ولن أسمح بالمزيد ولن أقف مكتوف الأيدي أمام انزلاقك في هوة وحفر الحياة المظلمة وأنا على قيد الحياة، جميع التحليلات والشواهد والمراقبات تؤكد لي ظنوني في نظرية المؤامرة في علاقة الطفيل بالعائلة، ولن أسمح أبدا أن أكون عائلا لطفيل. أنا تعودت أن أنظف جسدي أولا بأول حتى لا تتعلق بي وتلعقني الطفيليات، وتعودت أن ألقي بفضلات بعض ما لدي أول بأول لهذه الطفيليات ولكن عن بعد حتى تبقى بعيدة عني وأأمن جانبها وأسنانها ولعابها الذي لو أتيحت له الفرصة فلسوف يستمتع بنهش لحمي. فكيف لكِ أن تركني للطفيليات وتصدقي أنها بريئة في عالم الكل فيه متهم حتى تثبت إدانته.

- كلام حضرتك قاسي النهاردة قوي يا بابا، لم أتعود منك على هذه النبرة ولا هذه الفلسفة ولا هذه الأبجديات التي تنظر إلى الجميع على أنه متهم أو طفيل وعلى المصلحة المطلقة بعيدا عن الإنسانيات. كيف ترى حضرتك العالم بهذه الصورة الأحادية وكأن الأغنياء مطلب وفريسة للفقراء لأنهم طفيليات. اسمحلي يا بابا أختلف مع حضرتك لأن العالم لا يمكن أن يسير ويتطور ويأمن على نفسه بهذا المنطق وإلا لو علم الفقير أنه طفيل ولا بد أن يحيا على حساب فريسته، ولو علم الغني أنه الفريسة للطفيل لتحولت الدنيا إلى غابة كبيرة لا غالب فيها إلا القوي.

- مؤكد البقاء للأقوى، وإلا لم يخلق الله تنافسات الغابة ليعلمنا أسس الحياة وكيف نكون أقوياء وكيف نحافظ على قوتنا ومصدر تميزنا.

- ولكني يا بابا أرى الحياة جميلة بالتسامح، وجميلة بالتعاون والتلاقي والتكامل، وجميلة بالتنافس بشرف دون تطفل. والحياة ملآنة بالعديد من الأمثلة التي تثبت وجهة نظري هذه. فيكفي علاقة الأولاد بالأب والأم والعكس كعلاقتي بحضرتك ومامي، علاقة خالية من كل مصلحة أو نفاق مع أنك تكفلني وتكفل ماما، إلا أننا نحبك ونخاف عليك حتى لو أصبحت فقيرا. يا بابا ربنا خلقا أمما وطبقات لنتعارف وليس لنتناحر، وخلق الكبير والصغير والمريض والسليم والذكر والأنثى والأبيض والأسود والماء والنار والظل والحرور والصلب والمائع وغيرها من آيات الله فقط حتى نتعلم منها كدليل على أهمية التكامل والتعاون. أرجوك يا بابا ألا تجعلني أنظر إلى الحياة بهذه الرؤية لأن لا قلبي ولا عقلي يتحمل ذلك، أنا أحب الحياة وأرى فيها الكثير من الأمور الجميلة التي تستحق أن نرعاها.

- أنا لا أنكر التعاون ولا التكامل ولكن كل في طبقته، أما بين الطبقات فهي الخدمة أو حياة الطفيليات. وأنا لا أرى علاقة صلاح بكِ إلا من هذا المنظور الواقعي الذي يصعب عليكِ إدراكه.

- ولماذا لا يكون العكس لتصبح العلاقة مقلوبة تماما؟!!

- ماذا تقصدين بذلك، لم أفهم وجهة نظرك، أرجو التوضيح يا ياسمين.

- أنا أسفة على ما سوف أقوله يا بابا ولكن مجرد وجهة نظر من خلال واقع رأيته.

- وما هو هذا الواقع وما هي وجهة نظرك، قصي عليَّ، نوريني يا ست الكل، أزيديني يا دكتورة.

- أقصد أقول ولماذا لا يكون الأغنياء هم الطفيليات على جسد الفقراء؟!!

- أولا، كيف تجرئي على قول ذلك يا ياسمين وأسرتنا تُعد من الأغنياء. ثانيا، ماذا عند الفقراء ليتطفل عليهم الأغنياء. ماذا لدى صلاح لتطفلي عليه؟!! وجهة نظرك غير معقولة، بل مرفوضة تماما.

- من وجهة نظري أن الفقراء لديهم الكثير، يكفي أن لديهم الصبر، وقوة الاحتمال، والقبول بالأعمال الدنيا، والرضا بالقليل، والانتماء لصاحب العمل، والكثير من الصفات المتعلقة بإنهاء الأعمال على أكمل وجه لإرضاء صاحب العمل. ماذا بعد ذلك يحتاج الغني من الفقير، ألا يُعد ذلك نوع من تطفل الغني على

الفقير، تطفل القوة على الضعف، قويٌّ يدفع القليل من المقابل للفقير مقابل العمل الكثير. أليس هذا سببا في زيادة الفقير فقرا وزيادة الغَني غنا فتتسع الهوة بينهما. أليس ذلك سببا في تقوقع الفقراء بعيدا عن الأغنياء كما في كاندليه والأغنياء بعيدا عن الفقراء كما في حَيِّنا. ليه ما تكونش العلاقة تكافلية، وكل طرف يستفيد ويرتقي كما يشاء. لماذا ننظر إلى العلاقة كطفيل وفريسة. لماذا تنظر حضرتك للعلاقة بيني وبين صلاح من هذا المنطلق، لماذا لا ننظر إليها بأنني مستفيدة وهو مستفيد، مع أني ضد مصطلح الإفادة والاستفادة في العلاقات الخاصة.

- شويّ يا ياسمين، أنا كنت لحد المقابلة الأخيرة مع عائلة عزيز بيه مش مصدق أي علاقة بينك وبين صلاح كاندليه، وكنت شاكك ولكني تأكدت من ذلك يوم الزيارة، والآن من خلال دفاعك عن العلاقة. والآن أكرر عليكِ عدم ترحيبي بهذه العلاقة أيا كان اقتناعك بها مهما كانت الأسباب.

- يا بابا، سيبني أفكر المرة دي بنفسي، يمكن أكون محقة!!

- ياسمين، يعني لو أنا طلبت منك تسيبيني أفكر براحتي أنا كمان وأتزوج سيدة من أهل كاندليه بلا تعليم وبلا ثقافة وبلا مال وبلا مأوى ولا عمل وبلا عائلة، هل توافقي؟!! إذا وافقتِ الآن فسوف أنادي ماما لآخذ موافقتها وأتوكل على الله. قلتِ إيه؟!!

وقعت كلمات «شوقي» بك على أسماع ياسمين كطلق ناري من العيار الثقيل محشوة بكلمات صدمت أذنيها. ومن هول مفاجأة الكلمات، لم تستوعب ياسمين اللحظة لتجاوب على سؤاله. تلعثمت وآثرت الصمت إلا من شفاه تهمس بلا صوت حتى تلملم أشلاءها من هذا السؤال الصادم. لم تتوقع أبدا أن تسمع هذا السؤال من والدها الذي بالطبع أراد أن ينتصر على رؤيتها بالضربة القاضية بعد أن أعيته كل الحيل في إقناعها لإثنائها عن رؤيتها في الارتباط بصلاح كاندليه.

– مالك يا ياسمين، سكتِ ليه، سؤالي مفاجئ ليكِ أكيد ولكنه مؤكد واقعي وممكن حدوثه. كل ما أحتاجه لتحقيق ذلك هو ركوب سيارتي في حالة غضب كما أشعر الآن وأتجه إلى حي شعبي عشوائي مثل كاندليه وأصدم نفسي عنوة في عمود هناك لتخرج إليّ ست من كاندليه وتبتدي الحكاية من هناك وأيضا تنتهي هناك كما حدث معكِ تماما. إيه رأيك لو ده حصل، هايكون موقفك وموقف ماما إيه؟

حاولت «ياسمين» أن تلملم أشلاءها أثناء استرسال شوقي بك في الحديث وضرب الأمثلة ولكنها ما زالت لا تدري كيف ترد على هذا السؤال، ولكنها التقطت الخيط من آخر حديثه عن موقف مامتها. بلعت ريقها بهدوء وأمالت ظهرها إلى الخلف لتستند

على ظهر الكنبة فقد رجتها كلمات والدها الذي نقل الكرة من ملعبه إلى ملعبها ليجعلها تقف موقف الهجوم عليه لو استطاعت بدلا من هجومه عليها. ذكرها سؤاله المفاجئ هذا بسؤال سيدنا إبراهيم للنيروز مع الفارق في التشبيه كما جاء في القرآن: «إن الشمس تشرق من المشرق فأت بها أنت من المغرب، فبهت الذي كفر». حاولت أن تخرج من نفق هذا السؤال بدعابة تخفف من حدة الموقف: يا بابا، حضرتك متجوز وسعيد، إيه إللي هايخليك تفكر في الزواج، وبعدين ماما استحالة هاتسيب حضرتك تتجوز من أي واحدة تانية سواء من كاندليه أو غيرها.

- ياسمين، أنا مش بهزر، أنا إديت مثال وعايز أعرف موقفك ورؤيتك منه؟!!

- والله يا بابا سؤال حضرتك فاجأني وصعب الإجابة عليه، سؤال أربكني لأنه أخذني إلى شارع آخر من المشاعر مختلف تماما عن الذي كنا نسير فيه منذ قليل. وأطبقت ياسمين نظرها إلى سقف البهو تبحث فيه عن لون السماء الصافية لعلها تلهمها بإجابة تستطيع بها إقناع شوقي بك حتى لا تخر صريعة على خشبة المسرح أمامه وينتهي كل شيء.

وعندما لاحظ «شوقي» بك ملامحها المتحيرة مع صمتها ونظراتها المحلقة ناحية السماء تأكد له أنها في مأزق فكري لأنه

يعرف دواخلها كما يعرف دواخله وقت الفرح والحزن. تنفس شوقي بك الصعداء وانشرحت دواخله في نشوة بالغة ليس فقط لشعوره بإمكانية عدول ياسمين عن موقفها ولكن لانتصار أبوته التي تبحث دائما عن الخير لذريتها ولكن بطريقتها.

- طيب واضح أنك اقتنعتِ بوجهة نظري وواقع الأمر وهذا ما كنت أتمناه لخوفي عليكِ وحبي الجارف لكِ.

- يا بابا أنا صمت ونظرت إلى السماء ليس هربا من السؤال أو عدم قدرتي على الإجابة أو أني انقلبت على موقفي، أبدا. أنا ما سيطر على فكري الآن هو قدرة العقل البشري على غزل الحوار وشده وجذبه مع الآخر كيفما يشاء وبمهارة عالية تؤكد على إبداع الخالق في خلقه أيا كان خلقه ذكرا أو أنثى، أو غنيا أو فقيرا، أو سعيدا أو حزينا. نعمة التفكير والتدبر آية من آيات الله وهبها لنا لندرك الحياة حولنا بثوابتها واستثناءاتها. سؤالك الفاصل هذا يا بابا علمني أيضا كيف أن مواقف معينة في الحياة يرتبها القدر لتكون فاصلة بين طرق أو علاقات كما فعل سؤالك تماما الآن عندما نقلني من وجهة نظر إلى وجهة نظر حول نفس الموضوع..

وهنـا تدخـل «شـوقي» بـك بلـذة الفـوز علـى ابنتـه في تعديـل تفكيرهـا حتـى لا يدع لهـا الفرصـة لتبـدأ الحـوار مـن أولـه لصالحهـا بعيـدا عـن إجابـة سـؤاله: يـا ياسـمين هـذا آخـر سـؤال سـألته ليـكِ ومحتـاج إجابتـه منـك لكـي ننهـي هـذه المناقشـات الجدليـة حتـى ترتاحـي وأنـا أرتـاح.

- أنـا آسـفة يـا بابـا، بـس سـؤال حضرتـك ليـس مبنيـا علـى موقـف مـن الحيـاة ولكنـه تم صياغتـه وهندسـته لكـي يفنـد أمـرا مـا، ولكـن اسـتثناءات الحيـاة لا تأتـي بوضـع الأسـئلة مسـبقا بـل بالبحـث عنهـا بعـد أن نعيـش أحداثهـا في الحيـاة. مـن وجهـة نظـري أن وضـع السـؤال مسـبقا في هـذه الحالـة يشـبه مـن أراد أن يؤلـف قصيـدة وليـس لديـه موضـوع لا في قلبـه ولا عقلـه ممـا يجعـل القصيـدة ولـو كُتبـت غيـر مقنعـة لمـن يقرأهـا حتـى لكاتبهـا.

- أنـا لا أفهـم شـيئا ممـا تقوليـه، سـؤالي واضـح جـدا وقـد يحـدث!

- فعـلا، قـد يحـدث ولكنـه أيضـا قـد لا يحـدث وهـذا هـو الفـارق الكبيـر بـين النيـة وبـين ترتيبـات القـدر التـي لا مفـر منهـا. تسـتطيع حضرتـك أن تركـب سـيارتك وتتجـه نحـو كاندليـه، وتسـتطيع أن تصـدم العمـود، ولكـن لـن تسـتطيع أن تُخـرج مـن بـين آلاف النـاس هنـا

أو هناك سيدة واحدة تأتي إليك أنت في هذه اللحظة المتفردة، وحتى لو أتت فقد لا ترتاح أنت إليها أو لا ترتاح هي إليك سواء كانت من كاندليه أو خارجها. أما إرادة القدر فهي مرتبة مسبقا ودون أن ندري وبلا تخطيط مسبق، بل قد تأتي على عكس كل تخطيطنا وإرادتنا وتوقعاتنا. هذا هو الفارق يا بابا بين ترتيبات البشر وترتيبات القدر، ترتيبات البشر قد لا تحدث حتى ولو خططنا لها، أما ترتيبات القدر فهي نافذة حتى ولو ابتعدنا عنها. هذا هو تماما الفارق بين سؤال حضرتك وما فيه من ترتيبات وما حدث لي بالفعل في كاندليه ولم أخطط له على الإطلاق.

- أخذتيني إلى الفلسفة تاني يا ياسمين، إنت واضح إن ما فيش فايدة فيكِ. قالها «شوقي» بك وهو في حالة من اليأس من إقناع ابنته كما بدا في ملامحه مع أنه في داخله مقتنع بكل كلمة لحبيبة قلبه ياسمين. ماذا يفعل في هذا الصراع الخفي عن ياسمين بين قلبه المنحاز لها وبين عقله الرافض لفكرها، ماذا يفعل في هذا الموقف الفاصل في حياة ابنته الذي لا يعلم عواقبه إذا تم إلا اللّه سبحانه وتعالى. موقف نادر الحدوث في الحياة ولكنه حدث مع أعز ما لديه في الحياة. أيكون هذا الموقف النادر الحدوث الذي جمع بين ياسمين وبين صلاح كالمرض النادر الذي قد يقضي عليها، أم هو كالاكتشافات العلمية النادرة التي تحول

مجـرى الحيـاة كلهـا إلـى الأفضـل. أم أن القـدر يراقبنـي ويعاقبنـي علـى علاقاتـي مـع بعـض أهـل كاندليـه مثـل المعلـم محمـود وأمثالـه واسـتخدامهم ﻓﻲ تنفيـذ وتحقيـق أهـداف التجـارة ولـو بصـورة غيـر سـليمة،حقا، وكمـا تقـول ياسـمين، إنهـا ترتيبـات القـدر التـي تحـدث لنـا علـى مفتـرق طـرق الحيـاة لنتبعهـا طواعيـة أو عنوة وسـواء باختيار أو بـلا اختيـار، تمامـا كمـا حـدث معـي وأنـا ﻓﻲ عمـر صـلاح مـع زوجتـي أم ياسـمين، رتـب القـدر لـي مـا لـم أكـن أحلـم بـه وقـد كان مـا كان مـن كل الأحـداث الجميلـة. لمـاذا أنكـر علـى ابنتـي ترتيبـات القـدر، القـدر لا يعـرف المجادلـة ولا النقـاش ولا الأسـباب ولا المسـببات، القـدر فـوق كل الثوابـت والأسـباب. القـدر يجعـل مـن النقـاش طرفـا ﻓﻲ الإقنـاع كمـا يحـدث الآن مـع ياسـمين، فكلمـا هممـت بسـؤال أو حجـة ظنـا منـي أنهـا الضربـة القاضيـة للموضـوع، تأتينـي الإجابـات المعضـدة للموضـوع. لسـت أدري مـاذا أفعـل يـا بنيتـي، أعيتنـي الحيـل وأعيانـي التفكيـر، وجفـت حبارتـي وجـف قلمـي أمـام سـيل أفكارهـا. وبقـدر مـا أنـا ﻓﻲ صـراع بـين قلبـي وعقلـي بقـدر مـا أنـا فخـور بابنتـي، بفكرهـا وجرأتهـا وفلسـفتها. فلأصبـر عليهـا ولننحـي هـذا الموضـوع جانبـا بعضـا مـن الوقـت وليفعـل اللّه مـا يشـاء لعلـه يحـدث مـن بعـد ذلـك أمـرا طيبـا وعلامـات مضيئـة وهاديـة لـي ولهـا.

- إيه السرحان ده كله يا بابا يا حبيبي، رحت فين بعيد عني، أد كده الموضوع ده مضايق حضرتك، أد كده أنا عاملة لحضرتك مشكلة. وكأنها قرأت توارد أفكار شوقي بك وقراره في الصبر عليها: عموما يا سي بابا إنت أغلى عندي من كل من حولي، أنت حبيبي الحقيقي ومثلي الأعلى في الحياة وأوعد حضرتك إني أقلل من مقابلاتي مع صلاح إلا في العمل لو وجد حتى أختبر مشاعري الحقيقية وموقف قلبي وعقلي من هذا الموضوع. بس أحب أقول لحضرتك يا بابا أنا مقتنعة أن تباشير حلو الحياة يأتي عندما يتوافق ويلتئم شمل القلب والعقل، وهذا ما أشعر به الآن تجاه صلاح ولكني سوف أفعل كما وعدت حضرتك ولعل الله نافذ في أمره شيء يهديني ويرشدني إلى ما فيه الخير.

- وهو كذلك يا ياسمين، ربنا يهدينا ويوفقنا إلى اتخاذ القرار المناسب وما فيه الخير.

- ربنا يخليك ليا يا أحسن وأحن أب في الدنيا كلها.

وبابتسامة فيها الدعوات الطيبة التي يحفظها العالم أجمع، ضم شوقي بك ياسمين إلى صدره ليذيبها في حضن دافئ أفتقدته منذ تعرفها على صلاح كاندليه.

ضمت ياسمين والدها وتمنت أن تبقى تلك اللحظة إلى الأبد، فقد شعرت أن دفء حضن والدها ولغة أنفاسه ودقات قلبه تحمل كلها تباشير الفرح.

وقبـل أن تقبـل ياسـمين جبـين والدهـا وتتصـرف، رن هاتـف شـوقي بـك وكأن القـدر يرتـب لباقـي الأحـداث التـي تنفذهـا الأطراف مـن العائلات المختلفـة وهـم يظنـون أنهـا اختياراتهـم وقراراتهـم.

- أهـلا بيك عزيز بيه، يارب تكون بخير والأسرة بخير.

- كلنـا بخيـر الحمـد لله ولكـن نرجـوا تقبـل دعوتنـا لكـم علـى الغـداء نهايـة هـذا الأسـبوع في فيلتـي المتواضعـة. ولكـم الحريـة الكاملـة في دعـوة مـا ترونـه، وأنـا بـدوري سـوف أدعـوا الضيـوف الذيـن قابلتهـم عندكـم المـرة الماضيـة، صـلاح وأدهـم والإمـام.

- طبعـا يسـعدني جدا عزيـز بيـه، وياسـمين بجـواري وكل ملامحهـا تجيـب بالإيجـاب والفرحـة. وشـكرا جدا علـى الدعـوة الكريمـة.

- نراكم قريبا وتمنياتي لكم بكل الخير وتقبلوا تحياتي.

وبمجـرد أن أغلـق شـوقي بـك هاتفـه قـال: ياسـمين، واضـح إن هنـاك تحـولات لـدى أسـرة عزيـز بيـه، في أي اتجـاه، لا أدري مـا هـي.. ولكنـي قبلـت الدعـوة.

- أتمنـى أنهـا تكـون تباشـير خيـر يـا بابـا. ضحكـت «ياسـمين» وقبلـت جبـين شـوقي بـك وانصرفـت ولسـان حالهـا يتمنـى أن تمطـر السـماء تباشـير الفـرح حولهـا في كل مـكان.

●●●

الفصل الثلاثون

القدر لا يعرف المجادلة ولا النقاش ولا الأسباب والمسببات، القدر فوق كل الثوابت والأسباب ، القدر يجعل من النقاش طرفا في الإقناع»

حالة هرج ومرج وصياح وسب وقذف لا أحد يعلم من وراءها . سيوف تلمع في الهواء وسنج وسكاكين وعصيان غليظة كتلك التي كانت تستخدم في عصر الفتوات. تتزايد الأصوات ويحتد الصراخ حتى كاد أن يصم أذن صلاح الذي ما زال مستسلما لملائكة النوم في سريره لأخذ قسط من الراحة بعد عودته من عمل اليوم الشاق وقبل أن يقابل أدهم في المساء لإنهاء المشروع وتقديمه مع أدهم في الصباح الباكر.

لم يلقِ صلاح بالا لهذا الصخب ولا لهذا العراك فهو قد اعتاد عليه في الحي من وقت إلى آخر بين أهل كاندليه أنفسهم أو مع أحد من المترددين عليها . دس نفسه في السرير مرة أخرى بعد أن وضع المخدات على أذنه محاولا أن يقلل من حدة الصراخ الذي تزايدت حدته وكأنه قنبلة صوتية تزلزل الشارع هناك أسفل حجرته.

وعبثا حاول صلاح أن يعود إلى النوم الذي يطلبه، فلا هو قادر على النوم ولا هو قادر على النزول إلى الشارع لعمل الواجب والمشاركة في هذا العراك. تمالك نفسه وفرك عينيه ليطل من الشباك من حجرته على الشارع ليفاجأ بأعداد غفيرة من رجال ونساء وأطفال المنطقة وبأيديهم كل أنواع الأسلحة البيضاء والسوداء ولكن بلا عراك، ماذا يريدون لا يدري!!

تعجب صلاح من الذي يراه، فعادة أهل كاندليه هي العراك وليس التجمع للمظاهرات. أينزل الشارع ليدرك ماذا يحدث أم يبقى في حجرته في هذا اليوم الهام حتى لا ينخرط في هذا الشغب فيناله الأذى ولا يستطيع الانضمام إلى أدهم هذا المساء.

وفجأة تذكر صلاح بعد أن أفاق من نومه، أن لديه أوراقا تابعة للمشروع كان قد عكف عليها مساء الأمس على أن يسلمها لأدهم اليوم في مكتبه بوسط المدينة. توتر صلاح كثيرا وخاف على هذه الأوراق فكيف يوصلها إلى أدهم لو تتطورت الأحداث اليوم، فلا هو يستطيع أن يخرج من كاندليه دون الانخراط فيما يحدث ولا أدهم يستطيع أن يأتي هنا اليوم وسط هذه الأحداث. ماذا يفعل وميعاد تسليم المشروع غدا والأوراق التي معه هي حصيلة الأفكار في آخر اجتماع. ليتني لم أحتفظ بها وتركت ياسمين أو أدهم يسهرا عليها كما طلبا مني وقتها.

ماذا أفعل الآن، أأتصل بالشيخ لعله يستطيع عمل شيء أو أتصل بأدهم أو ياسمين لعلهم يستطيعا كتابة ما في هذه الأوراق عن طريق التليفون. تراجع صلاح عن الاتصال بأي من أدهم أو ياسمين حتى لا ينزعجوا ويتوتروا في هذا الوقت الحرج وآثر أن يصبر لعل الشارع يهدأ بعد قليل. وما إن قرر أن ينتظر في حجرته قليلا قبل أن ينزل الشارع إلا أنه فوجئ باتصال تليفوني من الشيخ يحذره من النزول الآن لأن ما يحدث في الشارع سببه فتنة دسها أحدهم متعلقة بمشروع تطوير كاندليه وأن المحافظة سوف تقضي على المنطقة وتطرد أهلها لتبني أبراجا سكنية وفنادقا ولذلك جن جنون أهل كاندليه وهم الآن متوجهون إلى مبنى المحافظة، ولكني علمت أن المحافظة أرسلت قوات أمن –في الطريق– لعمل حزام أمني ومنعهم من الخروج.

– ولكن يا عم الشيخ إنت عارف إن أهل كاندليه لا يهمهم أمن ولا خلافه وسوف تتحول المنطقة إلى عراك دموي لا نعلم نهايته أو إلى أي شيء سيأخذ المنطقة، علاوة على أن المسابقة كده ممكن تتلغي. أتصور أن الحل لا يمكن أن يكون أمنيا بل يجب أن يصاحب الأمن قادة كبار يشرحون وجهة نظر الحكومة بالضبط واضطلاع أهل المنطقة على الخطة المطروحة وكيف أنها سوف تفيد أهل كاندليه. ولو حدث ذلك فمؤكد في صالح

المشـروع. ولكن يا تـرى مـن دس هـذا الخبـر بـين أهـل كاندليـه بهـذه الطريقـة لتشـن الحـرب هكـذا في وقـت نتطلـع فيـه إلـى الهـدوء مـن أجـل الاسـتفادة مـن المشـروع.

- يا صـلاح يابنـي الوطاويـط كثيـرة مـن داخـل وخـارج كاندليـه، ممكـن يكـون وطواطـا مننـا زي المعلـم محمـود أو حـد مـن صبيانـه سـواء بحقـد منـه علـى علاقتـك بياسـمين أو بإيعـاز مـن والـد ياسـمين نفسـه لأنـه غيـر مرتـاح لمثل هـذه العلاقـة أيـا كانـت نوعهـا. لا تنسـى أننـا مؤكـد لا شـيء لهؤلاء النـاس بـل مـن الممكـن أن نكـون نجسـا. ومن الممكـن أن يكـون وطـواط تابعـا لرجـال الأعمـال الذيـن تعـودوا علـى نهـب المناقصـات التـي كانـت لقمـة مضمونـة وسـائغة لهـم في الماضـي بـدلا مـن المنافسـة الآن. عمومـا لا تشـغل بالـك يـا صـلاح بالوطاويـط فهـي هنـا وهنـاك ولـن تنتهـي ولكـن ابقـى دائمـا منيـرا وحولـك نـور حتـى تهـرب منـك الوطاويـط. ابقـى في حجرتـك ولا تتحـرك ولا تتصـل بأحـد إلا أذا اتصلـت بـك.

وقـع قلـب صـلاح مـن صـدره إلـى قدمـه ولـم يـدرِ مـاذا يفعـل الآن لـو تطـور الأمـر وزار حجرتـه أحـد الوطاويـط وعـن عمـد فهـو لا يثـق ولا يأمـن الآن في زائـر. فكـر أن يذهـب إلـى المسـجد ومعـه الأوراق ويتركهـا هنـاك ليقينـه بمكانـة إمـام المسـجد في نفـوس أهـل كاندليـه مهمـا كانـت الظـروف. اتصـل سـريعا بالشـيخ ليسـتأذنه قبـل أن يتـرك

حجرته كما طلب منه، ولكن لم يوافق الشيخ، وللمرة الثانية طلب منه ألا يترك الحجرة إلا بتليفون من الشيخ شخصيا. حار صلاح ماذا يفعل في هذه الورطة فلا هو قادر أن ينزل وينخرط بالناس ولا هو قادر على الاتصال بأي من أصدقائه ولكنه في نفس الوقت واثق جدا في حكمة الشيخ.

وبعد مرور حوالي النصف ساعة قضاها على أحر من الجمر وعلى أعصابه، رن جرس التليفون ليجد الشيخ يطلب منه النزول الآن وأن يتجه إلى المسجد مع تجمعات الناس على ألا يهتف أو يصرخ مثلهم. لم يفهم صلاح شيئا من الشيخ بل زاد اضطرابه ولكن الشيخ طمأنه وكأنه شعر بأنفاسه من خلال الهاتف: لا تقلق يا صلاح فأنا أراقب الموقف وعلى اتصال بقيادة المحافظة لعمل اللازم حتى يهدأ الموقف. خد بالك يا صلاح واستعد لأن ممكن يكون لك دور في ذلك.

- كيف يكون لي دور في هذا الهرج والمرج وأنا لا أستطيع النزول من مكاني براحتي.

- لا تقلق توكل على الله وأنا في انتظارك، ولعل في كل هرج فرج.

أغلق صلاح الغرفة، وأخفى أوراق المشروع تحت قميصه وتوكل على الله ليلحق بالحشد الهائج والمتجه بصياحه إلى المسجد. وما

إن دلف إلى الشارع حتى فوجئ بأعداد غفيرة كما كان يتوقع وكأنها مظاهرة انقلاب على الحكم، تعجب، من له القدرة على جمع وتحريك هذه الناس وبهذه القوة وجعلهم يلتفون حول هدف واحد وكأنهم في معركة حربية تتجه ناحية قلعة العدو. تعجب كيف لقوة الحرافيش أن تخرج بهذا الشكل المهيب، وتعجب أكثر لماذا لا يستفاد من هذه القوة الجبارة الكامنة في النفوس الفقيرة، لماذا لا تتحرك إلا في الغضب، لماذا لا تتحرك في البناء، وتعجب صلاح من القيادة أو الأمن الذي بمقدوره أن يتحكم أو على الأقل ويُهَدِئ من هذه القوة العارمة التي لا يحكمها منطق ولا قانون، لا يحكمها إلا العرف الذي اتفقت عليه فيما بينها.

اندس صلاح في مؤخرة الحشود دون أن يلقي أحد بالا سوى بعض أهل المنطقة الذين يجرون أرجلهم ليلحقوا بالجموع فقط ليشاهدوا جبابرة كاندليه وهو يتقاتلون ويستعرضون قواهم بلا هيبة أو خوف من أي كائن كان. فهذه اللحظات من المعارك سواء مع بعضهم البعض أو مع الغرباء عن المنطقة تمثل ملحمة لكثير من أهل كاندليه لإثبات الذات والتأثير والقدرة على تحقيق ما لا يستطيعه غيرهم ولو التجرؤ على إشعاله. إنها النفس البشرية التي تبحث دائما عن دور حيوي لها في الحياة ولو بالبلطجة، وأقصى أنواع البلطجة هي بلطجة الفقر والجهل.

رويدا رويدا اندس «صلاح» بين الناس حتى وصل بهدوء ودون أن يشعر به أحد إلى مقدمة الحشد الذي يتجه الآن وبقوة ناحية الجامع، المكان الذي تعود عليه أهل كاندليه في حالة الاحتجاج اقتناعا منهم بقدسية الجامع ومكانته ولاستخدام الساحة الوحيدة في كاندليه الذي تحتوي العديد من أهل المنطقة.

فوجئ صلاح بجحافل الأمن تتصدى لهذه الجموع الجارفة ولكن عن بعد عن طريق تشكيل دائرة أمنية من جنود الأمن المركزي. فوجئ صلاح بوجود المحافظ وبعض رجال الأمن ورجال المحافظة وأعضاء مجلس الشعب وبعض رجال الأعمال. وكاد يغمى عليه عندما رأى شوقي بك بين رجال الأعمال. يا ترى ماذا أتى به إلى هنا، هل بحكم نفوذه أم بحكم المسابقة التي قدم عليها أم بسبب علاقته بياسمين، فجاء ليشاهد ليس فقط سقوط صلاح كاندليه ولكن كاندليه نفسها في بئر من الدم لينهي قصة لم تكتمل بعد، قصة كاندليه التي خطبها وخاطبها الكثيرون من قبل ولم تنجح الخطبة وقصة صلاح وياسمين التي تواجه أعتى التحديات ليس كلاما بل بالسلاح الآن. تذكر صلاح كلماته لياسمين عن مطبات الطريق وكم أن مطبات الحياة أقسى وأعنف وهو يقود سيارتها إلى منزلها بعد أن تعافت، وتذكر رد ياسمين وهي تؤكد له أن مطبات الحياة من الممكن تفاديها والتغلب عليها

تماما مثل مطبات الطريق. يا ترى أين أنت الآن يا ياسمين، كم كنت أتمنى ان أحادثك الآن ولكني لا أستطيع بسبب وعدي للشيخ وبسبب هذه الجموع الغفيرة ولا أريدك أن تشاهدي هذه المعركة التي قد تودي بحياة كاندليه وحياة قصتنا. فلأصبر وأرى ما يخبئه القدر وما عند الشيخ من معلومات.

نظر صلاح يمينا وشمالا باحثا عن الشيخ، وأخيرا وجده وراء قادة الأمن والمحافظ محاولا التمسك بوقاره وهدوئه. اطمأن قلب صلاح لمجرد أن رأى الشيخ فليحدث ما يحدث الآن، وتتنفس الصعداء بعد أن توسط الصف الأول من الجموع، ويديه على خلاف كل من حوله، خالية من أي سلاح، وزيه مختلف إلى حد بعيد عن الآخرين، فبدا وكأنه يشبه أهل كاندليه. وفجأة دب ضجيج وهرج ومرج بين المتجمعين من أهل كاندليه محاولين اختراق الحاجز البشري من قوات الأمن المدججين بالسلاح للوصول إلى قيادات المحافظة والفتك بهم ظنا منهم -كما أُشيع- أن المنطقة بحالتها الحالية وسكانها سوف تتلاشى ويحل محلها الأبراج السكنية والمولات، وسوف يطردون شر طردة بلا مقابل، وهكذا تتلاعب الكلمات المدسوسة بمشاعر الناس وخاصة الفقراء والأميين لتجعلها إما ألواحا من الثلج أو على نار حامية حسب ما تتمناه الأيدي الخفية وهي التي تسمى باللهو الخفي. ماذا يفعل الآن بين هذا الشطط فلا هو قادر على الانسحاب أو الوقوف

صامتا وإلا اتهمه أهل المنطقة بالخيانة العظمى ولا هو قادر على الانخراط في هذا العراك.

فجأة رأى أحدُ الجيران صلاحَ في الصف، عندما رأى يديه خالية، ألقى له بسلاح أبيض ليستعمله في اختراق الصفوف. تعمد صلاح إسقاط هذا السلاح الأبيض على الأرض وكأنه لم يستطع التقاطه، وجرى هنا وهناك كنوع من التمويه حتى أخذ جانبا من الجمع ولكنه ما زال في الصورة. عندما رآه الشيخ في هذه الحالة الصعبة خطرت على باله فكرة تمنى أن يقبلها مدير الأمن، فكرة قد توقف هذا العراك، وفي الوقت نفسه قد تنقذ منظر صلاح أمام أهل كاندليه الذي قد ينكشف حالا، وقد تظهر إمكانات صلاح في تهدئة أهل كاندليه خاصة أنهم لن يهدأوا إلا بتدخل المحافظ بوعود واضحة مع تصديق من الشيخ.

همس الشيخ بفكرته في أذن مدير الأمن والذي همس بدوره في أذن المحافظ بالفكرة. هز المحافظ رأسه إعلانا بالموافقة دون أن ينظر إلى مساعديه أو من حوله من رجال الأعمال والسياسة، فتقدم الصفوف على الفور وأشار بيده بأن يفسح الجنود له ليتوسط الناس وهو متوجه إليهم، وقد كانت أول مرة يتحدث فيها المحافظ إلى أهل المحافظة بعد تعيينه وخاصة مع فئة مثل أهل كاندليه الذين لا يأبه بهم أحد في العادة. اضطرب قلب الجميع

علـى سـلامة المحافـظ ولكـن علـى عكـس كل التخوفـات وقبـل أن ينطـق المحافـظ بكلمـة وقبـل أن يلتـف حولـه الجنـود بأمـر مـن مديـر الأمـن، توقـف الزحـف فـورا ونظـر النـاس إلـى المحافـظ وهـو بينهـم وبـدلا مـن الهجـوم عليـه بعـد أن أصبـح فريسـة سـهلة بـين أيديهـم، توقفـوا وأحاطـوه ليسـمعوا منـه الحقيقـة.

وبصـوت عـالٍ تسـكنه الثقـة بالنفـس وبمشـروعه وأهدافـه ونيتـه تجـاه هـذه المنطقـة، توجـه المحافـظ بالحديـث إلـى أهـل كاندليـه وهـو يضـع يديـه علـى كتـف أحدهـم كنـوع مـن الألفـة: أنـا لـم آتـي هنـا لكـي نتراشـق ونتقاتـل وإلا لكنـت أرسـلت الأمـن، ولكنـي أتيـت لأخبركـم الحقيقـة الغائبـة أو المختلطـة عليكـم. أنـا اسـمي المحافـظ، وهـذا الاسـم أمانـة سـوف أُحاسـب عليهـا ليـس أمـام المسـئولين فهـذا معـروف ولكـن أمـام اللّه، فأنـا المحافـظ لأحافـظ علـى أمـوال وأمـلاك وحقـوق النـاس وأحافـظ علـى المسـاواة بـين النـاس الفقيـر منهـم والغنـي، الجاهـل والمتعلم، هـذا هـو معنـى كلمـة المحافـظ. وأنـا أؤكـد هنـا أن مـا قيـل عـن بيـع الأرض هنـا وبنـاء أبـراج عليهـا ومـولات هـو مجـرد إشـاعة دسـها وللأسـف بعـض المغرضـين الذيـن تعـودوا علـى الاسـتفادة القصـوى مـن فتـرة إلـى أخـرى ممـا كان يخصـص لهـذا المـكان. أمـا الآن فليـس شـكلا علـى الإطـلاق بـل هـي حقيقـة ولكـن بطريقـة مختلفـة بعيـدا عـن المناقصـات سيئة السـمعة بـل عـن

طريق منافسة يتنافس فيها كل من يريد من خلال مشروع كامل يقدمه لتطوير المنطقة. ونحن لن نقبل إلا المشروعات التي تحافظ على أصل المنطقة وسكان المنطقة التي تمثل لي تراثا وكنزا شعبيا ممكن تطويره والاستفادة السياحية منه. عموما، سوف أختار واحدا منكم يحدثكم عن المسابقة، واحدا سمعت أنه من أبناء المنطقة ومهموم بمشاكلها، واحدا سمعت أن لديه مشروعا سوف يتقدم به هو وزملاؤه للمسابقة، سوف أقدمه ليشرح لكم عن المسابقة نفسها وليس عن المشروع الذي سوف يقدمه فهذا سر لا يجب إفشاؤه للحفاظ على تعبه. واحدا أعتقد أنكم تثقون فيه.

نظر المحافظ إلى شيخ المسجد ومدير الأمن، فأشاروا إلى صلاح والذي لم يفهم شيئا وتلعثم، خاصة أن الإعلام وقنوات الفضائية تسلط كاميراتها على المحافظ ومن حوله. أشار الشيخ إلى صلاح أن يقترب من المحافظ في الحال. تردد صلاح خوفا منه أن يكون تفسيره لإشارات الشيخ خطأ ولكن الشيخ أشار له مرة أخرى، وهنا لم يتأخر المحافظ أكثر من ذلك فأشار إلى صلاح أن يتقدم إليه. وبالفعل انتقل صلاح إلى جوار المحافظ ولكن لا يدري هل هو المقصود بالشخص الذي أشار إليه. نظر حوله بين الجموع ورجال الأمن والأعمال وبينهم شوقي بك والد حبيبة القلب ياسمين. تعجب كيف يكون في هذه اللحظة التاريخية

في هذا المكان وبين أهله وأمام رجال الإعلام وبجانب حاكم المدينة ليتكلم عن مشروع قومي، كيف يحدث هذا إلا إذا كانت الأحداث مرتبة بأيدي القدر.

واضعا يده على كتف صلاح، خطب المحافظ في الجمع، هذا هو الرجل الذي اخترته ليتحدث إليكم الآن عن المشروع ليكون حجة لكم وبرهانا على أني لا أضحك عليكم بل نسعى لعمل كل الخير لكم: تحدث إليهم يا صلاح وقص عليهم ما هي المنافسة وأهدافها دون أن تتطرق إلى مشروعك أنت وزملائك.

تعجب «شوقي» بك مما يحدث، فقد جاء إلى هنا بطلب من المحافظ ليكون له دور ولكن الدور الأكبر الآن أُحيل في لحظة إلى صلاح وكأن القدر في كل موقف يريد ذلك ولا راد لإرادته، ماذا لدى هذا الولد ليحدث له كل هذا دون تدخل منه، هل هو رجل مخابرات ونحن لا ندري، أم أن ياسمين فعلا محقة في أن القدر يقدم الاستثناءات لنتعلم منها بغض النظر عن من وقع عليهم الاستثناء. شيء عجيب بدلا من أن يكون متهما أمامي وأمام الجميع تحول إلى بطل. فلنرى ما يخبأه القدر.

أمسك «صلاح» الميكروفون الذي أعطاه له المحافظ وعاد بذهنه سريعا إلى أيام الإعدادية التي كان يمارس فيها هوايته

في الخطابة في طابور الصباح وكان يثني عليه الجميع، واحتار في طريقة الكلام ونوع الكلام ولكنه وعلى الفور قرر أن يتحدث بلغة أهل كاندليه ليشعروا بصدق كلماته.

«أهل كاندليه، من أعتبرهم جنود في معركة الحياة، أنا واحد منكم ويهمني إللي يهمكم، وأنا عارف إن فيه ناس كتير خارج كاندليه وبرضه يهمهم إللي يهمكم وعلى رأسهم المحافظ فلازم نثق فيهم علشان خاطر منطقتنا إللي ممكن تبقى أحسن منطقة بل ممكن تتحول لمنطقة سياحية. أنا سمعت عن المسابقة من واحد من خارج كاندليه وكل إللي كان همه إنه يطور المنطقة وأنا سمعت أفكاره وفعلا بتعاون معاه دلوقتي بس مش هاقدر أقول هو هايعمل إيه علشان المسابقة، لكن المسابقة حقيقة وشروطها كلها لصالح كاندليه وأهل كاندليه. احنا لازم نقف جنب المسابقة دي ونحميها لأن أكيد فيه ناس كثير عايزة تبوظها وتلغيها علشان كانوا بيستفيدوا من غير حد ما يعرف. لازم نثق في المحافظ إللي وقف قدام الفكر القديم وده مكانش سهل، فتحية للمحافظ ورجاله ورجال الأعمال إللي أكيد هايساعدوا في التطوير بس بعد المسابقة ما ترسى على حد. تحية للمحافظ إللي جه بنفسه النهاردة، إللي بيفكر فينا بطريقة مباشرة، الموجود وسطكم دلوقتي مش ورا العساكر، وربنا يوفقه ويحافظ على المسابقة لأن مستقبل كاندليه وأهلها متعلق بالمسابقة دي، وبعدين إنتوا قلقانين من

إيه، كل التليفزيونات بتصور كلامنا دلوقتي وكلام معالي المحافظ يعني اعتبروه عقد صوت وصورة، يارب تكون كاندليه مع معالي المحافظ، ومانسيبهوش، ونكون معاه برجالتنا نحمي معاه حقنا».

الآن أدرك «شوقي» بك سبب اختيار صلاح من دون أهل كاندليه، القدر لم يدبر مقابلته بياسمين وأكتفى بل رتب مقابلته بأدهم مهندس الديكور المعروف ثم ضم إليهم ياسمين ثم تجمعوا ثلاثتهم مع إمام المسجد الذي جاء في هذه اللحظة ليستجيب لنداء القدر ليهمس في هذه اللحظة القدرية في أذن مدير الأمن والذي بدوره يهمس في أذن المحافظ والذي يشير بنفسه إلى صلاح. لحظات وأحداث قدرية تثبت قدرة السماء على إعادة ترتيب أدوارنا في الحياة رضينا أم لم نرض لأن أدوارنا معلقة بإرادة السماء.

وما إن انتهى صلاح من كلمته التي أنهاها بحماس شديد حتى صفق الناس جميعا له وهتفوا باسم المحافظ الذي تهللت أساريره وأصبح بطلا في محافظته وفي منطقة من أعتى المناطق التي استعصت على جميع المحافظين ممن سبقوه. سلم المحافظ على صلاح ونظر إليه نظرة طويلة تحمل معاني الامتنان وكأن لسان حاله يقول، كم أنا مدين لك بهذا الموقف وهذه الكلمات التي مزجت بيني وبين أهل كاندليه.

ابتسم الشيخ ولوح لصلاح عن بعد، وأصبح صلاح رجلا معروفا ليس فقط لأهل كاندليه ولكن لكل الناس وهكذا أراد القدر أن ينصف صلاح أمام الجميع، أمام أهل كاندلية وأمام شوقي بك، وأمام عزيز بك وياسمين فكانا يشاهدان ما يحدث الآن على شاشة التلفاز.

وكانت أحلى وأجمل مكالمة تليفونية من ياسمين وهي تبارك له على تباشير حلو الحياه: مبروك يا صلاح أنا كنت فخورة بيك وأنا شايفاك بتتكلم، مبروك عليك حب القدر ومبروك عليا تباشير حلو الحياة.

- وأنا كان نفسي أتصل عليكِ وكان نفسي تكوني معايا، ربنا يخليكِ ليا يا أجمل عقد ياسمين. هاشوفك النهاردة بالليل في مكتب أدهم علشان ننهي المشروع ونقدمه بكره؟؟

- لأ، للأسف يا صلاح مش هاقدر آجي لا النهاردة بالليل ولا بكرة الصبح معاكم لأني وعدت بابا ومش هاقدر أخلف بوعدي معاه.

- خير، إيه إللي حصل علشان توعديه إنك ماتشوفينيش، خير يا ياسمين، ده هو حتى كان موجود النهاردة وسلم عليَّ في الآخر ودعا لي بالتوفيق من قلبه وقال إنه هايكون فرحان لو احنا أخذنا المشروع وهو خسر، وأنا قلت النهاردة أكيد هايغير رأيه فيَّ.

- أنا وعدته امبارح مش النهاردة، وطبعا إللي حصل النهاردة ممكن يخليه يغير رأيه، عموما هابقى أحكيلك بعدين ما تقلقش الأمور ماشية كويس الحمد لله، بس محتاجين بعض الهدوء واحترام فكر الآباء، لكن في النهاية ربنا قادر إن شاء الله، زي دايما ما بنقول ترتيبات القدر فوق كل الأسباب.

- وأنا واثق في رحمة القدر وعدل القدر، خدي بالك من نفسك.

لم يملك «شوقي» بك إلا أن يسلم على صلاح: كلماتك كانت مهمة وقوية يا صلاح، ربنا يوفقك إنت وأدهم وياسمين في المسابقة، ولو فزتم وأنا خسرت هاكون فرحان، ربنا يوفقك وتكون على قدر ترتيبات القدر.

- أرجو أن أكون عند حسن ظنك دايما شوقي بيه. وجرى صلاح نحو الشيخ يقبله ويحتضنه، واتجها ناحية المسجد قبل أن يذهب ليقابل أدهم فقد هرب النوم من عينيه وأصبح كالطائر في سماء الأحلام.

●●●

- إيه إللي أخَّرَك يا صلاح، أنا قلقت عليك جدا، اتصلت عليك كثير وتليفونك كان غير متاح.. خير إيه إللي حصل يا عم الشيخ، مش إنتوا عارفين إن آخر يوم لتقديم المسابقة بكرة الصبح. ده أنا قافل عليّ المكتب من العصر ومقابلتش أي حد علشان أتفرغ تماما لإنهاء المشروع ولكن فيه حاجات كثيرة محتاجكم فيها.

- فعلا، احنا شفنا اليافطة إللي متعلقة برّة إن مافيش مقابلات للعمل النهاردة، عموما احنا إتأخرنا بسبب يساوي مليون جنيه، ده احنا كنا متوقعين إنك تكون عارف سبب تأخيرنا.

- هاعرف منين يا عم الشيخ بس وماحدش منكوا رد على تليفوناتي، بصراحة أنا قلت الشبكة، وفرصة أعكف على المشروع على ما ييجي ميعادنا حتى ما رضتش أتصل بياسمين علشان ما قلقهاش.

ابتسم صلاح، وما زالت عيناه تسكنها لمعة مما جرى هذا العصر، ودمعة فرحة من سلام شوقي بك: ياسمين كانت معانا النهاردة وكمان شوقي بيه وكمان المحافظ، الكل كان معانا يا باشمهندس إلا إنت.

- إيه الألغاز دي يا صلاح، مش عايزين هزار، عايزين نبتدي في الشغل حالا، أنا فعلا بدأت أتوتر من ضيق الوقت الباقي، يلا اتصل بياسمين علشان تيجي ونبتدي حالا، دا أنا عازمكم على بيتزا بس بعد ما نخلص إللي ورانا.

- أولا ياسمين مش هاتقدر تيجي، ثانيا أنا مش بهزر أنا باتكلم جد واسأل الشيخ.

- إيه الحكاية يا عم الشيخ فهمني؟؟!

- فعلا يا أدهم، كان عندنا النهاردة العصر ملحمة في كاندليه وكان بطلها صلاح أمام أهل كاندليه وأمام المحافظ ومدير الأمن ورجال الإعلام ورجال الأعمال ومنهم شوقي بيه، كانت لحظات حالكة ولكنها انتهت بفرج كبير من الله، أما عن ياسمين.. صلاح هايقولك. أنا كنت متخيل إنك شفت إللي حصل على التليفزيون.

- وكمان التليفزيون، ده الموضوع كبير بقى وأنا آخر من يعلم! طيب الأول أعرف ليه ياسمين مش هاتقدر تيجي، ده مشروعنا كلنا وكان لازم تيجي وتدلي برأيها في التفاصيل لإن أراءها مهمة جدا خاصة إن لها دور واضح. خير يا صلاح إيه إللي حصل، اتخاصمتوا ولا إيه، دي آخر حاجة أتوقعها!!

- ياسمين يا سيدي دخلت في نقاش طويل وحاد مع والدها والذي انتهي بأنها وعدته بأن تقلل من مقابلتها معي ليس لأنها تخلت عني أو لا تريد لقائي ولكن لأنها تحاول أن تحافظ على مشاعر شوقي بيه وفي نفس الوقت حتى لا تزيد وتيرة الاختلاف بينهما وغضبه عليّ حتى يفعل الله أمرا كان مكتوبا. وأنا تفهمت الموقف ومقدر ظروفها وواثق بأن الله سوف يرتب الأحداث لصالح النيات الطيبة، وبالفعل قد بدأت اليوم تباشير هذه الترتيبات.

- والله يا صلاح ياسمين دي بطلة وبنت بألف راجل ويا بختك بيها وأتمنى ربنا يرزقك بيها لتسعد في حياتك. عموما ولا بهمك يا صلاح الأمور سوف تتحسن كثيرا بعد ما نحصل على المشروع، صدقني الدنيا هاتضحلك كثير، قلبي وعقلي بيقولولي كده وأنا مصدقهم. وبضحكة محاولا بها أن يخفف من وطأ الكلمات على صلاح، توجه أدهم إلى الشيخ مداعبا: ماتزود دعواتك لصلاح يا عم الشيخ علشان شوقي بيه يِخف عنه شويه.

- يابني دا لو الدعوات بتاعتي لصلاح اتقبلت لكان رئيس جمهورية مصر من زمان، وبعدين هو قابل ياسمين إلا بدعواتي، وأقابلك إلا بدعواتي، والمحافظ سلم عليه إلا بدعواتي، وفوق المحافظ شوقي بيه نفسه راح لحد صلاح وسلم عليه وشد على إديه.

- معقول يا صلاح ده حصل فعلا، إزاي وإمتى وفين، والمحافظ يسلم عليك بأمارة إيه يا سيدي. إحكيلي!!

- سلم عليّ بأمارة المشروع، دي كانت هاتبقى عاركة وانتهت بصفقة.. وإن شاء اللّه وش الصفقة دي على مشروعنا هايبقى حلو إن شاء اللّه.. الموضوع يا سيدي إن أهل كاندليه حد وَشَى ليهم بأن المحافظة هاتطردهم علشان تبني أبراج سكنية ومولات فخرجوا النهاردة وأنا نايم ليعتدوا على المحافظة ولكن ربنا ستر والمحافظ حضر بنفسه وشرح لهم الموضوع وأنا كمان. الموضوع طويل وعجيب هاحكيلك التفصيلات بعدين بس خلاصته أن القدر فوق الأسباب، وترتيبات القدر تقلب كل الموازين.

تعجب «أدهم» مما جرى ومن ترتيبات القدر التي تجعل من صلاح بطلا يشار إليه بالبنان، وتأكد أن هذا الحدث في صالح المشروع لو تم تسليمه في الميعاد بدون أي منغصات.

- طيب يلاَّ بينا نبدأ الشغل، بس هي فين الأوراق يا صلاح، شكلك جيت من غيرها.

- لا طبعا، الأوراق تحت هنا. وأخرجها «صلاح» من تحت قميصه حتى يحافظ عليها من أيدي الوطاويط التي قد تظهر في أي وقت.

وفجأة رن جرس الباب، وتلعثم الجميع ونظر بعضهم إلى

بعض متوجسين أن يكون أحد الوطاويط هو الذي جاء ليفسد عليهم الاجتماع. رد أدهم بتوجس: مين إللي على الباب ؟

- افتح يا أدهم أنا ياسمين..

لم يصدق «صلاح» نفسه من سيل تباشير القدر، وجرى إلى الباب يفتح لياسمين ليجدها تقدم له صحبة ورد تزينها ابتسامتها الجميلة الرائقة: دي هدية ليك يا صلاح وعربون من تباشير القدر.

لم يصدق صلاح نفسه مرة ثانية، فقَبَّل يد ياسمين وقَبَّل الورود وحلق في أمور القدر التي لم يعد قادرا على استيعابها: يارب يكون شوقي بيه رضي عنك وسمح ليكِ.

- الورود يا صلاح من شوقي بيه، شوقي بيه فخور بيك.. أما بابا ما زال يجادل القدر.

وببسمة حانية، نظر صلاح ناحية الشيخ وأدهم: طيب خليكوا شاهدين عليّ وعلى ياسمين، خليكوا شاهدين على أناقة الزمن الجميل، وروائع القدر..

- طيب يا سيدي، وخليكوا شاهدين إن باقي من الزمن القليلُ على تقديم المشروع الكبير.

ضحك الجميع وانخرطوا في حماس بالغ لإنهاء المشروع..

●●●

اليوم مشمس كيوم النسيم، وكأن أشعة الشمس كلها قد تجمعت أمام بيت «عزيز» بك لترحب بالضيوف، ووقت العصر في العوامة رائع يغازل العيون بالنظر إلى أمواج البحر الهادئة من شرفة العوامة الساكنة. تَزين البيت ولأول مرة منذ فترة طويلة في أجمل حُليه، وكأن عزيز بك ينتوي تفجير مفاجأة، ما هي؟ لا أحد يعلمها.

كان أول الحضور أسرة «شوقي» التي ارتدت ملابس كاجوال، فبدا شوقي بك وزوجته بهيئة جديدة ومريحة. الغريب أن أسرة عزيز قد ارتدت هي الأخرى ملابس كاجوال، فبدا الجميع وكأنهم يلتقون ولأول مرة. ارتاحت ياسمين كثيرا لهذا الجلسة غير الرسمية فبدت بين الجميع كالطفلة البريئة رغم سنواتها الخمس وعشرون.

- أهلا بيكم شوقي بيه في عوامتنا المتواضعة والأصيلة فكم تحمل بين جدرانها الكثير من الذكريات المرحة والحزينة، تمر عليها مياه النهر بأمواجها وترحل وتبقى هي كما هي لتحمل همومنا وأفراحنا ولا ترحل.

- العوامة فعلا جميلة يا عزيز بيه وكم هي متألقة ومتأنقة بهذه الديكورات والزينة التي تبدوا جديدة ورائعة. كم أشعر الآن أني مزاجي كرائحة الفل الذي يطل علينا من شرفة العوامة.

واضح أن القرب من مياه النهر الجارية له تأثير السحر على العقل والقلب. كده أنا هاغير منك يا عزيز وأشتري عوامة.

- أنا فعلا يا بابا كان نفسي أسكن في عوامة وأنا صغيرة، وكنت دايما أطلب منك كده كل مرة نزور أصدقاء حضرتك إللي عندهم عوامات. ولكن كنت تضحك وتقول، لو سكنتِ في عوامة يا ياسمين هاتبقي سمكة وهاتنطي في المياه.

- خلاص يا ياسمين، اعتبري العوامة دي بتاعتك، بس اوعي تبقِي سمكة أحسن حد يصطادك ببلاش.

وقعت هذه الكلمات على شوقي بك كرياح الخماسين التي ألهبت أفكاره من جديد وتخوفه على ياسمين وعلاقتها بصلاح. تغيرت ملامحه التي حاول أن يخفيها حتى لا يفسد الزيارة بهذه السرعة. ولكن الكلمات ظلّت تعبث في أذنه كالنحلة الزنانة.. «بس اوعي تبقي سمكة أحسن حد يصطادك ببلاش»، تشبيه بليغ وإن كان غير مقصود يا عزيز، فعلا ظللت أحافظ على ياسمين طوال العمر من أن تصبح سمكة في بحر الحياة حتى لا يصطادها أحدهم مجانا، ولكن باءت كل جهودي بالفشل، فقد تحولت بالفعل إلى سمكة واصطادها صلاح وبلا ثمن. هل سيلقيها في البحر مرة أخرى لتعيش حياتها، مؤكد لا، فلسوف يطهيها ويأكلها، فالصياد لا يُلقي صيده أبدا!

- مالك شوقي، روحت فين بعيد عنا!!

- أبدا عزيز، سرحت في الماضي ووقفت على أرض الحاضر ثم أعتاب المستقبل فوجدتني قلقا، لا أدري لماذا!

ردت ياسمين على الفور وكأنها قرأت أفكار شوقي والدها: يا بابا ياحبيبي، المستقبل هايبقى جميل طالما احنا عايزينه يبقى جميل، المستقبل طيب وابن حلال، ويا سيدي ما تقلقش عمري ماهبقى سمكة أبدا، أنا الشبكة والصياد.

وهنا رن جرس باب العوامة ليعلن عن مجيء صلاح كاندليه ومعه أدهم والإمام. سلم الثلاثة على الحضور، وكان أول السلام على شوقي بك مع تقديم الشكر على الورد الذي أرسله مع ياسمين وعلى موقفه يوم معركة كاندليه: شكرا شوقي بيه على دعمك وأوعدك أكون عند حسن ظنك دائما.

- أهلا بصلاح كاندليه إللي شهر كاندليه وهايطور كاندليه، سمعت وشوفت عن موقفك المدعم للمحافظ في نشرة المساء وكم كنت فخورا بك.. فاكر يا صلاح العوامة دي، لك فيها ذكريات جميلة ومن أو لقاء.

لمعت عينا صلاح عندما وقعت على شرفة العوامة، والماء يجري هناك في النهر، وتذكر أول يوم رأى فيه عزيز بك ثم

آخـر يـوم وكادت الدمـوع تنسـاب لـولا أنـه تماسـك. «أيتهـا السـماء الصافيـة، أيهـا البحـر الجـاري، أيتهـا النسـمات العليـل، مضـى الوقت ثقيـلا وسـريعا، وسـعيدا وحزينـا، كنـت هنـا يومـا طفـلا بريئـا، وكانـت الحيـاة لـي مجـرد قـارب في النهـر، ثـم هـاج النهـر وجـرت الحيـاة أمامـي، ثـم توقـف جريـان الميـاه وجـف النهـر، ثـم تطـوع القـدر ليبعـث فيَّ حلـو الحيـاة مـن شـقوق الأرض، كـم أنـا مديـن لـك أيهـا القـدر بمـا أوتيـت في كل عصـر»: واللّه يـا عمـو عزيـز الموقـف هـو الـذي فـرض نفسـه علـيّ بترتيـب القـدر وترتيـب مـن الشـيخ.. وأتمنـى فعـلا التطويـر لكاندليـه. أمـا بالنسـبة للعوامـة فهـي جـزء منـي وكـم اشـتقت إليهـا مـن آخـر لقـاء، فكـم افتقـدت صـوت خريـر الميـاه وهـو يغـازل العوامـة في هـدوء الليـل فيوقـظ فيّ أجمـل المشـاعر والكلمـات.

نظـر «شـوقي» إلـى صـلاح نظـرة لا يـدري معناهـا أيحبـه كمـا أحبـه القـدر أم يريـد أن يلقيـه مـن العوامـة، مشـاعر متضاربـة، لـم يقطعهـا سـوى صـوت عزيـز: يـا جماعـة أنـا عنـدي مفاجـأة ليكـم جميعـا، ياريـت تسـمعوني بهـدوء.

تشـوق الجميـع لمعرفـة المفاجـأة، فعزيـز مفاجآتـه قليلـة وعزيـزة مثـل اسـمه.

- إيه هي المفاجأة يا عمو عزيز، أكيد جميلة وشيك زي حضرتك، إيه خطبت لصلاح، ولا عرفت حاجة عن المسابقة بتاع كاندليه، يا تري مين إللي فاز، مشروع حضرتك ولا بابا ولا أدهم.

- لا دي ولا دي يا ياسمين، هما مفاجأتان، الأولى إني جايبلك عريس، والثانية عن صلاح كاندليه.

وما إن سمعت كلمة عريس حتى انكمشت «ياسمين» في نفسها تخوفا من أن يكون عزيز بك دعاهم اليوم لطلبها مرة أخرى لصلاح ابنه، ولكن لا يمكن أن يكون تفكير عمو عزيز بهذه السرعة فلم يبدأوا برنامج الزيارة بعد، وماذا حدث ليجعله يحاول مرة أخرى. ونظر إليه شوقي بك متمنيا أن يكون العريس صلاح عزيز: شوقتنا يا عزيز إيه المفاجأة؟

- أما عن العريس فهو فعلا ابني صلاح...

وهنا تقهقرت ملامح ياسمين وازداد عبوسها، وازدادت ابتسامة شوقي حتى ملأت وجهه. وقبل أن يعلق شوقي بك، أكمل عزيز مفاجأته: ابني وصديقي صلاح، صلاح كاندليه.

وقعت المفاجأة على الجميع كوقع الصاعقة، تجمدت سهير هانم في مكانها وتقوقع شوقي بك وزوجته وتحشرجت أنفاسهم وتمنى شوقي لو تطلب منه زوجته أن يغادرا المكان الآن كما فعلت

زوجة عزيز من قبل. ولكن انفرجت أسارير ياسمين وتلعثم صلاح وابتسم الشيخ وأدهم بلا تعليق من هول المفاجأة.وقبل أن ترد ياسمين ويعلق شوقي: وإليكم المفاجأة الثانية.

صمت الجميع والعيون كلها مسلطة على شفتي عزيز بيه: يا ترى هل قوة المفاجأة الثانية كالأولى؟؟

- أنا يا صلاح اعتبرتك ابنا لي منذ أن قبلت أن تكون واحدا من هذه الأسرة وأنت طفل، ولأنك ابني ولأنك في مرحلة الشباب والزواج ولأني أعرضك لشوقي بيه الآن كعريس لياسمين، فبكل حب واعتزاز أعلن عن أملاكك مني وهي شقة تمليك وسط البلد وسيارة مثل التي كنت تحبها وأنت وسطنا، وفوق كل ذلك أتمنى أن تعود إلى بيتك معنا، بيت العيلة.

تسمر «صلاح» دون حراك ولم يستطع تحريك حتى شفتيه، وتهلل وجه ياسمين ولكنها لم تستطع الرد فليس لها الحق في التعليق، وتهلل وجه الشيخ وبادر بمباركة صلاح، وشكر عزيز بك الأب الروحي لصلاح. واحتضن أدهم صلاح الذي ما زال في غيبوبة المفاجأة الكبرى.

نظر «شوقي» بك إلى عزيز، الجالس بجوار صلاح، ولم يدرِ ماذا يفعل أمام ترتيبات القدر هذه، فقد تحول القدر من مرحلة الدفاع عن صلاح إلى مرحلة الهجوم حتى لا يستطيع أحد مهما

كان أن يجد عذرا لرفض صلاح. ماذا أفعل الآن، لحظة مصيرية ويجب أن أشارك فيها مهما كانت نوع المشاركة، هل أقبل ولا أعاند حتى لا يفرمني القدر، أم أحتج وأتحمل تبعات القرار، وبما أحتج؟ فلم يعد هناك شيء ينقصه سوى تعليمه، فها هو اكتسب العائلة، والسكن والشهرة وتعضيد المحافظ ومن يدري لعل القدر يرتب لمشروعه مع أدهم وياسمين بالفوز وحينئذ يكون قد اكتسب أيضا المال، ماذا بعد ينقصه عن صلاح عزيز سوى الشهادة، فلأتمسك بالشهادة كفرصة أخيرة للرهان على القدر أن يترك صلاح وشأنه وتعود ياسمين لي.

وكأن شوقي بك كتاب مفتوح لياسمين تقرأه أينما كان من لغة عيونه وهمس وأزيز أنفاسه، توجهت ياسمين إلى عزيز بك بصوتها الرقيق وكأنها تريد أن تخبره بموافقتها بطريقة غير مباشرة قبل أن يستدعي شوقي بك كل أساليب الرفض الباقية: أنا كمان عندي مفاجأتان يا عمو عزيز. الأولى إن صلاح تم قبوله لدخول امتحان الثانوية العامة بعد شهور قليلة. والثانية إن روايته التي ألفها منذ فترة طويلة تم قبولها للنشر في أكبر دور النشر والتوزيع، ثم نظرت إلى والدها وابتسامة أمل على شفتيها وحنان يجري في عينيها وكأنها تستجدي موافقته: إيه رأيكم بقى في ترتيبات القدر دي؟؟

هلـل الجميـع بمـا فيهـم صـلاح عزيـز والشـيخ وأدهـم وسـهير هـانم التـي تمنـت أن يوافـق شـوقي بـك علـى صـلاح كاندليـه حتـى تكفـر عـن قسـوتها وأنانيتهـا مـع صـلاح، وحتـى يتفـرغ الجميـع بعـد ذلـك إلـى الحديث عـن ابنهـا وقـرة عينهـا صـلاح الـذي لـم ينـال حظ الاهتمـام منـذ اللقـاء السـابق كمـا نـال صـلاح كاندليـه. وقبـل أن يعلـق شـوقي علـى عزيـز وياسـمين وترتيبـات القـدر، فوجـئ الجميـع بسـماع اسـم أدهـم علـى لسـان مذيـع البرنامـج الـذي لـم يأبـه لـه الجميـع منـذ بـدء اللقـاء. تحـول أنظـار الجميـع ناحيـة التلفـاز وأنصتـوا بـكل آذانهـم ليدركـوا مـاذا وراء اسـم أدهـم!! وفجـأة انتفضـت ياسـمين وانتفـض أدهـم والشـيخ وصـلاح، والذيـن كانـوا صامتـين طـوال الوقت، وصـاح أدهـم: لقـد فعلناهـا، لقـد فزنـا، لقـد فزنـا. لـم يصـدق «شـوقي» بـك مـا يحـدث، ظـل شـاخصا ناحيـة التلفـاز يشـاهد إعـلان خبـر فـوز أدهـم بمسـابقة «تطويـر كاندليـه» ومعـه فريقـه صـلاح وياسـمين والشـيخ وبعـض أهـل كاندليـه وعينـاه علـى الفيلـم التسـجيلي الـذي يظهـر كاندليـه قبـل وبعـد التطويـر وكأنهـا قلعـة سـياحية بمزيـج مـن الطـراز الشـعبي والحديث.

نظـرت ياسـمين إلـى والدهـا بعيـون دامعـة وقلـب خافـق وصـوت يسـتجدي موافقتـه: مـش هـاتقـول مبـروك بقـى يـا بابـا..

نهض شوقي بك ووقف وسط الجميع: مبروك يا صلاح.

- مبروك على إيه بالضبط شوقي بيه؟؟

- مبروك على مشروع أدهم وفريقه، ومبروك لصلاح على ياسمين، ومبروك لياسمين على ترتيبات القدر...

وفجأة صاح الجميع والتفوا حول صلاح بفرحة عارمة: مبروك عليك حب القدر يا صلاح..

صاح «صلاح» بصوت عالٍ، متجها ببصره قِبْلة السماء: ما أحلاك وأجملك أيها القدر. ثم نظر إلى ياسمين: وأنتِ أحلى وأجمل وأنقى وأطيب ما رتبه لي القدر.

- مبروك علينا يا صلاح، ما أجمل القدر عندما يطبطب على المحبين رغم مطبات وعثرات الطريق..

-تمت-

عن المؤلف:

د. محمد لبيب سالم أستاذ بعلم المناعة كلية العلوم ومدير مركز التميز لأبحاث السرطان ومدير مركز المشروعات والإبتكارات ونقل التكنولوجيا بجامعة طنطا والمشرف العام علي مركز بحوث تنمية إقليم الدلتا. د. لبيب باحث في علم المناعة والأورام وعضو في العديد من اللجان القومية في التعليم والبحث العلمي وعضو في اتحاد الكتاب بمصر ومستشار علمي لمنظمة المجتمع العلمي العربي.

د. لبيب مؤلف وكاتب وتمثل رواية «وقت للبيع» أولي روايته الصادرة عن دار أطلس للنشر والطباعة والتي تم ترشحيها في عام ٢٠١٥لجائزة الرواية في الأدب العربي المعروفة بإسم" البوكر». ثم توالت اعمال د. لبيب الأدبية لينشر جموعتين قصصيتين بعنوان "العشق الحلال" و «زحمة مشاعر». وتم عرض كلا من رواية وقت للبيع والمجموعة القصصية" وقت للبيع» في المعرض الدولي للكتاب بمصر وكذلك في العديد من معارض الكتاب الأخري بمصر والدول العربية. وله تحت الطبع ارواية «سفاري إلي الجهاز المناعي» ومؤلف بعنوان « تأملات بيولوجية في النفس « ومؤلف اخر بعنوان « تأملات بيولوجية في الحياة « . وقد نشر د. لبيب أيضا سلسلة من المقالات العلمية والأدبية والسياسية في العديد من الجرائد والمجلات المصرية والعربية مثل العلم، العربي، الفيصل،

روزليوسف، العالم اليوم ومنظمة المجتمع العلمي العربي بالإضافة إلي المواقع العربية مثل مجتمع بناة وموضوع.

د. لبيب حاصل علي بكالريوس العلوم عام ١٩٨٤، وماجستير العلوم في ١٩٨٩، ودكتوراة العلوم في ١٩٩٥. وقد مُنح د. لبيب جائزة الدولة التشجيعية لعام ٢٠٠٤ وجائزة الدولة للتفوق لعام ٢٠١٠ وجائزة جامعة طنطا التقديرية لعام ٢٠١٥ ورشحمن قبل جامعة طنطا للحصول علي جائزة الدولة التقديرية في العلوم الأساسية في٢٠١٥ . وله أكثر من ١٠٠ مؤلف علمي منشورة بالدوريات العلمية العالمية. د. لبيب عضو في هيئة التحرير للعديد من الدوريات العلمية. واستقر د. لبيب بمدينة فوكوكا باليابان كباحث لمدة خمسة أعوام في الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٤ ثم من ١٩٩٧ - ٢٠٠١. و في مدينة تشارلستون بأمريكيا من ٢٠٠١ - ٢٠١٠ كأستاذ جامعي وباحث.

وقام د. لبيب بزيارة العديد من الدول مثل الصين ، كندا، إيطاليا، ماليزيا، كوريا الجنوبية، السعودية، الأردن، الإمارات. وقد أثرت هذه الرحلات وكذلك طبيعة العمل كباحث في أسلوب كتاباته الأدبية التي تتسم بالتحليل وربط الظواهر البيولوجية بالأمور الحياتية مع إضفاء الخيال الأدبي لإظهار الواقع بحس أدبي رفيع.

mohamedlabibsalem@yahoo.com

الفهرس	الصفحة


حقوق الطبع محفوظة للناشر
أطلس
للنشر والانتاج الاعلامي ش.م.م.
أطلس
للنشر والإنتاج الإعلامى
يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

كانداليه ..

"كيف لي أن اكتشف أغوار نفسي الحقيقية الباحثة عن الحب الحقيقي وعن التحدي والطموح والإجتماعيات بعيدا عن التملق والتكبر والمظهرية. كيف لي أن أثبت أن في كل إنسان بسيط الذي قد نراه ولا نشعر به أو قد نستأجره ولا نعير له إنتباها يحوي داخله كل المشاعر والفكر والقصص والروايات. إنسان يحمل بين إبتسامته الباهتة طموحات وأحلام تشيد جبال وبين مخيط ثيابه العالقة بثري الأرض نفسا سامية صافية ومحبة وعفية." وتدور أحداث رواية كاندليه عن هذه المعادلة الصعبة في كل من ونسجت أحداثها من واقع الحياة فتصور كيف للقدر أن يرسم طرقا جديدة لم يتصورها أحد من قبل. طرق تشيد وتمهد لتجمع قلوب وعقول لم يمكن لتتقابل أبدا ولكن القدر فوق الأسباب. كاندليه رواية أحداثها ترسم كيف يلتقي حب الخيال مع حب الواقع. رواية فيها الكثير من فلسفة الزمان والمكان والمشاعر التي تتحول - عندما يريد القدر - من مجرد خيالات إلي واقع يتدحرج بفرحة أمام أصحابه في واقع الحياة.



المؤلف .. د. محمد لبيب سالم

أستاذ علم المناعة بجامعة طنطا وكاتب وروائي صدرت له عن دار أطلس للنشر رواية "وقت للبيع" في ٢٠١٤ والمجموعة القصصية "العشق الحلال" في ٢٠١٥ والمجموعة القصصية "زحمة مشاعر" في ٢٠١٦.

ISBN 9789773994600



